# مجلّة
# مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلّة المجمع العلمي العربي سابقًا »

شوال سنة ١٣٩٦ هـ
تشرين الاول « اكتوبر » سنة ١٩٧٦ م

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

# الحياة في كتاب الأغاني

الأستاذ شفيق جبري

إذا كنّا ننظر إلى كتاب الأغاني من ناحية ما قاله صاحبه في مقدّمته من أنه جمع فيه ما حضره وأمكنه جمعه من الأغاني العربية، قديمها وحديثها، فإنّا نظلم أبا الفرج لأنه جمع فيه ما هو أجلّ قدراً من ذلك؛ وإذا كنّا ننظر إلى هذا الكتاب العظيم من ناحية ما جمعه صاحبه فيه من آثار وأخبار، وسيرٍ وأشعارٍ متصلة بأيام العرب المشهورة وأخبارها المأثورة وقصص الملوك في الجاهلية والخلفاء في الإسلام، فإنّا نظلم أنفسنا لأن وراء هذا كلّه حياة اجتماعية كاملة لا ينبغي لنا أن نغفل عنها.

إن الذين قالوا: لقد وقع الاتفاق على أن كتاب الأغاني لم يعمل في بابه مثله لم ينحرفوا عن الحق في قولهم، ولست في حاجةٍ إلى ذكر ما قاله القدماء في قيمة هذا الكتاب أمثال الصاحب بن عبّاد وعضد الدولة والوزير المهلبي وعبد العزيز بن يوسف والثعالبي وياقوت وابن خلدون.

أما الأغاني التي جمعها أبو الفرج وأما المصطلحات التي استعملها أمثال قوله: الثقيل الأول وخفيفه الثقيل الثاني وغير ذلك من هذه المصطلحات،



هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أما هذا كله فقد ينفرد بمعرفته رجال الموسيقى ، ولست منهم في شيء ، والذي سمعته أنهم في عصرنا قد أحاط علمهم بكل هذه الرموز وأصبحوا يعرفون ما يراد بالثقيل الأول والثقيل الثاني وغير ذلك ، فهذا لا يعنينا أمره في هذا المقال ، وكما أنني لا أعنى بالأغاني ومصطلحاتها في كتاب الأغاني فكذلك لا أعنى في هذا المقال بالأدب المستفيض في هذا الكتاب ، إنّ هذا الأدب إنما هو كنز لا يفنى مع الإنفاق ، وهذا التعبير اقتبسته من ابن المقفع لأنه وحده يليق بالافصاح عن منزلة كتاب الأغاني ؛ فإذا كنّا لا نقرأ هذا الكتاب إلا للانتفاع بأدبه فقد يتم لنا من هذا الانتفاع شيء كثير نصفّي به ذوقنا وننمّي به معرفتنا ونقف على طبقات كثيرة من الشعر على اختلاف عصوره وأطواره . ولكن كتاب الأغاني ينبغي لنا أن نقرأه لأسباب ثانية .

وسنطّلع في هذه القراءة على فوائد لا تقل عن الفوائد الأدبية ، سنتمتّع بالوقوف على الحياة بحذافيرها في بعض المواضي من عصورنا ، لقد ذهبت عنّا أخبار كثيرة من هذه الحياة فإذا افتقرنا إلى شيء فإنا نفتقر إلى الإحاطة بمظاهر تلك الحياة فلا نعرف مثلًا أين كان تدريس الطلاب ولا كيف كانت معاملة المعلمين للطلاب ولا كيف كانت مجالس الطلاب وأساليب دراستهم وطبيعة هزلهم . غير أن الحياة لا تقتصر على حياة الطلاب وحدهم فإنها تمتد إلى آفاقٍ أبعد ، إلى اللهو والشراب والزينة ، إلى داخل الدور وما تشتمل عليه هذه الدور من الأواني والفرش والثياب .

هذا بعض ما نحتاج إليه من معرفة الحياة الاجتماعية في تاريخنا ، ولا سيما حياة العامّة ، فإن أدبنا في القديم قد حُبس على الخاصة وأهمل أكثره معرفة أمور العامّة .

وفي كتاب الأغاني أشياء غير قليلة من هذه المعرفة ، غير أن حياة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الخاصة ، ولا سيما حياة الخلفاء ، كانت أظهر في كتاب الأغاني فقد نقف فيه على أمورٍ كثيرة من قصور الخلفاء وفنّ البناء في الحجاز والشام والعراق.

ماذا أحصي من مظاهر الحياة الاجتماعية في كتاب الأغاني ، أفلا يهمنا أن نعرف أندية تلك العصور ومطاعمها وخاناتها وقصّاصها وأفراحها وأحزانها ؟ وأما المرأة وحياتها فقد كانت سراً من الأسرار ، إلا أن أبا الفرج قد كشف لنا عن هذا السرّ بكلامه على حرية المرأة في الزواج وتفكيرها في حرية الطلاق وتحدّثها إلى الرجال وحجابها وسفورها ، ونحن في أشدّ الحاجة إلى مثل هذا الكشف ولو كان قليلاً .

هذا بعض ما نهتدي إليه في كتاب الأغاني ، دع عنك أشياء ثانية تتصل بالغناء في القصور وبمواكب الحج وغير ذلك ، والذي نستغربه كل الاستغراب إنما هو أمر اللهو والتبذير ، وحسبنا بيتان قيلا في التبذير وردا في كتاب الأغاني .

وحلّـــةٍ تنشر ثمّ تُطوى وطيلسانٍ يُشترى فيُغـــلى
لعبد عبدٍ أو لمولى مـــولى يا ويح بيت المال ماذا يَلقى

ليس هذا كل ما يحتوي عليه كتاب الأغاني الخالد على تعاقب العصور ولكني أكتفي بالإشارة إلى بعض محتوياته حتى نعلم أن هذا الكتاب ليس مجرد ذكر الأغاني العربية ،وذكر آثار وأخبار وسيرٍ وأشعار ،ولكنه صورة حياةٍ اجتماعية بحذافيرها نمرّ في تضاعيف سطوره بطائفةٍ من أسرار هذه الحياة مما لا نمرّ في غيره بأشباهها فإذا نحن جمعنا هذه الآثار والأخبار والسير ، ونسّقناها في كتاب خاص حصلت لنا بذلك صورة الحياة الاجتماعية في بعض أيامها .

قد نستغرب هذا الأمر فنقول : لماذا لم ينسّق أبو الفرج كتابه على

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الشكل الذي يصوّر لنا الحياة أوضح تصوير ؟! إنه قد فطن إلى هـذا التنسيق ولم يذهب عنه ، ولكنه اعتقد أن في طباع البشر محبة الانتقال من شيء إلى شيء ، والاستراحة من معهود إلى مستجدّ ، وكل مُنْتَقَلٍ إليه أشهى إلى النفس من المُنْتَقَل منه ، والمنتظر أغلب على القلب من الموجود .

غير أنا في هذا العصر نميل إلى التنسيق وإلى الاختصاص ، فإذا تفرّغنا لموضوع فإنا نحب أن نتفرغ له بشيء كثير من التبويب والتنسيق ، وهكذا نجد أن أساليب التأليف تختلف من عصرٍ إلى عصر وأن الأذواق تتباين من دهر إلى دهر . وكيف كان الأمر فإذا وجدنا في كتاب الأغاني ذخيرة لأدبنا وصورة لكثير من أشعارنا على اختلاف أيامها نصفّي بها أذواقنا في الشعر ، ومظهراً من مظاهر النقد الأدبي نهتدي به إلى المحاسن والمساوىء ، إذا وجدنا هذا كله فقد آن لنا أن نجد في كتاب الأغاني صورة حياتنا الاجتماعية في كثير من أنماطها ، وأن نملأ قلوبنا وعقولنا من هذه الصورة فنخرج من هذا كله بنتيجتين :

علوّ منزلة أبي الفرج في الأدب والذوق .

وعلوّ منزلته في تصوير الحياة .

وهذا ما يدخله في جنّات الخالدين .

شفيق جبري

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

# نظرة في معجم المصطلحات الطبية الكثير اللغات

للدكتور أ. ل. كلبرفيل
نقله إلى العربية الأساتذة مرشد خاطر
وأحمد حمدي الخياط ومحمد صلاح الدين الكواكبي

## - ٣٢ -

### الدكتور حسني سبح

١٠٧٥٦ جروع ريفير — 10756 potion de rivière

وأفضل شراب ريفير لما تقدم من السبب آنفاً

١٠٧٦٠ إبهامٌ مُشْقَق ، مُشْطَر — 10760 pouce bifide

وأفضل إبهام مشطور ( إلى شطرين ) كما جاء في الترجمة الألمانية من المعجم الأصلي(١)

١٠٧٦١ ذَرّ ، رشّ المسحوق أو الذّرور — 10761 Poudrage

وأفضل ذر الذّرور أو المسحوق دون الرّش(٢) وكذلك تغبير وتعفير كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(٣)

١٠٧٦٣ ذَرور مُلْتَصِق — 10763 poudre adhérente

وأرجح ذَرور لاصِق

---

(١) ( zweigeteilter Daumen ) .

(٢) في لسان العرب : الرّش لِلْماء والدّمْع والدّمْع، والرش رشّك البيت بالماء وقد رشَشْت المكان رشاً.

(٣) ( inspersion, powdering, dusting ) .



هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

10764 poudre en boite, poudre conditionnée

١٧٠٦٤ ذَرُورٌ في عُلْبة ، ذَرور مُحْكَم ، مُسْتَوفي الشروط
وأفضل ذرور مُعَلَّب ، ذَرور مُهَيَّأ

10767 poudre gazogène laxative

١٠٧٦٧ مُسْحوقٌ مُولِّد الغـــاز مُلَيِّن
مَسْحوق مُلين فوّار ، وذَرور سَتْليج ، كما جاء في الترجمة
الانكليزية من المعجم الأصلي(١)

10770 poudre à souh poudres

١٠٧٧٠ مَسْحوق للذَّر ، للرَّش
مسحوق أو ذَرور لِلذَر أو التَعْفير كما جاء في الترجمة
الانكليزية من المعجم الأصلي(٢) الرش

10775 pouls alternant

١٠٧٧٥ نَبْضٌ مُتَنايِر ، مُتَناوب
النَبْض المُتَناوب فقط

10776 pouls bigéminé ou géminé

١٠٧٧٦ نبض مُضاعَف أو مُزْدَوج
وأفضل نبض ثُنائي أو مُزدَوج

10777 pouls bondissant ou capricant

١٠٧٧٧ نَبْض قافِـــز أو قافِص
وأرجح نبض قافِز أو مُرَنْج ، كما جاء في الترجمة الانكليزية
من المعجم الأصلي(٣) ولا أرى لفظة قافص تعني ذلك(٤)

---

(١) ( Seidlitz powder ) .

(٢) ( dusting powder ) .

(٣) ( jerky pulse, goat leap, caprizant pulse, bonding pulse)

(٤) في لسان العرب : القَفْص الخفة والنشاط أو الوثب ، قَفَصَ يقفِصُ قَفْصاً فهو قَفِص والقَفْص نحوه والقَفِص النشيط إلى أن قال : قَفِص قَفصاً فهو قَفِص تقبَّض وتشنَّج من البرد .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

10778 pouls capillaire ( insuffisance aortique )

١٠٧٧٨ نَبْضٌ شَعْري ( قُصُور الوَتين )

وأرجح نَبْضٌ شَعْري ( قُصُور الأبهر )(١)

10780 pouls dans la conpression cérébrale aiguë

١٠٧٨٠ نَبْضٌ في انضِغاط الدِّماغ الحادّ

وأرجح النبْض البطيء الخاص بفرط الضغْط داخل الجمجمة كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(٢)

10781 pouls de Corrigan ( bondissant et bref )

١٠٧٨١ نَبْضُ كُورِيغان ( قافز ووجيز )

وأفضل نبض قوريغان ( قافز وقصير )

10783 pouls en fil de fer tendu

١٠٧٨٣ نَبْضٌ كسِلْك من حَديدٍ مُوَتَّرٍ

وأفضل نَبْضٌ كسِلْك حَديدٍ مَشدودٍ ، أو نَبْضٌ كسِلْك الحديد ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(٣)

١٠٧٨٥ نبْضٌ غيْرَ ثابتٍ 10785 pouls instable

وأرجح النبْض المُتغيِّر

---

(١) سبقت الملاحظة على هذه اللفظة ، وأن مجمع اللغة العربية في القاهرة عرَّب اللفظة بالآورطي ( الصفحة ٧٣ من المجلد الثامن والثلاثين من هذه المجلة ) .

(٢) ( slow pulse caracteristic of intracranial pressure ).

(٣) ( wiry pulse ) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

10786 pouls myure

١٠٧٨٦ نَبْضٌ نَازِعٌ ( أي تضعف دقّاتُه تدريجياً ثم تتلاشى )

وأفضل النبض المتلاشي (١) والنبض المُقْتَضب والنبْض على هيئة ذَنَبِ الفأر ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (٢)

10787 pouls paradoxal ١٠٧٨٧ نَبْضٌ غريبٌ ، مُسْتَغْرِبٌ

وأرجح النبض العَجيب أو المُتفارِق

10795 poumon d'acier ١٠٧٩٥ رِئةٌ فُولاذِيّة

وكذلك مُتَفيِّسَةُ دِرِنْكر أو كمَّامَته ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (٣)

10796 pouponière ١٠٧٩٦ دَار حَضَانةٍ ، قاعةُ حَضَانة

وأفضل دَار حَضَانة الأطفال النَّهاريّة

10797 Pourpre rétinien ١٠٧٩٧ فُرْفيرٌ شَبَكي

وأرجح فُرْفير الشبكية أو الطبقة الشبكية والفرفير البَصَري ورودبسين ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (٤)

10798 pourri, ie, putrèfié, ée ١٠٧٩٨ جَوٍ ، مُتَفَسِّخ ، مُتدعِّص

---

(١) في تاج العروس : لشا خَسَّ بَعدَ رِفْعَة ، تلاشى الشيء اضمحل .

(٢) ( decurtate, myurous or mouse - tail pulse ) .

(٣) ( Drinker respirator ) .

(٤) ( visual pourple, rhopodsin ) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

10799 Pourriture, putréfaction, décomposition cadavérique

١٠٧٩٩ جَوَى ، تَفَسُّخ ، تَدَعُّص ، تَجَزُّؤ جيفي

وأرجح فاسد ومُتَفَسِّخ في الأولى ، وفَسادٌ وتَفَسُّخ وتَجَيُّف وتَدَعُّص(١) في الثانية

وللفظة جَوى مَعاني أخرى تُوقِع الالتباس(٢)

10800 pourriture d'hôpital, mal d'hôpital, gangrène nosocomiale d'hôpital, diphtérie des plaies, ulcère putride ou gangréneux

١٠٨٠٠ جَوى المُستَشْفى داء المستشفى مَوات المستشفى ، غِشائيّة الجروح ، قَرْحةٌ عَفِنة أو مَواتية

---

(١) في لسان العرب : وقد جَافت الجِيفَة واجتافت انتنت وأروَحت .

وفيه أيضاً : وتَدَعَّص اللحم تَهرأ من فسادِه والمُتدعِّص الميت إذا تفسخ شبه بالدِعْص ( قدر من الرمل مجتمع ) لوَرمه وضَعْفه. وجيفت الجيفة تجيفاً إذا اصلّت .

(٢) في تاج العروس: الجوَى هوىً باطن كما في المحكم وأيضاً الحزن ، والماء النتْن المتغير ، وفي الصحاح الحُرْقة وشِدة الوَجْد من عِشْق أو حُزْن ، والجوَى السل وتطاول المَرَض وقيل داء يأخذ في الصدر، وقيل كلُّ داء يأخذ في الباطن لا يُستمرأ معه الطعام، وقد جَوي كرَضي جوَى فهو جَوٍ بالتخفيف وجَوّى وَصْفٌ بالمصدر وامرأة جَوية وجَوِيّة كرضيّة واجتواه كرهه .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وأرجح نَتانة المستشفى[١] أذى المستشفى[٢] ، غنغرينا[٣] التمريض ( وقد أهملتها اللجنة ) أو غنغرينا المُستشفى ، دِفتريا[٤] الجروح ، والدِفتريا الجراحية ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي[٥] والقرحة النتنة أو الغنغرينية

10802 poussée nouvelle, rechute, récidive, récurrence

١٠٨٠٢ هَجْمة جديدة ، ارتدادٌ نكس ، تكرر

ودرجت على ترْجمة اللفظة الثانية ( rechute ) بالمعاودة والثالثة ( récidive ) بالنُكس وأفضل ترجمة ( récurrence ) بالرُجوع

10804 poussier de motte, tourbe pulvérisée

١٠٨٠٤ دُقٌ مَدَر الفحْمِ ، طُورْب مَسْحوق

وأفضل دَقيق الخُثّ أو مَسْحُوقه أو دُقاقُه[٦] وكذلك

---

(١) الصفحة ٦٥٢ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) إن لفظة (mal) تعني الضرر والأذى لا الداء حصراً وهو المقصود هنا .

(٣) الصفحة ٨٤٤ من المجلد الأربعين من هذه المجلة .

(٤) الصفحة ٢٩٣ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

(٥) ( wound or surgical diphteria ) .

(٦) في لسان العرب : الخُثّ غُثاء السَّيْل إذا خلفه ونَضَب عَنْه حتى يجف وكذلك الطِّحْلُب إذا يبس ( لعل هذا هو المقصود ) .

في لسان العرب : والدُقاقة والدُقاق ماانذق من الشيء وهو التراب اللين الذي كسحته الريح من الأرض ، ودُقَقُ التراب دُقاقه واحدتها دُقة ، والدُقاق فُتاتُ كل شيء .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الغزّي الحُشّي والفِراش الحُشّي ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي[١] إذ يبدو أن المقصود من مدلول هذه اللفظة غير الطبية مايضاف إلى الجبْس من مَسْحوق من أصل نباتي ليحول دون انتفاخه بعد جبْله بالماء ووضع الضِّماد الجبْسي ، في تثبيت أحد أجزاء الأطراف وليس لألفاظ الدُّق والمَدَر والطُّورب هذه الدلالة[٢]

١٠٨٠٥ غُبار 10805 Poussière

ومَسْحُوق أو ذَرور ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي[٣]

10806 Poussif, emphysémateux, euse, asthmatique ( vét. )

١٠٨٠٦ زِلِيّ ، مُنْتَفِخ الرِّئة ، رَبْوي ( بيطرة )

وأرجح كرَيري أو مُصاب بالكرَيرة[٤] أو بالزُّلّة[٥]

( بالضم ) ومُنْتَفِخ الرِّئة ورَبْوي ، ومُنْقَطِع النَّفَس كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي[٦]

---

(١) ( peat gauze , peat - litter ) .

(٢) المَدَر قِطع الطِّين اليابِس وقيل الطين العِلْك الذي لا رمل فيه واحدته مَدَرة ، هذا ويبدو أن لفظة طورب (ولعلّ الأفضل أن ترسم بدون واو طُرْب ) هي من تعريب اللجنة .

(٣) ( dust, powder ) .

(٤) في لسان العرب : الكَرير صوت في الصدْر مثل الحَشْرَجة وليس بها وكذلك هو من الخيل في صدورها كرَّ يكِرُّ بالكسْر كريراً مثل كرير المختنق.

(٥) في تاج العروس : والزُّلة بالضم ضيق النَّفس .

(٦) (asthmatical, pursy, broken- winded, chest - foundered)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

١٠٨٠٧ قُدْرَةٌ دَابِقة 10807 Pouvoir adhésif

وأرجح قُدْرَة لاصِقة ، وسبق للجنة أن ترجمت (adhésion) بالتزاق وإلتصاق وتثبيت ( اللفظة ٣٢٧ )

10810 pouvoir définissant d'une lentille

١٠٨١٠ قُدْرة مُحَدِّدَة ( للعدسة )

وأرجح القُدْرة المُوَضِّحة أو المُبَيِّنة ( لإحدى العدسات ) لأن المقصود من هذا المصطلح قدرة احدى العدسات على إظهار الأشياء اظهاراً بغاية الوضوح ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(١)

١٠٨١١ قُدْرَة التَمْيِيز 10811 pouvoir de discrimination

والتفريق كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(٢)

١٠٨١٢ قُوَّةٌ مُسَبِّخَة 10812 Pouvoir floculant

وأرجح قوة مُنْدِفة(٣) لأن للتسبيخ معاني طبية أخرى(٤) وسبقت للجنة أن ترجمت ( léthargie ) بسَبْخ وسُبات ( اللفظة ٧٨٢٦ ) ثم عدلت عن السَّبْخ

---

(١) ( power of lens to give sharp picture of objects ) .

(٢) ( power of discernment, of discrimination ).

(٣) في لسان العرب : النَدْف طرق القطن بالمِنْدَف ، نَدَفَ القُطْنَ يَندِفُه ندفاً ضربه بالمِندف فهو نَدِيف .

(٤) في لسان العرب: التسبيخ التخفيف إلى أن قال والتسبيخ أيضاً التسكين والسكون ، والسبْخ والتسْبيخ النوم الشديد .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

10813 pouvoir pénétrant ( d'un objectif )

١٠٨١٣ قُدْرَة نافِذة ( العدسية جُرْمية )

وأفضل قُدْرَة النُّفوذ ( لعدسة شيئية ) كما أقرها مجمع اللغة العربية في القاهرة

10817 pouvoir séparateur ou résolvant ( d'une lentille )

١٠٨١٧ قُوَّةٌ عازِلة أو مُحلِّلة ( العدسية )

وأفضل القدرة المفرقة أو المُحلِّلة ( للعدسة )

١٠٨٢٠ سَلوكِيّة ، قابِليَّة السُّلوك 10820 Praticabilté

وأفضل قابليه الإجراء والعَمل والسلوك

١٠٨٢٢ تَنْسيق الحركات 10822 Praxie

وأفضل إحكام العَمَل ، لأن ماتَعنيه اللفظة اداء العمل الذي تعلَّمه الانسان إداءً صحيحاً بالإتيان بجملة حَركات متتابعة وبانتظام

10830 précipitation en flocons, flocutation

١٠٨٣٠ تَرسُّبٌ سَبائِخ ، تَسبُّخ

وأفضل تَرسُّب على هَيْئَة ندائِف[1] وتَنَدُّف

١٠٨٣٢ مُرسَّبٌ ، مُتَرَسِّب 10832 Précipité, ée

وأفضل مُرَسَّبٌ ومُرَسِّبة

١٠٨٣٩ أطنَب ، أطرأ 10839 préconiser

والصحيح أوْصى أو أقترح استعمال علاج (précosniser un médicament) وهو المقصود من هذه اللفظة في هذا المعجم الطبي

(١) الهامش الثالث من الصفحة السابقة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

١٠٨٤٠ قَبْل الشُّعُور 10840 Préconscient

وأرجح مَا قَبل الوَعي أي مايبدأ أن يَشعُر به فاقد الوعي ، وكما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(١)

١٠٨٤١ أمام القَلْب 10841 P récordial, le

ومُقدّم الصَّدر

١٠٨٤٣ هَضْمٌ سابِق بَدْء الهَضْم 10843 Prédigestion

وأفضل طليعة الهضم أو بدؤه

١٠٨٤٤ مُؤَهِّب 10844 prédisposant, te

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة : مُهيِّىء ، وجاء في الشرح أي شيء يؤثر في الجسم فيجعله قابلاً لتأثير المهيج

10845 Prédisposition au développement d'une tumeur

١٠٨٤٥ تأهُّب لنُمو ورم

وأفضل تأهب لتكوّن ورم أو تكوينه

١٠٨٤٨ قَبْض ، تَناوُل 10848 Préhension

وأرجح الإمساك أو الالتقاط ، لأن أكثر ماتستعمل اللفظة في المنعكس الذي يحمل هذا الاسم (refl. de préhension) ويغلب ظهوره في أورام الفَص الجَبْهي

١٠٨٤٩ أخْذ ، أخِيذَة للتجربة 10849 prélèvement, prise d'essai

وأفضل إختزاع أو أخذ في اللفظة الأولى حسب المادة المخترعة أو المأخوذة ، فإذا كانت دماً قيل أخذ الدم وإذا

---

(١) ( the fore - conscious )

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كانت قطعة من نسيج قبل إختزاع خُزاعة من النسيج
أو من الورم ، ثم أخذ للاختبار في الثانية

١٠٨٥٠ أخذُ نَماذِج 10850 prélèvement (faire un) d'échantillons

وأفضل أخذ عَيِّنة أو عَيِّنات كما أقرها مجمع اللغة العربية
في القاهرة ، وأخذ عَيِّنة لأجل الفحص أو الدراسة كما
جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(١)

١٠٨٥٤ إسعافٌ أوّل 10854 premier secours

وأرجح الاسعاف الأوّلي

١٠٨٥٦ المياه الأُولى ( قيمالة ) 10856 premières eaux ( obs. )

ولعلها السابياء(٢)

١٠٨٦٣ بَرُدَ وأصيبَ بِبَرْد 10863 prendre froid

وأرجح بَرُدَ وتبَرَّدَ . هذا وإن مجمع اللغة العربية في
القاهرة قد أقر لفظة البرد ترجمة لِـ ( cold ) الانكليزية ،
ويُعرف بالزكام ( وهو الصحيح ) وجاء في الشرح : نَزْلة
تصيب أغشية الجهاز التنفسي المخاطية .

١٠٨٦٥ مشْغول ، قَلِق 10865 Préoccupé, ée

وأرجح مُشْتَغِل تاركا مشغول ترجمة لِـ ( occoupé )
وقَلِق لِـ ( anxieux ) .

١٠٨٦٧ مُجَهِّز ، مُعِدّ 10867 Préparant, te

---

(١) ( taking a specimen or sample for examination )

(٢) في لسان العرب : والسابياء الماء الكثير الذي يخرج على رأس الولد .



هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وأفضل مُهَيىء ، مُحَضِّر ، وكذلك إعدادي كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(١)

١٠٨٦٨ قَبْل البَضْع 10868 Préopératoire

وأفضل قبلَ الجراحة أو قَبْل التوسُّط الجراحي أو المداخلة الجراحية

١٠٨٧٠ مُحَضَّر طَبْخي 10870 préparation culinaire

والصحيح تحضير للطبخ ، وكما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(٢)

10872 préparation à l'état frais ou préparation fraiche

١٠٨٧٢ مُحَضَّر عَبيط أو طَري

وأرجح التحضير بالحالة الطازَجة ومُحضَّر طازَج أو تحضير بالحالة الطبيعية ، كما جاء في الترجمة الألمانية من المعجم الأصلي(٣)

١٠٨٧٣ مُحَضَّر بالانْطِباع 10873 préparation par impression

وأفضل تَحْضير بالطَبْع وبالضَغْط مع التماس ، كما جاء في الترجمة الألمانية من المعجم الأصلي(٤)

10877 Préparation remplaçant le sang, produit de subs - titution ou succédané du sang

١٠٨٧٧ مُهيئاً يقوم مقامَ الدَّم ، مادة تعيض عن الدم

---

(١) ( preparatory ) .

(٢) ( preparation, cooking of food ) .

(٣) ( Nature präparat ) .

(٤) ( Abklatsch - Klatsch - Kontaktpreparation ) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وأرجح مُحَضَّر عِوَض من الدم ، مُنْتج بديل عن الدم
أو بديل الدم ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من
المعجم الأصلي(١)

١٠٨٧٨ مُحَضَّر جافّ 10878 Préparation sèche ou à sec

وأفضل مُحَضَّر جافّ وَحضَّر بالتجْفيف ( بلا ماء ) ، وكما
جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(٢)

10880 Préparer, distribuer, et administrer des médicaments

١٠٨٨٠ حَضَّر وَوزَّع وأعطى أدْوِية

وأفضل هَيَّأ الأدوية ووزَّعها وأوصى بها للمريض

10881 préparer un milieu de culture

١٠٨٨١ حَضَّر بيئةً للزَرْع جَهَّز مُسْتَنْبتاً

وأفضل حضر أو هيأ مستنبتاً الزرع

10882 Prépondérant , ante , prévalent, ante, d'importance exagérée

١٠٨٨٢ راجِحٌ ، غالِبٌ ، ذو شأن عظيم

وأفضل مُرَجَّح ، مُتفوِّق ، ذو شأن مُبالغ فيه

١٠٨٨٦ وَقْر الشيْخوخة 10886 Presbyacousie

يُستدل من اشتقاق اللفظة إنها تعني سَمْع الشيخوخة ،
وجاء التعريف في معجم دُرلاند(٣) حالة خاصة في الشيوخ

---

(١) ( blood substitute ) .

(٢) ( dry, dried preperation ) .

(٣) لفظة ( presbyacusia ) في معجم ( Dorland's Illustrated Medical Dictionary ) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بحيث يثقل السمع من الأذنين معاً وتدريجياً وبازدياد مطرّد . لذا أرجح حالة السمْع الشيْخي

١٠٨٨٧ قُصْر البصر 10887 Presbyopie, presbytie

سبقت الملاحظة على هذه اللفظة(١) وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة ترجمتها أيضاً بالابصار الشيْخوخي ، وجاء في التعريب : ضعْف في إبصار المرْئيات القريبة ، سببه تغير شيخوخي في قدرة العدسة على التكيف

١٠٨٨٨ قاصي البصر 10888 Presbiopique

وأرجح ذو إبصار شيْخوخي

١٠٨٩٢ ثبات الجنان ، بديهة 10892 présence d'esprit

وأرجح سُرْعة الخاطر

١٠٩٠٤ يَتَنٌ ( مجيءٌ بالقدمين ) 10904 présentation des pieds

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة اليتن للجيئة بالمعقدة وجاء في الشرح : خروج مقعدة الحميل من الرحم قبل رأسه والصحيح ماذكرته اللجنة(٢)

١٠٩٠٦ مجيءٌ بالقمة 10906 présentation du sommet

والمجيء الجمجمي والرأسي ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(٣)

(١) الصفحة ٢٩٧ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) في تاج العروس : اليتن أن تخرج رجلا المولود قبل يديه ورأسه ، وتكره الولادة إذا كانت كذلك وقد خرج يتناً .

(٣) ( cranial presentation, head presentation ) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

10912 Presseur, hypertenseuse

١٠٩١٢ ضَاغِطٌ موتِّر ، زائِـــد الضغْط

وأفضل ضاغط ، مُزِيد التوتُّر أو رافِـع التوتُّر

10914 pression d'une ampoule à gaz ١٠٩١٤ ضَغْطُ حُبابة غازٍ

والصّحيح الضغْط في أنبُوب ذي غاز أو ضَغْط الغاز في أُنبوب الأشِعَّة السينية ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(١)

10917 pression dans l'axe du fœtus

١٠٩١٧ ضَغْطٌ بِحسب مِحْوَر الجنين

ضَغْط مِحْوَر الجنين أو الحميل ( مجمع اللغة العربية في القاهـــرة ) ، وكما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (٢)

10918 pression critique ١٠٩١٨ ضَغْط بُحْراني

والصحيح الضغْط الحَرِج كما جاء في معجم وبستر (٣)

10918 pression des muscles de la paroi abdominale

١٠٩١٨ ضَغْط عضلات الجِدار البطْني

وأرجح ضَغْط عَضلِ جِدار البَطن أو عضلاتِه

10919 pression partielle ١٠٩١٩ ضَغْطٌ قِسْمي

وأفضل ضَغْط جُزْئي

---

(١) ( pressure of the gas in a x - ray tube ) .

(٢) ( fœtal - axis pressure )

(٣) لفظة ( critical ) في معجم وبستر ( Webster's Third New International Dictionary ) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

١٠٩٢٠ مَصبّ هِيروفيلْ 10920 pressoire d'Herophile

وأفضل مُلْتقى هِيروفيلوس ( وهو الاسم المعروف به عند العرب ) وملتقى الجيوب ( conflent sinus ) أيضاً وثمة غلط مطبعي في ( برسوار ) إذ وردت بدون e

١٠٩٢١ حاسّ بالضغْط 10921 Pressoréceptif, ive, pressosensitif, ve

وأفضل مُسْتقْبِل بالضغْط في اللفظة الأولى ( وقد أهملتها اللجنة ) مُدْرِكٌ بالضغط

١٠٩٢٢ مُشْعِر بالضغط 10922 Pressorécepteur

وأفضل مُسْتقْبِل بالضغْط

١٠٩٢٥ دارُ الوِقاية ، مَوْقى 10925 Préventorium

وأفضل مُنْتجع الوقاية

١٠٩٢٩ قَساحة ، كَثْرةُ النُّعُوظ 10929 Priapisme

وأرجح القُساح أو النُّعوظ المُسْتمِر أو الدائم وهو الناجم عن حالة مرضية لاعن فرط الشهوة الجنسية

١٠٩٣٣ عامِل مُؤثر ، جَوْهَر مؤثر 10933 Principe actif

وأرجح الجَوْهر المؤثر السريع كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(١)

١٠٩٣٤ عامِل كَبدي صائن 10934 prIncipe hépatique protecteur

مادة كبدية واقيةٌ أو حامِية كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي(٢)

تاركاً عامل ترجمة لِـ ( facteur ) ( اللفظة ٥٥٢١ ) للبحث صلة

(١) ( active component , active quick principle ) .

(٢) ( protective hepatic substance ) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

# مزاعم بناء اللّغة على التوهم (*)

الأستاذ محمد بهجة الأثري

- ١ -

هل بُني في اللغة العربية شيء من الألفاظ المشتقات على التوهّم ؟

بناء اللغة على التوهم ، أو الخطأ ، يعني انحراف السّلائق عن قانونها النفسي الذي يحكمها ، وتجوي عليه صورها الاشتقاقية اطّراداً على نسق متعيّن .

وفي حدود ما أعلمه وأطمئن إليه أستطيع أن أدّعي أن اللغة العربية ، بأساليبها الكثيرة الدقيقة ومناحيها المختلفة في الاشتقاق وتنويع الصّور الكلامية ، هي أقرب إلى النظام الطبيعي والتزاميه سجيّةً وسليقة — من هذه اللغات الواسعة الانتشار ، التي نعرف بعضها معرفة تكاد تضارع معرفة أهلها المتميزين بها ، أو نلم بها إلماماً غير قاصر نفقه معه طبيعتها ، أو يصف لنا علماء اللغات أحوالها وخصائصها فنستشف منها نظامها العام في التأصيل والاشتقاق .

---

(*) بحث ألقي في مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة ١٩٧٦



هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ولكن هذا النظام الطبيعي ، الذي تتميز به العربية ، قد يبدو بعض جوانبه في كتب النحو وعليه سمات من الاختلال اليسير ، كما تُلْمَحُ في هذا الاضطراب الذي نجده في تأصيل بعض ما أصّله النُّحاة واللغويون ، رحمهم الله ، من الضوابط ، وفي هذا الاختلاف بينهم في مسائل السّماع والقياس ، وما يتصل بها من القول بالشّذوذ والندرة والبناء على التّوهم ونحو ذلك من أقوال .

وحدوث مثل هذا الاضطراب والاختلاف في تقرير مسائل اللغة العربية ، أمر طبيعي ومعهود في كل لغة أخرى . ومردّه في اللغة العربية إلى جملة عوامل ، اعتملت فيها في تاريخها المديد ، فألقت ظلالها على أذهان اللغويين والنُّحاة وعلى بعض ما استنبطوه من ضوابطها وقواعدها العامة .

وحالة اللغات جمعاء ، هي كذلك أيضاً .. تخضع لأمثال ما خضعت له العربية ، من حيث هي كوائن حيّة ، يعتورها عادة ما يعتور الأحياء من تغيّر وتطوّر ، وكون وفساد ، ونموّ وضمور ، فينعكس ذلك كله على ضوابطها المستنبطة منها وما يقال فيها أحياناً من الشذوذ ونحوه .

وأكثر ما نرى ذلك يعرض لأبنية اللغات الكبيرة ، التي تقادمت عهودها وكانت لها جذور تاريخية وتكلمت بها شعوب كثيرة في بقاع شتى وأزمان متطاولة .

واللغة العربية ، كما نعلم ، لغة عريقة قديمة ممعنة في القِدم ، ضاربة في أعماق التاريخ البعيد . وقد عايشت حضارات أخصبت في الحجاز واليمن وحَضْرَمَوْتَ وعُمان والبحرين ، بل أخصبت في قلب الجزيرة أيضاً ، كما دلّ على ذلك التنقيب عن الآثار وشهره الباحثون في العصر الحديث . واتصلت بالأمم التي تجاورها في البرّ من فُرس وروم ، وبالأمم التي تسكن وراء

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

بحارها من الشرق والغرب والجنوب . وعايشت كذلك البداوة في العصر الجاهلي ، الذي اتصل به ظهور الإسلام وقُدّرت مدته بمِئَتي سنة . فعرفت بفضل هذه المعايشات المختلفة ، ألواناً شتى من ألوان الحياة في صعودها وهبوطها ، وفي حضارتها وبداوتها في مختلف الأحوال المادّية والمعنوية ، وزخرت بذلك مادتها زخوراً منقطع المثال في تاريخ اللغات ، وحملت من ألفاظ الحضارة والبداوة معاً ما ننعم به من مادّتها الثَّرَّة وثرائها الوافي .

ونحن نعلم أنها في عصورها الحضارية القديمة كانت لغة متعددة اللهجات والسِّمات ، ولكنه التعدّد الذي لا يطغى على الأصل الجامع . وكذلك ظلت بعد اندثار تلك الحضارات ، واضطرار العرب بسبب ذلك إلى الانتشار في البوادي ما بين فيافي الحجاز وتهامة ، ومتهامِيهِ الأحقاف واليمامة ، وفي أطراف الجزيرة وحواشيها من أسياف البحر ونخوم البر .. فتوزّعوا فيها قبائل وبطوناً وأفخاذاً ، وعاشوا رُحّلاً جوّابين ، يتنقلون في جزيرتهم من أرض إلى أرض ، يسعون في انتجاع المراعي ومساقط الأمطار ، وقلما كانوا يلتقون إلا متنازعين على موارد العيش .. هكذا تباعد بعضهم عن بعض ، فاستتبع تباعدهم هذا على مرور الزمن تباعد لهجاتهم في أشياء غير قليلة ، ولكنه لم يَنَلْ من الأصل العام الذي ظل محتفظاً بنفسه ومستقراً في النَّحائز والسلائق .

وبهذه القبائل والبطون والأفخاذ العربية المتبدية ، وتلك كانت حالة اللغة من الانتشار وتعدد اللهجات .. اتصل رواة العربية ، بعد أن نجمَ الإسلام وانبثقت الثورة العلمية التي رافقت دعوته بدءاً بنشر الكتابة والقراءة في الأمّيين ، وانتهاءً بالتدوين والتأليف ووضع النحو وصُنع المعجم العربي .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

أخذوها منهم وهي لغـــات قبائل ، لا لغة قبيلة واحدة بعينها ، ودوّنوها جميعاً ولكن من غير أن يصنّفوها بحسب كل قبيلة ، وإن لم يفتهم أن يشيروا في أثنـاء ذلك إلى اختلاف اللهجات . هذا إلى أن ما دوّنوه منها ، على عِظَمه وغزارته ، لم يكن كلَّ ما تكلمت به العرب ، وإنما كان قليلاً من كثير درَسَ وذهب بذهاب أهله كما أجمع على ذلك المؤرّخون .

ثم كانت هذه الأصول ، وهي على هذه الحال ، هي عمدةَ اللغويين والنُّحاة في تأصيل ضوابط العربية التي استنبطوها ابتداء وابتداعاً فأحسنوا ، رحمهم الله ، الإحسان كلَّه . وكان طبيعياً جداً أن يجتهدوا فيما استنبطوه وأصّلوه ، أو في أشياء مما أصّلوه ، اجتهاداً متغايراً ، وأن ينشأ بينهم اختلاف في الآراء ، وتعدُّد في المذاهب ، وأن يقرر هذا غير ما يقرره ذاك ، وأن يحدث القول بالشذوذ ، أو النُّدرة ، أو البناء على التوهم .

على أن هذا كله ، ليس بالقدر الذي يخل بجملة نظام اللغة ، ولاهو بالذي يستعصي على التصحيح لمن أراده ، لا أعني تصحيح اللغـة ، ولكن تصحيح ما تشعّث من بعض ضوابطها التي بنيت على الاستقراء الناقص عند بعض النّحاة ، وعلى الفكر المتزمت عند آخرين .

ولقد اهتدت الدراسات الحديثة المتعمقة ، التي قامت في هذا العصر على التحرر من قيود المتابعة العمياء ، إلى أشياء من هـــذا التصحيح ، أصابت فيها حظوظاً من التوفيق في إبراز عبقرية العربية وتبديد ما ران عليها من بعض القواعد الضاغطة ، من مظاهر العسر والجمود ، وكان لها أثر محمود في الدلالة على حيويتها ، وفي النظرة إلى يُسرها وطواعيتها . ومن ذلك ما تهدّى إليه هذا « المجمع » الجليل موفّقاً منذ أول نشأته ، وما يزال

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

دائباً في طريقه ، وإنه لمرجوٌّ أن تراعي دراساته الحسنتين : أصالة العربية ، وملاحظة مطالب الحياة في ضوء هذه الأصالة .

وكنت قد عرضت ، في بحث سابق ، لقيود اشتقاق اسم الآلة ، وحصر النحاة لها في أوزان ثلاثة ، وتحجيرهم بذلك الواسع من تصرف العربية في هذا الباب الخطير الذي إليه المفزع في هذا العصر الآلي الذي يتقاضانا في كل يوم مئين من ألفاظ الأجهزة والأدوات والآلات في غير تلبُّث ولا وناء ، فدللت به على طواعية هذه اللغة وقدرتها على الاستجابة إلى ما يراد منها .

كما عرضت من بعده لمزاعم الشذوذ في المشتقات ، فرددت كل لفظ من المشتقات الموصوفة بالشذوذ في بابَي اسم الفاعل واسم المفعول خاصةً إلى قانون اللغة النفسي الذي تجري عليه هذه العربية سليقةً ونَجْراً .

وأعرض اليوم لمزاعم البناء على التوهم ، وأنا أرجو أن أستشرف من اجتهادي في تبديد هذا التوهم وإبطاله إلى ما أطمح إليه من التوفيق إن شاء الله .

— ٢ —

أصبت في أقوال النحاة واللغويين في كبار كتب النحو ودواوين اللغة أنواعاً من مزاعم التوهم نسبوها إلى العربية ، أنا ذاكرها بحسب ما انتهى إليها علمي ومفنِّدها واحدة فواحدة ، وهي :

١ — توهم حذف الحرف الزائد .

٢ توهم حذف الحرف الأصلي .

٣ توهم التغيير .

٤ — توهم زيادة الحرف الأصلي .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٥ ـ توهم أصالة الحرف المتحول .

٦ ـ توهم أصالة الحرف الزائد .

٧ ـ العطف على التوهم .

وأفرغ الآن للأنواع الستة ، وأرجىء بحث النوع السابع إلى وقت آخر أعالجه فيه .

• • •

## ١ ـ توهم حذف الحرف الزائد :

ويسميه بعض أهل اللغة « شاذاً » وهو كل ما ورد في كلام فصحاء العرب من المشتقات على « فَعِيل » أو « مفعول »، ولم يسمعوا فعله الثلاثي، وإنما سمعوا منه الفعل الرباعي الذي يبنى اسم المفعول منه على « مُفْعَل » ليس غيرُ ، فيخرّجونه على أنه مبني على توهم حذف الحرف الزائد من فعله ، أو على أنه جاء على خلاف القياس .

ومن أمثلته : ( ذَهيب ) بمعنى ( مُذْهَب ) في قول حُمَيْد بن ثور من مخضرمي الجاهلية والإسلام :

موشّحة الأقراب : أمّا متونُها فملْسٌ ، وأما جلدُها فـ(ذَهيبُ)(١)

قال أبو منصور : « أراه على توهم حذف الزيادة ، أراد الشاعر المُذْهَب ، فتوهم ( ذَهَبَهُ ) ، وبناه عليه » .

---

(١) هذه رواية « تهذيب اللغة » ، نقلها « لسان العرب » و « تاج العروس » . ورواية ديوان الشاعر :

بوحشيّة : أمّا ضواحي مُتونها فملْسٌ ، وأما خَلْقُها فتليبُ

فلا شاهد فيه .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والذي حمل أبا منصور على هذا القول أنه سمع الفعل الرباعي : أذهبه ، إذا طلاه بالذَّهَب ، ولم يسمع ذَهَبَهُ ، فأرسل حكمه على ( ذَهيب ) بأنه على توهم حذف الزيادة . وليس ذلك بصواب كما سأوضحه .

ومنها : ( منبوت ) في رَجَز غامض مجهول قائله ، وربما حكي ( مثبوت ) بالثاء المثلثة في موضع النون ، وهو :

وبلد يُغضي على النُّعوتِ يُغضي كإغضاء الرُّوَى المنبوت

قال ابن سيدَهْ الأندلسي : « أراد ( المُنْبَتّ ) ، فتوهم ( نَبَتَهُ ) كما قال الآخر ( المُسَرّ ) وأراد ( المسرور ) ، فتوهم ( أسَرَّه ) بمعنى ( سَرَّهُ ) » . قال : « وقد ورد هذا اللفظ في مَثَل قديم ، وهو : « كلّ مُجْرٍ في الخَلاء مُسَرّ » ، أي : مسرور . هكذا حكاه أفّار بن لقيط »[1] .

ومنها : ( مبروز ) في قول لبيد بن ربيعة العامري :

أو مُذْهَب جَدَدٌ ، على ألواحِهِ ألناطق ( المبروز ) والمختومُ

وقد أنكر أبو حاتم ( المبروز ) ، وقال : « لعله ( المزبور ) ، وهو المكتوب » . ذلك لأنه سمع ( أبزه ) ، ولم يسمع ( بَرَزَه ) ، وقال غيره : « كتاب مبروز ، أي : منشور ، على غير قياس » يعني أن الشاعر توهم حذف الزيادة .

وغير هذه الأمثلة كثير في الكلام الوارد عن فصحاء العرب ،

---

(١) هو أبو مهدية الأعرابي . رجل من « باهلة » دخل الحواضر ، واستفاد الناس منه اللغة . وكان به عارض من مس . وترجمته في : فهرست ابن النديم ، وطبقات النحويين واللغويين للزبيدي ، وإنباه الرواة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

مما لا يجوز أن ينسب كله إلى توهم حذف الزيادة ، ويوقف عنده ، ولا تبحث الأسباب .

وقد أوردت طائفة من ذلك في بحثي : « تحرير المشتقات من مزاعم الشذوذ » ، فلا أحاول إعادتها هنا ، وحسبي منها التمثيل ببعضها لما زُعم أنه مبني على توهم الحرف الزائد من أفعال الألفاظ المشتقات .

والحق أن هذه المشتقات ، التي جاءت على « فَعِيل » أو « مفعول » ، وظن أبو منصور وابن سِيدَه وأبو حاتم وآخرون غيرهم أنها بنيت على توهم حذف الحرف الزائد ، إنما هي مشتقات من أفعال ثلاثية ، سمعها غيرهم ولم يسمعوهـــا هم ، وثبتت عن قبيل من العرب تعتز العربية بفصاحتهم ، وتتناقل الناس أشعار شعرائهم ، ويحتج أهل اللغة بكلامهم . وهؤلاء هم ( بنو عامر ) ، وهم قوم حُمَيْد بن ثور ، ولبيد بن ربيعة ، صاحبي البيتين اللذين أسلفتهما ، فلا جَرَمَ أنهما — ومثلهما غيرهما لم أذكرهم — إنما تكلموا بلغة قومهم ، ولم يتوهموا في شيء مما بنوه عليها من كلام .

وقد ذكر بعض أهل اللغة أن أبا حاتم لما أنكر ( المبروز ) في قول لَبيد :

أو مُذْهَبٌ جُدَدٌ ، على ألْواحِهِ ألنّاطِقُ ( المبروزُ ) والمختومُ

استظهروا عليه بأن لَبيداً قال في كلمة أخرى له :

كما لاح عُنوانٌ ( مبروزة ) يلوح مع الكف عُنوانُها

وقالوا : « فهذا يدل على أنه لغته ، والرواة كلهم على هـــذا ، فلا معنى لإنكاره » .

ومعنى « أنه لغته » : أنه لغة قومه ( بني عامر ) ، ومقتضاه أن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ماورد عن فصحاء العرب ، وصحت روايته من مثل هذه المشتقات ، يجب أن يردّ إلى لغة ( بني عامر ) ، وبنو عامر يقولون : ذهَبَه فهو ذهيب ، ونبته الله فهو منبوت ، وبرزه فهو مبروز . . الخ ، وغيرهم يقولون : أذهبه وذهّبه فهو مُذْهَب ومُذَهَّب ،وأنبته الله فهو مُنْبَت ، وأبرزه فهو مُبْرَز . .الخ . على أنه ربما وافق ( بنو عامر ) غيرهم أيضاً فقالوا : أذهبه فهو مُذْهَب ، كما قالوا : ذهبه فهو ذَهيب ، كما جاء في قول لبيد المتقدم :

أو (مُذْهَبٌ) جَدَدٌ ، على ألواحِهِ ألنّاطقُ ( المبروزُ ) والمختومُ

فقد جمع لبيد في هذا البيت بين اللغتين .

وبهذا تسقط دعوى بناء أمثال هذه المشتقات على التوهّم : توهّم حذف الحرف الزائد ، إذ لا توهّمَ في ذلك ، لأنها مبنية على أصول ثلاثية ، هي فروع منها ، ولا يمكن أن تكون فروعٌ من غير أصول . وقد لحظ أبو علي الفارسي وصاحبه ابن جنّي ذلك ، فاتخذا الاستهداء بالوصف على فعله أصلاً معتمداً ، وقالا : « إذا صحّت الصّفة فالفعل حاصل في الكفّ » . وهو قول سديد ، فيه فتح طريق لاحبة ، يزداد بها بيان اللغة سَعةً على سَعَتِه ، وتطّرد مقاييسها ، وينتفي عنها كثير مما يضاف إليها من الشذوذ والبناء على التوهم .

## ٢ – توهم حذف الحرف الأصلي :

وذلك في مثل قول العرب : أرَضُون في جمع أرض ، ودُهَيْدِهُونَ في جمع دَهْداه – وهي القِطعة من الإبل ، وفُتَكْرُونَ في جمع فُتَكْر ، وأبَيْكِرُونَ في جمع أبَيْكِر تصغير أبكر ، والبَرْحُونَ في جمع البَرْح ، والأقْوَرُونَ في جمع أقور . . وفُتَكْر ، والبَرْح ، والأقْوَر ، قالوا : إنها أسماء الدّواهي .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد ذكر هذه الألفاظ ، على هذا النحو ، أحمد بن عبد النّور المالَقي الأندلسي المتوفى سنة ٧٠٢ هـ في « رصف المباني في شرح حروف المعاني » (١) ، وقال : « إنها جمعت بالواو والنون ، دلالة على أنها قد حذف منها شيء ( توهماً ) ، وهو التاء التي تدل على التأنيث ، فأرض مؤنثة ، فحقها أن تكون بتاء التأنيث ، فلما استُعملت بغير التاء ، بقيت التاء ( متوهمة ) فيها في التقدير ، فجعلت الواو تدل عليها ، وجرت التاء في ذلك مجرى اللام المحذوفة (٢) ؛ لأن بين تاء التأنيث ولام الكلمة مناسبة من جهات . . » . ثم قال : « وأما أبَيْكِرُونَ ، فجمع أبَيْكِر ، تصغير أبكر . وكان حقه أن يقول : أبكرة ، كأُثْدِيّة ، وأجْرِية ، جمع جَرْو ، فيؤنث على معنى القطعة . فلما تُوهِّم ذلك ، جمع بالواو والنون ، دلالة على ذلك ، وأما فُتَكْرُونَ ، والبُرَحُونَ ، والأقْوَرُونَ ، فكل واحد منهم ( ؟ ) جمع ما هو في معنى الداهية ، والداهية مؤنثة ، وكذلك ما في معناها . فلما ( توهموا ) ذلك ، جعلوا الجمع بالواو والنون دلالة على ذلك ، وجمع ذلك كله على معنى التكثير في الأمر الداهي ، واختلاف أنواعه » .

وقد فهمت ما حكاه ، وتفلسف فيه ، وما هو بشيء ! إن لم أقل فيه غير هذا !.

---

(١) طبعه مجمع اللغة العربية بدمشق ( المجمع العلمي العربي ـ سابقاً ) ، سنة ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م ، وقد حققه أحمد محمد الخراط .

(٢) يعني قول العرب : « مِئُونَ في جمع مِئَة ، وثُبُونَ في جمع ثُبَة ، وظُبُونَ في جمع ظُبَة .. إلخ » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وهذه ألفاظ سمعت من بعض العرب على هذا النحو ، ولحظ النحاة المخالفون الذين بالغوا في التعليل الواوَ والنونَ في أواخرهـــا ، وساؤوا إخضاعها لما أصّلوه من قصر الجمع بالواو والنون على المذكر العاقل ، فطفقوا يلفقون لها أمثال هذه العلل الباردة التي لم تمرّ بخواطر العرب ، ولاجالت منهم في وهم ولا في خيال .

والمالقيّ ، قد ناقض نفسه ، وجمع بين الضبّ والنون ، حين نسب إلى العرب التوهم والدراية في وقت معاً ، وذلك قوله : « إن العرب قد حذفت من هذه الألفاظ حروفاً معينة ( توهماً ) ، ثم جمعتها بالواو والنون ( لتدل على المحذوف ) . وهذا كلام متناقض ، يجمع بين التوهم والقصد ، وهما نقيضان لايجتمعان .

وأقرب شيء إلى العقل ، وأقومه في المنطق ، أن يقال في هذا : إن العرب إنما جمعت الأرض جمع مذكر سالماً إنزالاً لها منزلة العاقل ، وعلى ذلك جاءت الآية الكريمة : ﴿ والشمسَ والقمرَ رأيتهم لي ساجدين ﴾ .

ومثله يقال في كل ماجاء على هذه الوتيرة من الألفاظ ، كالدهيدهين والأبيكرين — وقد وردت هذه مجموعة جمع مؤنث سالماً أيضاً في رجز في « الأصمعيات » :

قد رَوِيتْ إلا دُهَيْدِهينا أبيكراتِ وأبَيْكِرينا

الفُتكرين ، والبُرْحين ، ولأقْوَرين ، وقد قالوا في هذه الثلاثة : جمعت بالواو والنون ، ولم يستعملوا فيها الإفراد فيقولوا : فُتكر ، وبَرْح وأقور ، من حيث كانوا يصفون الدواهي بالكثرة والعموم والاشتمال والغلبة ، ولم يقضوا بما قضى به المالقي عليها من جمعها بالواو والنون على التوهم والتعويض .



هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وفي العربية غير ما ذكره المالقي ألفاظ أخرى من هذا القبيل ، جمعت بالواو والنون ، ولم يتوفر فيها شرط قاعدة جمع المذكر السالم .

منها : عِلِّيُّون ، جمع عِلِّيٍّ ، في قوله تعالى : ﴿كلا إنّ كتابَ الأبرارِ لفي عِلِّيِّينَ﴾ . ووابِلُونَ في قول الشاعر :

فأصبحت المذاهب قد أذاعت بها الإعصار ، بعدَ الوابِلينا

أراد المطر بعد المطر . ومَرَقُون ، وقد قال بعض رواة العربية : سمعت العرب تقول : « أطعمنا مَرَقه مَرَقين » ، تريد اللحمان إذا طبخت بماء واحد ، وأنشد :

قد رَوِيت إلا دُهَيْدِهينا أبيكراتٍ وأبيكرينا

وما أدرانا أن هذا الجمع بالواو والنون كان هو الأصل في العربية القديمة المعرقة في القدم ، ثم جرى التطور فيها في صيغته ، فتعددت صوره على النحو المعروف ، وبقيت هذه الألفاظ شواهد على ذلك الأصل القديم الذي لم يميز بين تذكير وتأنيث ، ولا بين عاقل وغير عاقل !

### ٣ ـ توهم التغيير :

ذكر أحمد بن عبد النور المالقي في « رصف المباني » من هذا النوع ثلاثة ألفاظ ، قال : إنها غُيِّرت ( توهماً ) ، وجمعت جمع مذكر سالماً للدلالة على هذا التغيير .

وهي : إوَزُّونَ ، وإحَرُّون ، وحَرُّون .

أما ( إوَزُّونَ ) ، فقد وردت في قول النابغة الذبياني يصف امرأة بدوية قد تحضَّرت ، وهو في « لسان العرب » ( و/ز/ز ) :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تلقى الإوَزّينَ في أكناف دارتها فَوْضَى، وبينَ يديها التّينُ منثورُ (١)

قال في تفسيره : إن هذه المرأة تحضّرت ، فالإوَزّ في دارتها تأكل التّين ، وإنما جعل ذلك دلالة على التحضر لأن التين إنما يكون في الأرياف ، وهناك تأكله الاوَزّ .

وأما ( إحَرّون ) فقد وردت في قول زيد بن عتاهية التّميميّ :

لاخُمْسَ إلّا جَنْدَلُ (الأحَرّينْ) والخُمْسُ قد أجشمك (الأمَرّينْ)

جَمْزاً إلى الكوفة من قِنّسْرِينْ

وأما ( حَرّون ) فقد وردت في رجز غير منسوب ، وهو (٢) :

لكنّ حَيّاً نزلوا بذي بينْ فما حوت « تُقْدَةُ » ذات (حيرّينْ)

أو « ذات الحيرّين » .

قال المالقيّ في « رصف المباني » : هذه الألفاظ غُيّرت (توهماً)، فدلت الواو على ذلك .. وكان الأصل : إوْزَزَة ، وإحْرَرَة ، وحَرَرَة في معنى أحِرّة ، فجرت مجراها ، فلما نُقلت حركة الزاي الأولى ، والراء الأولى إلى الواو والحاء ، لاجتماع المثلين ، سُكنتا ، فاندغمتا فيما بعدهما ، فجعل الجمع بالواو والنون عوضاً عن التغيير المذكور ، ولا يقاس على شيء

---

(١) وروايته في الديوان ( ص ٩٤ ) :

تلقي الإوَزّينَ في أكناف دارتها بَيْضاً ، وبين يديها التِّبْنُ منثورُ

كذا رسم فيه ( التبن ) بالباء الموحدة !

(٢) ذكره ابن يعيش في شرح المفصل ، وياقوت في « حرة تُقْدَة » من معجم البلدان ، واقتصر المالقي على الثاني . وتقدة ، بالتاء المثناة الفوقية ، وتروى : نقدة ، بالنون : موضع .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

منها غيرها ، وإنما عُلِّل من ذلك ما عُلِّل بعد السماع ، لأنه ليس باباً يُبنى عليه » .

وأقول : إن تعليل المالقي جمع هذه الألفاظ بالواو والنون بأنه عوض عن تغييرها المتوهَّم ، فاسد ، لأنه غير معقول ، ومتناقض ، لأنه يجمع بين التوهُّم والدراية .

وقد علّلها غيره بما علّلها به ، ولم يذكروا هذا ( التوهم ) ، فقالوا في تعليل جمع ( الإوَزَّة ) : « إن قال قائل : ما بالهم قالوا في جمع إوَزَّة : ( إوَزُّونَ ) بالواو والنون ، وإنما يفعل ذلك في المحذوف ، نحو : ظُبَة وظُبُون وثُبَة وثُبُون ، وليست إوَزَّة مما حذف شيء من أصوله ، ولا هو بمنزلة ( أرض ) في أنه بغير هاء ؟ فالجواب : أن الأصل في : إوَزَّة ، إوْزَزَة ، إفْعَلَة ؛ ثم إنهم كرهوا اجتماع حرفين متحركين من جنس واحد ، فأسكنوا الأول منها ، ونقلوا حركته إلى ما قبله ، وأدغموه في الذي بعده . فلما دخل الكلمة هذا الإعلال والتوهين ، عوضوها منه بالواو والنون ، فقالوا : إوَزُّون » .

وفي ( إحَرِّينَ ) و ( حَرِّينَ ) ، قال سيبويه : « زعم يونس أنهم يقولون : حَرَّة وحَرُّون ، جمعوا بالواو ، يشبهونه بقولهم : أرض وأرَضُون ، لأنها مؤنثة مثلها » ، قال : « وزعم يونس أيضاً أنهم يقولون : حَرَّة وإحَرُّون ، يعني الحِرار ، كأنه جمع إحَرَّة ، ولكن لا يُتكلم بها » .

وقال بعض النُّحاة : « إن قال قائل : ما بالهم قالوا في جمع حَرَّة وإحَرَّة : حَرُّون وإحَرُّون ، وإنما يفعل ذلك في المحذوف ، نحو ظُبَة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وظُبُون وثُبَة وثُبُون . وليست حَرّة ولا إحَرّة مما حذف منه شيء من أصوله ، ولا هو بمنزلة ( أرض ) في أنه مؤنث بغير هاء ؟ فالجواب : أن الأصل في إحَرّة : إحْرَرَة ، وهي إفْعَلة . . إلى آخر ما تقدم مثله في إزَرّة . قال : ولما فعلوا ذلك في إحَرّة ، أجروا عليها حَرّة فقالوا : حَرُّون ، وإن لم يكن لحقها تغيير ولا حذف ، لأنهـــا أخت إحرّة من لفظها ومعناها . قال : وإن شئت ، قلتَ : إنهم قد أدغموا عين حَرّة في لامها ، وذلك ضرب من الإعلال لحقها » .

وقال ثعلب : « إنما هو « الأحَرّين » ، جاء به على « أحَرّ » وكأنه أراد هذا الموضع الأحَرّ ، أي الذي هو أحَرّ من غيره ،فصيره كالأكرمين والأرحمين » .

قلت : عنى ثعلب أنه أنزل منزلة العقلاء ، فجمع جمعَ مذكر سالماً.

فالقول بـ ( توهم التغيير ) في هذه الألفاظ ، وتعويضه عند الجمع بالواو والنون ، بحسب زعم المالقي ، لم يرد في كلام الأوائل . وما قاله ثعلب هو المقبول السائغ . على أن هذه الجموع ربما كانت من بقايا صيغة الجمع في العربية القديمة قبل تطورها ، وحدوث تعـــدُّد صوره كما قلت من قبل .

### ٤ – توهم زيادة الحرف الأصلي :

القول بتوهم زيادة الحرف الأصلي ، قول حديث .. توهمه صديقنا العلاّمة عبد القادر المغربي ، عليه رحمة الله ، فطفق يلهَجُ به ، ويذيعه في بحوثه ، محاولاً أن يتخذه قاعدة جديدة في العربية يُعمل بها ويقاس عليها . وقد تكلف لها طلب الشواهد ، فلم يظفر — بعد جهـد ومعاناة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بحث — بغير سبعة ألفاظ ، رآها تسعفه في تقرير ما يريد تقريره من هذه القاعدة الجديدة ، وتعسّف في تخريجها وتكلف ما شاء ، وليس في شيء منها غناء .

هذه الألفاظ السبعة ، هي :

١ — أشياء . ٢ — بُراء جمع بريء .

٣ — أملاك جمع مَلَك . ٤ — مناثر جمع منارة .

٥ — طحّان ، مُستمّىً به . ٦ — فينان .

٧ — تعلمت لُغاتاً .

وقد ذهب إلى أن في كل لفظ من هذه الألفاظ حرفاً أصليّاً ( توهمته ) العرب زائداً ، وقال : إنه يؤسس قاعدته هذه : « قاعدة توهم الحرف الأصلي زائداً » على تعليل الكسائي « منع صرف ( أشياء ) أن العرب ( اشتبه ) عليهم أمر همز هذه الكلمة ، لوقوعها بعد الألف ، فظنوها زائدة كهمزة : حمراء ، مع أنها أصلية كهمزة : أفياء ، ومنعوها من الصّرف ، بناء على هذا ( الاشتباه ) ، بل هذا ( التوهم ) ».

هكذا عزا هذا التعليل بألفاظه إلى الكسائي .

والكسائي ، فيما علل به منع صرف ( أشياء ) ، لم ينسب إلى العرب ( الاشتباه ) ، ولا ( التوهم ) في أمر همز هذه الكلمة ، وإنما ذكر ( التشبيه ) ، والتشبيه هو غير الاشتباه والتوهم بداهةً .

وعبارته ، في « لسان العرب » . وقد وردت فيه في صورتين ، خلتا من الاشتباه والتوهم .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أما الصورة الأولى ، فقد نقلها عنه أبو إسحاق الزَّجّـــاج ، قال — وهو يسرد أقوال أهل اللغة في تعليل منع ( أشياء ) من الصرف — :

« وقال الكسائي : « ( أشبه ) آخرُها آخرَ حمراء ، وكثر استعمالهم لها فلم تصرف » .

وأما الصورة الثانية في « لسان العرب » ، فهي :

« وقال الكسائي : « ( أشياء ) ، أفعال ، مثل : فرْخ وأفراخ ، وإنما تركوا صرفها لكثرة استعمالهم لها ، لأنها ( شُبِّهت ) بفَعْلاء » .

فأين ( الاشتباه ) و ( التوهم ) في كلام الكسائي ؟

على أن الزجَّاج قد قرر أن البصريين وأكثر الكوفيين ، أجمعوا على أن قول الكسائي خطأ في هذا ، وألزموه أن لا يصرف ( أبناء ) و ( أسماء ) .

وقال مؤسس النحو الحقيقي ( الخليل بن أحمد الفراهيدي ) ، رحمه الله : « إن ( أشياء ) اسم للجمع ، كان أصله فَعْلاء ، شيئاء ، فاستثقل الهمزتان ، فقلبوا الهمزة الأولى إلى أول الكلمة ، فجعلت لفعاء ، كما قلبوا أَنْوُقاً ، فقالوا : أيْنُقاً ؛ وكما قلبوا قَوْوساً ، فقالوا : قِيسِيّاً » .

قالوا : « وتصديق قول الخليل ، جمعهم أشياء : أشاوَى وأشايا » .

قالوا : « وقول الخليل ، هو مذهب سيبويه والمـــازني وجميع البصريين إلا الزّيادي منهم »[1] .

---

(١) يرى أحد الفضلاء الباحثين المعاصرين ، وهو : د . رمضان عبد التواب غير هذه الآراء في المسألة ، وأوافقه فيما يذهب إليه ، إذ يقول ( مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ٣٣/١١٩ ) :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فما أسسه عليه العلاّمة المغربي من هذه القاعدة ، إنما أسّسه على شفا جُرُف هارٍ ، ولم يسلم له الدليل الذي استعان به ، لا لأنه تصرف في عبارة الكسائي فصيّر ( التشبيه ) : ( اشتباهاً ) ، حَسْبُ ، بل لأن الكسائي لم يصب في تعليله منع صرف ( أشياء ) مشكلة الصواب أيضاً .

وأما شاهده الثاني ، وهو ( بُراء ) – على وزن غُراب – في جمع بريءٍ ، الذي منع صرفه ، فقد قال فيه : « إن قوماً منعوه من الصرف ، مع أن همزته أصلية لا زائدة » . ثم ساق ما علّل النّحاة به منعه من الصرف ، ولم يرتضه ، وزعمه تعسّفاً وفرطَ تكلف ، وقال : « والأولى أن نخرّجه تخريج الكسائي لمنع الصرف في ( أشياء ) ، استناداً إلى ( قاعدة توهم الزيادة ) ! » .

قال ، وأضاف ( التوهم ) إلى نفسه وإلى من ظنه معه : « فإننا ( توهمنا ) زيادة همزة ( بُراء ) ، مع أنها أصلية ، ومستندنا في هذا ( التوهم ) رأي الكسائي في تخريج منع صرف أشياء ، وأنها منعت ( لمشابهتها ) لحمراء ! » . وهذا ، أعني قوله ( لمشابهتها ) ، هو لفظ الكسائي جاء به هنا مطابقاً لأصله ، وهو يبطل ( الاشتباه ) أو (التوهم) الذي نسبه قبلُ إلى الكسائي مرّةً ، وإلى نفسه مرة .

---

= « ولعل المسؤول عن منع كلمة ( أشياء ) من الصرف ، وقوعها في القرآن الكريم ، في سياق تتوالى فيه الأمثال لو صرفت ، في قوله تعالى ( لاتسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم ) « سورة المائدة ١٠١/٥ » إذ لو صرفت لقيل : ( عن أشياءٍ إن ) ، ولايخفى ما فيه من تكرار المقطع : ( إن ) . وليست العربية بدعاً في سلوك طريق الحذف ، للتخلص من توالي الأمثال » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

على أن ( بُراء ) ، بوزن ( غُراب ) ، لا يعدو أن يكون تسهيل ( بُرَاء ) ، روعي أصله فأبقي ممنوعاً من الصرف . وقال ابن جني : « يجمع بريء على أربعة من الجموع .. ورابعها : بريء وبُراء ، مثل ما جاء من الجموع على فُعال ، نحو : تُؤام ورُباب ، في جمع : تَوْأم ورُبّى » . فهذا هو ، واللغة نقل وسماع ، وليست تعليلاً وأهواء .

وأما شاهده الثالث ( أملاك جمع مَلك ) ، فقد قال : إنه « ليس في هذا الشاهد منع صرف ، وإنما فيه جمع ( مَلَك ) على ( أملاك ) . ووجه الغرابة والشذوذ في هذا الجمع أن ( مَلك ) ( ؟ ) أحد ملائكة السماء ، مشتق من الألوكة ، وهي الرّسالة .. » .

وتكلم على أصل هذه الكلمة ، وتصرّف العرب فيها ، ثم قال: « وسواء أقلنا : إن أصل مَلَك : مألك ، أو مألاك ، أو ملاك ، فإن همزته أصلية لا زائدة . وإذ كانت الجموع ترد الأشياء إلى أصولها ، فيكون جمع مَلَك ، إنما هو : مَلائك ، وملائكة بالهمزة الأصلية . لكننا سمعناهم يجمعونها أيضاً على أملاك ، كأفراس جمعاً لفرس . وقد أشبهت أملاك التي هي جمع مَلَك السماء ، أملاك التي هي جمع مليك المكسور اللام : أحد ملوك الأرض ، فيها : أملاك وأملاك جمعان متفقان لفظان ، مختلفان معنى وتخريجاً » .

وانتهى من هذا إلى أن اللغويين يعدون ذلك شاذاً ، ويراه ( هو ) مُخَرَّجاً على ( قاعدة توهم الزيادة ) ! « أي زيادة الهمزة في : مَألك ومَلأك ، مع أنها أصلية .. غير أن العرب — على حد قوله - ( توهموا ) الهمزة في مألك ومَلأك زائدة ، وأن وزن ملك المخفف منها هو مَفعَل ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

بالتحريك ، وفعل يجمع على أفعال ، فقالوا ، بناء على هذا ( التوهم ): أملاك ، كما قالوا : ملائكة ، على الأصل » .

هذا ما قرره ، ولم أجد أحداً غيره قاله .

والذي في دواوين اللغة ، هو : أن أملاكاً جمع مليك ، بكسر اللام ، أحد ملوك الأرض ، ليس غيرُ ، أما المَلَك ، بفتح اللام ، فجمعه فيها ملائك وملائكة ، ولا ثالث لهما .

ففي « لسان العرب » وغيره ، واللفظ له في ( م/ل/ك ):

« والمَلْك ، والمِلك ، والمليك ، والمالك : ذو الملك . ومَلْك ، ومَلِيك ، مثال : فَخْذ ، وفَخِذ ، كأن المَلْك مخفف من مِلك ، والمليك مقصور من مالِك أو من مليك ، وجمع المَلْك ملوك ، وجمع المِلك أملاك ، وجمع المليك مُلَكاء ، وجمع المالك مُلَّك ومُلّاك . والأمْلُوك اسم للجمع . ورجل مليك ، وثلاثة أملاك إلى العشرة ، والكثير ملوك » .

وفي ( أ/ل/ك ) :

« والمَلَكُ ، مشتق منه [ أي من : ألك ] . . والجمع ملائكة ، دخلت فيها الهاء ، لا لعُجمة ولا لنَسَب ، ولكن على حد دخولها في القَشاعمة والصَّياقلة ، وقد قالوا : الملائك » . ولم يَزِدْ .

وفي ( ل/أ/ك ) :

« والمَلأك : المَلَك ، لأنه يبلِّغ الرسالة عن الله ، عز وجل ، فحذفت الهمزة ، وألقيت حركتها على الساكن قبلها ، والجمع ملائكة ، جمعوه مُتَمَّماً ، وزادوا الهاء للتأنيث . . » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وبهذا سقط شاهده الثالث أيضاً .

وأما شاهده الرابع ، وهو ( منائر ) بالهمزة في جمع منارة ، فقد قال فيه : « إن ألف منارة أصلية ، لا زائدة . . لكنهم ( توهموها ) زائدة ، وقد ظهر أثر هذا ( التوهم ) في الجمع فقالوا : منائر ، بالهمزة ، والقياس : مناير ، بالياء ، إذ القاعدة في ذلك أن الواو والياء ، إذا وقعتا في فعائل جمعاً بعد ألف تهمزان إذا كانتا زائدتين ، كياء فضيلة الزائدة ، يقال فيها : فضائل : وتبقيان على حالتيهما إذا كانتا أصليتين ، كواو منارة ومغارة ،فيقال في جمعها : مناور ومغاور ، لكنهم في مناور قالوا : منائر ، بالهمز ، ولا يمنع أن يقال فيه : مناور ، بالواو أيضاً كما هو القياس » .

وقد أجاب بعضهم عن هذا بأنه تطور جديد للكلمة ، فلايخضع للتوهم.

والجواب الصحيح أنه لغة من لغات العرب ، جرى أهلها في أمثال هذا على همزه ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وجَعَلْنا لكم فيها مَعائِشَ ﴾ « سورة الأعراف ٧/١٠ » في بعض القراءات المروية في الآية ، فلا توهم في ذلك ، ولا تطوّر !

وأما شاهده الخامس ، وهو ( طَحّان ) عَلَماً لرجل ، فقد قرّر أن العرب ( توهموه ) كسكران ، فأجروه مُجراه ، ومنعوه من الصرف .

أما علماء العربية ، فقد ذهبوا في هذا وأشباهه مذهباً آخرَ غير ( التوهّم ) ، وقرروا أن العرب ( يشبّهون ) النون الأصليـــة في ( طحّان ) مثلاً بالنون الزائدة في مثل ( سكران ) ، فيمنعونه من الصرف ، وذلك إذا سمّوا به .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

قال الفرّاء : « وهذا عند أهل الكوفة أسوغ منه عند البصريين ».

وإنه لرأي سديد للكوفيين والبصريين ، على الاختلاف اليسير بينهما ، يضيف إلى ما اشترطوه في منع الكلمة من الصرف ، إذا زيد في آخرها الألف والنون ، ما يُشبهها في ذلك ، وإن كان أحد هذين الحرفين أصلياً ، ويجرونه مُجراه إذا كان عَلَماً ، طرداً للباب ، وتوحيداً للنظائر . وفي هذا توسعة لقاعدة موانع الصرف ، وتخفيف لبعض القيود .

وقد اهتدى الأستاذ المغربي إلى هذا النص في « كتاب عبث الوليد» لأبي العلاء المعري ، ولكنه لم يرتضه ، وأبى إلا مخالفته ، وإن كان قد أطبق عليه نحاة المِصْرَيْن ؛ وهم بُناة النحو العربي ، وأصرّ على القول ببناء ذلك على ( التوهم ) ! ، ليستقيم له ما يريده ، وهيهات !

وأما شاهده السادس ( فَيْنانُ ) ، فإنه نقل فيه قول أبي العلاء المعري في « عبث الوليد » شارحاً بيت البُحتري :

أتت بركات الأرض من كل وجهة
وأصبح غصن العيش ( فينانَ ) أخضرا

قال أبو العلاء : « شعر فَيْنان ، وغصن فَيْنان : من التَّفَنُّن ، فوزنه فَيْعال[٧] . لكن يترك صرفه كأنه على وزن فعلان » .

قال المغربي : « وإذا كان على وزن فعلان ، كانت نونه زائدة ، كنون ( سكران ) ، فيمنع من الصرف . فقول المعري : « لكن يترك صرف ( فينان ) كأنه على وزن « فعلان » ، لا معنى له إلا كون

---

(١) قال المغربي : « أي فتكون نونه أصلية ، لا زائدة ، فلا يمنع من الصرف » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وزنه على فعلان الزائد النون أمراً مفروضاً فرضاً ، أو معتبراً اعتباراً ، أو ( متوهماً توهماً ) ، وهو التعبير الصحيح الشائع على ألسنة اللغويين » .

وأقول : إن ما قرّره المعري في هـذا اللفظ ، هو المذهب الذي سنّه النحاة واللغويون قبله بأزمان متطاولة ، تبدأ بأوائل العهد بنضج النحو على يد الخليل ويونس وسيبويه وغيرهم من الأئمة . وهم قد بنَوْا رأيهم في أمثال هذا اللفظ على معنى اللفظ ومادته الاشتقاقية ، فأداروا الكلام عليها وفاقاً لمنطق اللغة والاشتقاق والمعنى ليس غيرُ . وهذا هو السبيل ، ولا مناص من سلوكه . وليس في المسألة « أمر مفروض فرضاً ، أو معتبر اعتباراً ، أو ( متوهم توهماً ) » ، ولم يَرِد فيما قرروه من ذلك هـذا ( التوهم ) الذي يحلو للأستاذ المغربي ترديده ، وليس هو بـ « التعبير الصحيح » ، ولا هو بـ « الشائع على ألسنة اللغويين » على النحو الذي يتخيله ، أو يتعمد تخيّله !

وإنما الصحيح هو ما ذكرته من مذهبهم ، الذي تابعهم المعري عليه لأنه منطق المعنى والاشتقاق ، وقد قال هؤلاء في لفظ ( الفينان ) نفسه ، ولاحظوا فيما قالوه مـادته الاشتقاقية ومعناه ، ما أرويه بحروفه ، وأبدأ بسيبويه . قال : « شعر فينـان : معنـاه أن له فنوناً كفنون الشجر ، ولذلك صُرِف ، ورجل فينان وامرأة فينانة » ؛ قال ابن سيده : « وهذا هو القياس ، لأن المذكّر فينان مصروف مشتق من أفنان الشجر » .

وقال أبو منصور : « فينان ، فَيْعال ، من الفتن ، واليـاء زائدة » . وفي التهذيب : « وإن أخذت قولهم « شعر فينـان » من الفَتَنَ وهو الغصن صرفته في حالي النكرة والمعرفة ، وإن أخذته من

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الفَيْنَة وهو الوقت من الزمان ألحقته بباب فعلان وفعلانة فصرفته في النكرة ، ولم تصرفه في المعرفة » (١) .

وهكذا يقولون في أمثاله ، ومن ذلك ( حَسّان ) اسم رجل ، قالوا : « إن جعلته فَعّالاً من الحُسْن أجريته ، أي صرفته ، لأن النون حينئذٍ أصلية ، وإن جعلته فَعْلانَ من الحَسّ وهو القتل ، أو الحِسّ بالشيء ، لم تجْرِه » (٢) .

فالصرف والمنع عندهم تابعان للاشتقاق والمعنى ليس غيرُ ، ولاوجود ( للتوهم ) في المسألة .

وأما شاهده السابع ، وهو باعترافه عارٍ بين توهم الأصالة وتوهم الزيادة ! ، فقد قال : « إنه نوع من التوهم غريب : لا هو من توهم الأصالة ، ولا هو من توهم الزيادة ، وإنما هو من توهم الحرف الزائد حرفاً زائداً آخرَ » ! وذكر مثاله فقال : « مثاله لغات جمع لغة ، فإنه جمع مؤنث ينصب بالكسرة ، تقول : سمعت لغاتِ العرب ، لكن حكى الجوهري في « صحاحه » : أن العرب ( يتوهمون ) تاء جمع التأنيث زائدة ، كالتاء التي يوقف عليها هاءً في نحوِ : قُضاة ورُواة ، فكما يقولون : رأيت قُضاةَ البلد ، بفتح تاء قضاة ، يقولون : سمعت لغاتَ العرب ، بفتح تاء التأنيث » .

ثم استدرك بأن « الجوهري عبّر عن هذا (التوهم ) بـ (التشبيه )»،

---

(١) ينظر لسان العرب ( ف/ن/ن ) .

(٢) الصحاح ، ولسان العرب ( ح/س/س ) و ( ح/س/ن ) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

فقال : إنهم ( شبّهوا ) تاء لغات بتاء فضاة » ، وحكى عبارته ، ونصّها: « وجمعها ، أي جمع لغة : لُغىً ولغات أيضاً ، وقال بعضهم : سمعت لغاتهم ، بفتح التاء ، و ( شبّهها ) بالتاء التي يوقف عليها » انتهى .

فأين الشاهد على ( التوهم )في تعليل الجوهري فتح تاء جمع المؤنث السالم ، وهو لم يذكر غير ( التشبيه )؟ فهل عرف من معاني ( التشبيه ) في كلام العرب : ( التوهم ) ، ليصح الاحتجاج به ؟

على أنني أرفض تعليل الجوهري ، إذ لا أرى للتشبيه الذي يذكره وجهاً .. فإن فتح تاء جمع المؤنث السالم إنما هو لغة قوم بعينهم من العرب ، انفردوا بها ، وجروا عليها قياساً متبعاً في كلامهم . ولو كان ما يقوله الجوهري في لغة قبيلة واحدة لجاز حمل شيء منها على شيء آخر . ولكن الأمر ليس كذلك . وفتح تاء جمع المؤنث السالم ، هو لغة بني عَدِيّ كما يؤخذ من رواية راويها عنهم . و « بنو عَدِي » يطلق على بطون كثيرة من القحطانيين ومن العدنانيين أيضاً . والراوي لهذه اللغة عنهم هو واحد منهم ، وهو أبو خَيْرَة نَهْشَل بن زيد العدوي ، ولم يذكر من أيهم هو ؟ وهو أعرابي بدوي ، دخل الحاضرة ، وأفاد ، وأخذ الناس اللغة عنه ، وصنّف في الغريب كتباً ، منها : كتاب « الحشرات » . وقد روي عنه هـــذا الخبر ، وفيه « لغاتهم » مرة ، و « إباتهم » و « عِرْقانهم » مرة أخرى ، وكلتا الروايتين يرويها ثعلب أحمد بن يحيى اللغوي المشهور في مسألة بعينها ، هي فتح تاء جمع المؤنث السالم .

قال : « قال أبو عمرو بن العلاء لأبي خيرة : كيف تقول :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

حفرتُ إراتِكَ (١) ؟ فقال : حفرت إراتَكَ ، قال : فكيف تقول : استأصل الله عِرْقانِهم (٢) ؟ فقال أبو خَيْرَة : استأصل الله عِرقاتَهم ، فلم يعرفها أبو عمرو ، وقال : لانَ جلدك (٣) ، يا أبا خَيْرَة ! يقول : أخطأتَ » .

لكن نعلباً أقر أبا خيرة على ما قال ، واعتذر عن أبي عمرو بأنه لم تبلغه هذه اللغة .

وقال ابن جني : « سأل أبو عمرو أبا خيرة عن قولهم : استأصل الله عِرْقاتهم ، فنصب أبو خيرة التاء من عِرْقاتهم ، فقال له أبو عمرو : هيهات ، أبا خَيْرة ، لانَ جلدك ! وذلك أن أبا عمرو استضعف النَّصب ، بعدما كان سمعها منه ( ؟ ) بالجر ، قال : ثم رواها أبو عمرو فيما بعد بالجر والنصب ، فإما أن يكون سمع النصب من غير أبي خيرة ممن تُرضى عربيته ، وإما أن يكون قد قوي في نفسه ما سمعه من أبي خَيْرَة بالنصب ، ويجوز أيضاً أن يكون أقام الضعف في نفسه فحكى النصب على اعتقاده ضعفه ، قال : وذلك لأن الأعرابي ينطق بالكلمة يعتقد أن غيرها أقوى في نفسه منها .. » .

وليس يعنيني من كلام ابن جني إلا ما يذكره من رواية أبي عمرو ابن العلاء ، فيما بعد ، الفتحَ والجرَّ في نصب جمع المؤنث السالم ، والوجه

---

(١) الإرات : جمع الإرَة ، وهي الحفرة التي توقد فيها النار .

(٢) العرقات : جمع عِرق وعِرقة ، وعرق الشيء أصله وأرومته .

(٣) وفي رواية : « ياأبا خيرة ، أريد أكشف منك جلداً ، جلدك قد رق » يعني أنه لابس الحضارة وعاشر أهلها ، ففسدت لغته .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الأول الذي علمها به ، وهو سماعه الفتح من غير أبي خيرة ممّن ترضى عربيته ، وهو أقوى الوجوه الثلاثة التي ذكرها .

**٥ – توهم أصالة الحرف المتحول :**

ويعني القائلون بهذا التوهم الناحية الخاصة بالواو والياء ، وهي باب عظيم في العربية ، تدخل فيه صور شتى من كلام العرب ، ولكل صورة منها نظام مطّرد تخضع له .

ومن هذه الصور ، إيثار بعض القبائل الياء على الواو ، وإيثار غيرهم العكس . ويحسبه الذين لا يلحظون ذلك تحوّلاً من حرف إلى حرف ، ويزعمون ذلك ( توهماً ) . ولو كان ذلك صادراً من قبيلة واحدة لجاز هذا الحكم .

فأهل الحجاز ، يُؤثرون الياء ، فيقولون مثلاً : صيّام ، وقيّام ، وصيّاغ .

وغيرهم يقولون : صوّام ، وقوّام ، وصوّاغ .

والقائلون بتوهم أصالة الحرف المتحوّل ، يجعلون الأصل في ذلك الواو . وما جاء على الياء من الألفاظ مخالفاً للأصل الواوي الذي أصّلوه ، يعدونه مبنياً على ( التوهم ) ، وليس الأمر ما يذهبون إليه .

ومن هذه الصور أيضاً ، ما حُوّلت واوه ياءً ، لأثر لغوي يقتضي تحويل صيغته ، فتبدل الواو ياءً ، وذلك في مثل : غصن مَرِيح ، وماء



هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

مَشيب . وقد بُنيا على : رِيحَ ، وشِيبَ . ونظام اسم المفعول في منطق العربية إنما يتبع الفعل المبني للمجهول . لا الاسم . ويأبى من يقول بالتوهم إلا تخريج مثل هذا على ( التوهم ) .

ومن هذه الصور أيضاً ، ما اقتضى التطوّر الاجتماعي وغيره استحداثه في اللغة من أصل واوي ، فنقلوه إلى الياء ، وألزموه إياها ، وجعلوه أصلاً ثانياً ، وتصرّفوا في الاشتقاق منه ، للدلالة على المعاني المستحدثة .

وذلك مثل ( العيد ) . فإن أصل يائه الواو لاجَرَمَ ، وصيغة هذا الأصل : العِوْد ، فلما سكّنت الواو وكسر ما قبلها ، صارت ياء . أو نقول : قلبوا الواو ياءً ، ليفرقوا بين الاسم الحقيقي والاسم المصدري ، وألزموا الياء في الواحد ، فصار أصلاً جديداً في بناء مادته ، وجمعوه على ( أعياد ) ليفرّقوا بذلك بينها وبين ( أعواد ) الخشب ، كما قالوا في تصغيره : ( عُيَيْد ) ليفرّقوا بينه وبين ( العُوَيْد ) تصغير ( العُود ).

وأمثال هذا اللفظ كثير في العربية ، وقد بنتها العرب على هذا التأصيل لأداء معان جديدة في صيغ جديدة اقتضاها التطور ، واستجابت له مرونة اللغة وطواعيتها من غير تمحّل ولا تكلف ولا اقتسار ، وجرى فيها من ذلك ما جرى عن وعي وإرادة وقصد ، لا عن غفلة وتوهم . ومن ذهبوا غير هذا المذهب ، وقالوا بالتوهم ، فقد أعربوا ، عن غفلة ، عن طبيعة هذه اللغة وقوانينها الدقيقة العجيبة .

### ٦ ـ توهم أصالة الحرف الزائد :

وفي العربية نظام آخر في التأصيل مَرِن ودقيق ، يأذن في حدود

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

منطقها ببناء تأصيل لاحق على تأصيل سابق ، وذلك بإعطاء الحروف المزيدة حكم الحروف الأصلية ، لأنها إنما زيدت لزيادة المعاني ، فلا بد أن ترعى حرمة الزائد في الكلمة ، ويجري الاشتقاق منه لإفادة المعاني المستحدثة التي تفرضها سنّة التطور ودواعي الحياة المتجددة .

وقد فطن قدامى اللغويين والنحاة لهذا النظام في العربية ، ولما أستطيع أن أسميه التأصيل الثاني ، وعقلوا ما أرادت العرب من زيادة الحروف على الأصول ، وما يجري في كلامهم من الاشتقاق من المزيد ورعاية حرمة الحرف الزائد ، تنويعاً لصور الألفاظ بحسب الدلالات ، ومدّاً لأديم اللغة من جنس منطقها وأصولها .. فأقروه قانوناً من قوانين العربية ، ونبّهوا على آثاره ودلالاته كما سأوضحه .

ولكن جهل النحاة الخالفون ، أو قلة منهم ، هذا القانون ، فقرروا الاشتقاق من الحروف الأصول وحدَها ، ومنعوا الاشتقاق من الزوائد ، وحكموا على كل ما وقعوا عليه من ألفاظ وردت عن فصحاء العرب مشتقة من الزوائد بالتوهم والخروج عن القياس .

وهذا النوع من الألفاظ في العربية كثير ، وأكثره يبدأ بالميم ، فلم يعرض لهم شيء منها حيث يعرض إلا وصفوه بالتوهم ، لأنه يخالف قاعدتهم في تأصيل الحروف الأصلية والاشتقاق منها وحدَها .

وقد تأثر صديقنا العلاّمة المغربي ، طيّب الله ذكراه ، بهذا المذهب ، وآمن إيماناً عميقاً بالقول ( بتوهم ) أصالة الحرف الزائد ، وأبدأ فيه وأعاد

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ما شاء داعياً إلى اتخاذه قاعدة مقررة مقيسة ، ونقل دعوته إلى هذا المجمع الموقر ، حتى انعكست آثارها على مقرراته في شيء من التحفظ . فجاء في « كتاب : في أصول اللغة » ( ص ٤٤ ) :

« ٧ - توهم الحرف الزائد أصلياً : رأت اللجنة في ضوء ما أثر عن اللغويين أن توهم أصالة الحرف الزائد ، أو المتحول ، لم يبلغ درجة القاعدة العامة . غير أن هذا التوهم ضرب من ظاهرة لغوية فطن إليها المتقدمون ودعمها المحدثون ، ولهذا ترى اللجنة أن في وسع المجمع أن يقبل نظائر الأمثلة الواردة على ( توهم أصالة الحرف الزائد أو المتحول ) مما يستعمله المحدثون ، إذا اشتهرت ودعت إليها الحاجة » .

وجاء في الحاشية :

ا - « صدر القرار في ج ٨ مؤتمر د ٣١ سنة ١٩٦٥ » .

ب - « في ج ١١ دورة ١٤ ( المؤتمر ) عرض الشيخ عبد القادر المغربي على المؤتمر بحثاً له بعنوان ( بين اللغة والنحو ) ، أشار فيه إلى موضوعين : توهم أصالة الحرف الزائد ، وتوهم زيادة الحرف الأصلي . وبعد المناقشة فيه ، وافق المؤتمر على ( توهم أصالة الحرف ) في بعض الكلمات ، وجاء في تلخيص أعمال المؤتمر : ( الموافقة على جواز توهم أصالة الحروف في بعض الكلمات العربية ) » .

وليس الشأن في المسألة كذلك .

فإن ما فطن له المتقدمون من هذه الظاهرة اللغوية ، هو غير هذا الذي جاء في قرار لجنة الأصول في المجمع ، وهو حرمة الزائد في الكلمة عند العرب ، وإقراره إقرار الأصول على سبيل القصد والإرادة والتأصيل ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

لا على سبيل الغفلة والتوهم والاعتباط ، وهو في جملته يقوم على التفريق بين الأسماء وملاحظة اختلاف المسميات في الصفات . وهذا المذهب هو الأشبه بطبيعة عبقرية العربية وقانونها العام .

ومن أمثلته الموضحة :

تنطّق وتمنطق ، وتدرّع وتمدرع ، وأسلم وتمسلم ، وتولّى وتمولى ، وترفق وترفّق ، وتكحّل وتمكحل ، وتسكّن وتمسكن . . ونحو ذلك من هذه الألفاظ المبدوءة بالميم ، وهي أكثر ما يجيء في هذا الباب .

فإن كل لفظ من هذه الألفاظ ، ما اشتق منها من الحروف الأصلية وما اشتق من الحروف الزوائد التي اتخذت أصلًا ثانياً للاشتقاق ، له دلالة خاصة غير دلالة صاحبه :

فتنطّق ، أو انتطق : لبس أو اتخذ النِّطاق ، وتمنطق : لبس أو اتخذ المِنْطقة . ولكل من هذين اللفظين : النِّطاق والمنطقة ، صفة عند العرب ، تلحظها وتراعيها فتخالف بينهما فيما تشتقه لها من الأفعال .

وادّرع ، وتدرّع : اشتقتا من الدِّرع ، لبوس الحرب المعروف ، وقميص المرأة ، والثوب الصغير تلبسه الجارية الصغيرة في بيتها . وتمدرع : اشتُقّ من المِدْرَعة ، وهي ضرب آخر من القمصان ، ولا تكون إلا من الصوف خاصة . ففرّقوا بين الدِّرع والمِدْرَعة ، لاختلافهما في الصِّفة واللفظ .

وأسلم : دخل في الإسلام مؤمناً به ، وتمسلم : تسمّى « مسلماً » ، وحكى الزَّوْزني : كان فلان يسمّى « محمداً » ثم تمسلم ، أي : تسمّى « مسلماً » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وتولاّه : اتخذه وليّاً ، وتمولى : تشبّه بالموالي ، وفي فلان مولويّة : إذا كان شبيهاً بالمولى ، وهو يتمولى علينا : أي يتشبّه بالموالي ، وما كنت بمولى وقد تموليت .

وترفّق : توكّأ على المِرفقة ، وترفق : إذا أخذ مِرفقة .

وتكحّل : وضع الكحل في عينيه ، وتمكحل : أخذ مُكْحُلة .

وتسكّن : اشتقّ من السكون ، وتمسكن : اشتق من المسكين على معنى التشبيه به في زيه وحاله ، وتمسكن لله : تضرّع لله ، وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال للمصلي : « تَبَأّسْ وتَمَسْكَنْ وتَقَنّع يديك » .

وهكذا ما لم أذكره ، وهو كثير .

فحال الاشتقاق من الزوائد ، هو كحال الاشتقاق من الحروف الأصلية في عرف العربية ، وكل منها يراد لدلالته الخاصة ، ويقصد إليه قصداً للتفريق بين دلالة ودلالة أخرى ، فلا توهم في شيء من ذلك . وإنما التوهم قائم في أنفس القائلين به .

وقد قلت إن قدامى اللغويين والنحاة قد فطنوا لهذه الظاهرة اللغوية ، فرعوا حرمة الزوائد ، وقرروا الاشتقاق منها ، وهو أمر يقتضيه التطور والتوسع ، وتستجيب له طبيعة العربية المرنة ولا تستعصي عليه .

وإذ قد بلغت بالمسألة هذه الغاية من الإبانة عما أردته ، فلأذكرْ كلام إمام النحاة الأوائل فيها ، الإمام العبقري العربي المفكّر ( الخليل ابن أحمد الفراهيدي ) ، رحمه الله ، و « كل الصيد في جوف الفرا » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقد ألفيت نصه في « لسان العرب » وهو غير معزوّ إليه ، كأنه من كلام مؤلفه ابن منظور . لكن دل عليه العلامة السيد محمد مرتضى الزَّبيديّ في « تاج العروس » ، فردّ حقه إليه . ولعَزْو الأقوال إلى أربابها شأن خطير في الدراسات ، يهدي إلى مناشىء الآراء وتطورها ، ويحدد زمن ظهور الرأي ، فتوضع القضايا في نُصُبها الصحيحة ، وتجنب الزيغ والفساد .

قال ( الزَّبيديّ ) ، رحمه الله في « تاج العروس » ( د/ر/ع ) :

« وقال ( الخليل ) : فرّقوا بين أسماء الدِّرع ، والدِّرَاعة ، والمِدْرعة ، لاختلافها في الصفة ، إرادة إيجاز في المنطق . وتدرّع مِدْرعته ، وادَّرَعها ، وتمدرعها . تحملوا ما في بقية الزائد مع الأصل في حال الاشتقاق ، توفية للمعنى ، وحراسةً له ، ودلالةً عليه . ألا ترى أنهم إذا قالوا : تدرّع ، وإن كانت أقوى اللغتين ، فقد عرضوا أنفسهم لئلا يعرف غرضهم : أمِن الدرع هو ، أم من المِدْرعة ؟ وهذا دليل على حرمة الزائد في الكلمة عندهم ، حتى أقروه إقرار الأصول ، ومثله : تَمَسْكَنَ ، وتمسلم » .

و « قطعت جَهيزة قول كل خطيب » .

هذا هو قانون العربية في حرمة الزائد في الكلمة والاشتقاق منه عن وعي وقصد وإرادة .. تهدّى إليه إمام النحاة ( الخليل ) بفطنته وزكانته وفقهه وذكائه النافذ ، وإليه يجب أن يصار في تحرير جملة ما توصم به العربية العبقرية العظيمة من هذه الوصمة الشنعاء : وصمة البناء على التوهم ، وتبرئتها منها جملة وتفصيلًا ، وذلك ما قصدت إليه في تدوين هذا البحث .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

فالعربية إنما تجري سليقتها على قانونها النفسي الذي يحكمها ، ومنه تستمد صورها الاشتقاقية اطراداً لا توقف فيه ، وعلى نسق متعين قويم ، على ما قررت في صدر البحث .

وهذا القانون النفسي يظلّ دائماً هو المرجع المعترف بأصالته وسلامته ، وإليه يصار ويحتكم في قضايا اللغة ، أصولها وفروعها ، وبه تتعين السلامة كما يتعين الوهم الذي يتورط فيه الخاطؤون والواهمون .

وفقنا الله للصواب ، وجنّبنا الزلل والوهم ، وأعاننا على السمو بهذه العربية العروبية : لسان الوحي والفُرقان ، ولغة العلم والحضارة والعمران ، إلى مقامها الكريم ، وأوجها الرفيع .

بغداد ١٣٩٦/٣/٤
١٩٧٦/٣/٦

محمد بهجة الأثري

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

# عبر التاريخ

الدكتور محمد كامل عياد

من السهل جداً أن نذم التاريخ . فقد لاحظ الناس منذ القديم أن الأخبار التي يرويها المؤرخون لا يمكن الوثوق بصحتها : يختلط فيها الصدق بالكذب ويعتريهـــا التشويه والتحريف والتزوير . ووصف بعضهم كتب التاريخ بأنها ليست سوى سجـل لجرائم البشر وحماقاتهم وللمصائب التي جرتها عليهم مطامعهم ومنازعاتهم .

قيل للإمام البخاري : « إن بعض الناس ينقمون عليك اشتغالـك بالتاريخ ، يقولون : « فيه اغتياب الناس » . فقال البخاري : « إنما روينا ذلك ولم نقله من عند أنفسنا » . وكان البخاري زائد التوقي ، بليغ التحري ، أكثر ما يقول عند ذكر رواة الحديث : هذا سكتوا عنه وذاك فيه نظر أو تركوه . وقلّ أن يقول : كذاب أو وضاع وإنما يقول : رمـــاه فلان بالكذب .

وكتب المؤرخ المشهور ابن الأثير يقول : « رأيت جماعة ممن يدعي المعرفة والدراية ويظن بنفسه التبحر في العلم والرواية يحتقر التواريـــخ



هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ويزدريها ، ويعرض عنها ويلغيها ، ظناً منه أن غاية فائدتها إنما القصص والأخبار ، ونهاية معرفتها الأحاديث والأسمار » . وهو بعد أن يعدد فوائد علم التاريخ ، الذي يكسب الانسان تجربة ومعرفة ، ويزيده ادراكاً وعقلاً يقول : « ولهذه الحكمة وردت القصص في القرآن المجيد . قال الله تعالى : « فاقصص القصص لعلهم يتفكرون » كما قال : « لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب » . ثم يضيف ابن الأثير قائلاً : « ومن ظن أن الله تعالى أراد بذكر الحكايات الأسمار فقد تمسك بآراء أهل الزيغ الذين قالوا : « أساطير الأولين » اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً » .

بل إن ( شمس الدين السخاوي ) « ٨١٣ – ٩٠٢ هـ » ، من علماء القرن الخامس عشر الميلادي ، قد اضطر إلى تأليف كتاب خاص في هذا الموضوع عنوانه : « الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ » .

ومازال بعض الباحثين يدعون أن التاريخ ليس علماً بالمرة لأنه لايكشف عن حقائق وقوانين عامة ولا يصدر أحكاماً يقينية ، برهانية ، بل يقتصر على سرد وقائع فردية وحوادث جزئية ، محدودة يشك غالبا في صحة الروايات المتناقلة عنها . وتساهل آخرون فقالوا : إنه لايمكن اعتبار التاريخ علماً إلا من حيث طرائق بحثه فقط ، أما من ناحية الموضوع والنتائج فهو أقرب إلى الفنون الأدبية ، وإن كان لايبلغ مستواها في الإبداع والتأثير..

ويتساءل الكثيرون : ما الفائدة من الاشتغال بالتاريخ والرجوع إلى الماضي في هذا العصر الذي يسيطر عليه القلق وأخذت فيه الأمم تتسابق نحو المستقبل ؟ ماذا ينفعنا أن نعود إلى حوادث الماضي التي انقضى عهدها ولا يمكن أن تتكرر ؟ لقد تبدلت أوضاع العالم وأحوال البشر ، فهل

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

يجوز لنا أن نشغل أنفسنا بأمور وقعت في ظروف تختلف كل الاختلاف عن ظروفنا العصرية المتجددة بسرعة مدهشة ؟

كان ( هنري فورد ) ، صاحب معامل السيارات المشهورة ، قد زار في سنة ( ١٩٢٧ ) مدينة ( اكسفورد ) . ولما دعي إلى مشاهدة الأماكن الأثرية اعتذر ، ولم يرغب في زيارة سوى معمل للسيارات . ثم صرح بهذه المناسبة أن التاريخ كله عبارة عن هراء وسخف . ولم يستغرب الناس هذا القول ، الذي يدل على تفكير صبياني ، سطحي ، من رجل أمريكي ليس لبلاده في الماضي تاريخ يذكر ..

كان المستر ( فورد ) يعتقد إذ ذاك بأنه قد اكتشف الدواء الناجع لحل المشكلة الاقتصادية في هذا العصر وهو دواء بسيط يتلخص في دفع أجور أعلى إلى العمال ليزداد بذلك الاستهلاك والطلب وتستمر حركة الانتاج وتتسع - ولم يكن المستر ( فورد ) يعرف شيئاً عن تاريخ الأزمات الاقتصادية الدورية التي رافقت تطور النظام الرأسمالي ، وكأن هذا التاريخ أراد أن ينتقم من المستر ( فورد ) ويلقنه درساً ، فلم تمض سنتان حتى حدث الانهيار الاقتصادي الهائل في سنة ١٩٢٩ وتعرضت الولايات الامريكية المتحدة قبل غيرها إلى أزمة اقتصادية خطيرة زعزعت أركانها ولم تنتعش منها إلا بعد سنوات عديدة وجهود كبيرة بذلهـــا ( روزفلت ) بعد انتخابه لرئاسة الجمهورية واعلانه « البرنامج الجديد » في سنة ١٩٣٣ ..

وقد هاجم الفيلسوف الألماني ( نيتشه ) التاريخ مدعياً بأن الالتفات إلى الماضي يحرم البشر من التمتع بحياتهم الحاضرة ويشل فعاليتهم ويمنعهم من الخلق والإبداع . وكان ( نيتشه ) يغبط الحيوانات لأنها تعيش في

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الحاضر فقط .. فهي سعيدة ، حسب رأيه ، لأنها لاتتذكر الماضي ولا تفكر في المستقبل ..

إنه من السهل حقاً أن نطعن في التاريخ . ولكن من الصعب جداً أن نتحرر منه ونستغني عنه .

فقد عني الناس منذ أقدم العصور بجمع أخبار الأجيال السابقة ورواية الحوادث الماضية ، وكانوا دوماً يتناقلون الأساطير القديمة . إنهم كانوا ومازالوا يشعرون بحاجة إلى ترديد ذكريات الماضي . وقد بدأ الناس منذ القديم يسجلون الحوادث الهامة على جدران المعابد والأبنية العامة والمنشآت التذكارية ويحفظون الوثائق والآثار . ثم أخذوا يؤلفون الكتب التي تبحث في تاريخ البشرية وأصبح التاريخ من أهم العلوم الانسانية يدرسه الناشئون ويعتني بطالعته المثقفون وقادة الجيوش ورجال السياسة والأدب ، وصار يعتبر من أقوى دعائم الثقافة العامة وأسس التربية الوطنية ..

إن التاريخ يقوم لدى الشعوب مقام الذاكرة عند أفراد البشر . والذاكرة التي تحفظ التجارب الماضية لها شأن كبير في تكوين شخصية الانسان إذ اليها يرجع الفضل في شعور الشخص بذاته وهويته ، كما إنه يستند إليها في التفكير وفي اتخاذ القرارات الهامة . فالتفكير إنما يعني الرجوع إلى الذاكرة ومقارنة المشاكل التي تجابهنا بما يشبهها من تجاربنا السابقة .

وهناك ذكريات تعيسة ، مؤلمة كثيراً ما نكبتها ونتناساها ، ولكنها تبقى في أعماق الشعور وتؤثر في سلوكنا . وقد كشف علماء التحليل النفسي عن خطورة هذه الذكريات المكبوتة . وردت في مذكرات السياسي الفرنسي ( تاليران ) العبارة التالية : « أقول هنا ، للمرة الأولى وعلى أمل أن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

لأعود وأفكر في ذلك أبداً ، إنني ربما كنت الشخص الوحيد من أسرة نبيلة الذي لم يتمتع بالعيش تحت سقف واحد مع أبويه ولو لمدة أسبوع فقط من حياته » . في هذه الكلمة تتجلى المرارة واللوعة اللتان كان ( تاليران ) لايزال يشعر بهما وهو يكتب في الستين من عمره وكان يتمنى لو استطاع نسيانها ... وقد استدل المؤرخون من ذلك أن ( تاليران ) عاش مهملاً من أبويه يتولى تربيته الخدم والأتباع ، فاعتاد معاشرة من هم دونه ونقم على الطبقة الارستقراطية التي يمثلهـــا أبواه ولم يكترث بسقوط هذه الطبقة بعد الثورة الفرنسية بل أسرع إلى التعاون مع رجال تلك الثورة ثم مع نابليون وأخيراً مع أسرة ( بوربون ) .

تختلف أهمية الذاكرة باختلاف مراحل حيـــاة الأفراد . فالشاب الناشىء ليس لديه تجارب كثيرة يمكن ان يتذكرها وأن تؤثر في تكوين شخصيته . لذلك نراه يتجه بخياله إلى المستقبل ويندفع مع الأحلام . ولاشك في أن تصور المثل الأعلى لدى الشباب كثيراً ما يعبر عن استعداداتهم وإمكانياتهم ومطامحهم ويساعد على انكشاف مواهبهم وقدراتهم — على شرط أن يكون هذا التصور واقعياً ومدعوماً بجهود إرادية ، متواصلة . مثل هؤلاء الشبان يستحقون أحياناً من الاحترام والتقدير أكثر مما نبديه تجاه شخص بلغ القمة من سيرته فأصبح وزيراً أو قائداً ؛ ذلك لأن الشاب الناشىء قد يصبح أيضاً وزيراً أو قائداً . ولكن ربما يبلغ أكثر من ذلك فيصير مخترعاً أو فناناً كبيراً .

كلما تقدم الانسان في الحياة تزداد أهمية الذكريات والتجارب السابقة في تكوين شخصيته ونرى سلوكه في الحاضر يتأثر بسيرته الماضية ، فإذا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

سبق له أن تمسك بالنزاهة والصراحة والإخلاص ، يصعب عليه بعد ذلك أن يتنكر لعقائده ومبـــادئه وآرائه السابقة ، والشخص الذي يخطىء ويرتكب جريمة ، من العسير عليه التخلص من الشعور بالذنب ومن تأنيب الضمير كما أنه يكاد يستحيل عليه بعد ذلك نيل ثقة الناس واحتلال مكانة في المجتمع .

خلافاً للشبان الذين يحلمون بالمستقبل يعيش أكثر الشيوخ في الماضي . فتطغى الذكريات على نفوسهم وتفصلهم عن الحاضر . هكذا كان الأمر مثلاً مع ( أميل اوليفيه ) ، الذي تولى رئاسة الوزارة الفرنسية مدة ستة أشهر في سنة ( ١٨٧٠ ) ، فقد ظل طوال عشـرين عاماً حتى وفاته لا يتحدث إلا عن ذكريات رئاسته .

لا يمكن للفرد أن يتمتع بذاكرة جيدة يستفاد منها في التفكير وكسب المعرفة إلا إذا استطاع جمع المعلومات اللازمة واختزانهـــا ثم استذكارها عند الحاجة إليها . وهذا يتوقف على حسن انتقـاء المواد التي يجب عليه حفظها من مشاهداته ومسموعاته ومطالعاته . ولا سبيل إلى حفظ كل شيء عدا أنه لا فائدة في ذلك ، وقد قيل بحق إن شـرط التذكر الصحيح هو النسيان . ونحن لا يمكننا أن نسترجع الذكريات المطلوبة إلا إذا نسينا أكثر الأحداث والأقوال التافهة التي نمر بها . كذلك لا بد من تصنيف الذكريات المهمة وترتيبها وربط بعضها ببعض حتى يسهل استحضارها .

وهكذا التاريخ بالنسبة إلى الشعوب : فإنه لا مجال إلى تدوين كافة الأحداث التي تمر بها في مجرى حياتها ولا نفع في استقصاء كل الأمور وذكر الأسماء ووصف الحروب والفتن ، إنه لا بد من عمليـــة اصطفاء لإبراز

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الحوادث الخطيرة والمواقف الحاسمة ، والإشادة بالأمجاد القومية ، وانتقاد الأخطاء ، وبيان أسباب النكبات والنكسات لاستخلاص العبر منها ، وكم لدينا من تقاليد وعادات بالية ، وكم من نعرات وعنعنات مستهجنة وكم من عصبيات ومنازعات سخيفة انتقلت إلينا من الماضي ولا بد لنا من نسيانها والتخلص منها إذا أردنا السير في طريق التقدم . وهناك عقائد وخرافات ومخلفات لغوية ورواسب اجتماعية من مختلف العهود البائدة — كلها تؤلف عبئاً ثقيلاً يعرقل مسيرتنا ومن الواجب التحرر منها أو تطوير ما يصلح منها لتلائم حاجات العصر .

إن موقف الشعوب من تاريخها يشبه موقف الأفراد من ذكرياتهم الماضية . فالشعوب الفتية لا تهتم إلا بالمستقبل وتنصرف في الحاضر إلى تكوين ذاتها وبناء حضارة جديدة . وحين تتوقف هذه الشعوب عن النمو والتوسع والإبداع تتجه إلى الماضي ، تتغنى بأمجاده أو تدعو إلى إحيائه والرجعة إليه .. ثم عندما تهرم هذه الشعوب وتشعر بأن حضارتها صارت مهددة بالانهيار والزوال — حينئذ تبدأ في دراسة تاريخها وتبحث في أسباب التقدم والتأخر ، ولذلك يعتبر ( الوعي التاريخي ) دليلاً على الهرم ونذيراً بالانقراض . وقد قال بعضهم : « ما أسعد الشعب الذي ليس له تاريخ » !.

على أن الذين ابتلوا بالوعي التاريخي لا يستطيعون فقدان هذا الوعي مهما حاولوا . وأكثر تعاسة من هؤلاء هم أولئك الذين لا يعرفون إلا القليل من التاريخ لأن المعرفة المشوهة والثقافة الناقصة أكثر الأمور خطراً وفساداً . فمن الأفضل أن نسعى إلى الوعي التام ، الواضح وأن ندرس التاريخ لنعرف : من نحن ؟ إلى أي مرحلة من التطور وصلنا وفي أي طريق نسير ؟.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

هناك شبان يرغبون في التحرر من الماضي والتحول إلى الحاضر والمستقبل ويعتبرون دراسة التاريخ لهواً وعبثاً وهروباً من مجابهة المشاكل الحالية . إنهم يصرخون قائلين : نريد أن نعيش الحياة الحاضرة ، حياة عصرنا ؛ ولا يهمنا الماضي الميت . ولا اعتراض على ذلك . فمن واجب كل جيل أن يهتم بحياته الحاضرة وبمستقبل الأمة القريب والبعيد . ولكن ما هو الحاضر ؟ هل نعني به اللحظة المباشرة التي نعيش فيها والتي لا تلبث إلا قليلاً حتى تصبح من الماضي . إن الحاضر ليس سوى امتداد الماضي ونحن لا يمكننا أن نفهم أوضاعنا ومشاكلنا الحاضرة وأن نعالجها معالجة صحيحة ، ناجعة وأن نرسم الطريق إلى المستقبل إلا بالرجوع إلى الماضي وإدراك الأسباب الفاعلة والعوامل المؤثرة التي أدت إلى خلق تلك المشاكل . فالعراقيل التي تعترضنا ، والعيوب التي نشكو منها ، والصعوبات التي تجابهنا كلها لها جذورها وأصولها في التراث الذي تسلمناه من الأجيال السابقة . وكما ورثنا عن الماضي المشاكل كذلك نكتسب منه تجربة وحكمة . وقد قال ( شيشرون ) قبل أكثر من ألفي سنة : « إن الذي يجهل ما حدث قبل ولادته — يبقى دوماً طفلاً » . وقال فيلسوف حديث : « الذي لا يعرف التاريخ مكتوب عليه أن يعيده » .

إن حياة البشر ، سواء كانوا أفراداً أو جماعات أو شعوباً ، ليست سوى سلسلة متصلة الحلقات يتبع بعضها بعضاً . ولا سبيل إلى تعليل الحوادث في أي مرحلة إلا بالرجوع إلى المراحل السابقة وربط الأسباب بالمسببات والعلل بالنتائج . إننا في التاريخ ندرس كيف كانت المجتمعات البشرية في الماضي ثم كيف تطورت تدريجياً حتى أصبحت على ما هي عليه اليوم .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وبذلك نتوصل إلى معرفة العوامل التي أثرت في هـذا التطور واكتشاف التيارات والقوى التي دفعت إليه وما زالت تدفع كما نطلـع على البواعث والحوافز والاختلافات والتناقضات التي أسهمت وتسهم في تكييف الحوادث . وبدون هذه الدراسة يتعذر علينا أن نفهم الشؤون السياسية والاجتماعية عامة وأن ندرك مشاكل عصرنا واتجاهاته . إن العالم الذي يحيط بنا يظل لغزاً إذا لم نعرف كيف تكوّن . ولا بد أن نشعر بأننـا غرباء ضمن المجتمع الذي نعيش فيه إذا جهلنا منشأ العادات والتقاليد والعقائد والمؤسسات والنظم والقوانين السـائدة فيه والتي ليست جميعهـا سوى محصول ظروف تاريخية معينة ونتيجة التطور خلال العصور المتعاقبة ، بل إننا لا نستطيع حتى فهم آرائنا الشخصية والأحكام المسبقة التي نتمسك بها وردود الفعل العاطفية التي نجابه بهـا الأحداث إذا لم نعرف الميراث الذي ورثناه عن أسلافنا . وإذا تساءلنا لماذا يختلف موقف العربي عن موقف الانكليزي مثلاً أو الفرنسي في الظروف الخاصة أو العامة فإن التاريخ وحده يعطينا الجواب .

مثلما أن التاريخ ضروري لفهم الحاضر فهو كذلك لا بد منه للاعتياد على التفكير الواقعي . وبينما نتعلق في العلوم الطبيعية والرياضية بالمفاهيم المجردة والأحـكام المطلقة فإننا في التاريخ نبحث الموضوعات الانسانية المعقدة بصورة مشخصة وضمن شروط زمنية ومكانية معينة ونتعلم بذلك معنى النظرة النسبية ، إذ نرى كيف أن جميع الأحداث يرتبط بعضهـا ببعض ويؤثر أحدها في الآخر ، وأن أحوال البشر في تطور دائم ، وأن كل حالة ليست سوى مرحلة في طريق لا تنتهي ، وأنه لا يمكن الوصول إلى الحقيقة الموضوعية المطلقة ومعرفة الأحداث التاريخية كما جرت فعلاً وإنما نحكم عليها من وجهة نظر محدودة وبالنسبة إلى الظروف المتقلبة .

(٥)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ما زال الكثيرون في عصرنا النفعي يتساءلون : ماذا يفيدنا التاريخ ؟ لا يكفي ، في نظرهم ، لتبرير دراسة التاريخ أن تكون له طريقة علمية موثوقة وأن يلبي كثيراً من حاجاتنا الفكرية وأن يثقف أذهاننا ويصقل عقولنا ويجعلنا أقل غباوة عند البحث في شؤون البشر والنظر في مشاكلهم السياسية والاجتماعية الحاضرة . إنهم يريدون أن يعرفوا : ما هي فائدته في حياتنا العملية ؟ هل هو عبـــارة عن ترف فكري ، أم إنه ينفعنا في تحقيق أهدافنا ؟.

لقد اعتقد الناس في جميع العصور بأنه من الممكن استخلاص عبر ودروس من التاريخ يسترشدون بها في أعمالهم .

وإذا كان ( هيرودوت ) ، أبو التاريخ ، لم يفكر عند تأليف كتابه عن « الحروب الميدية » إلا في تلبية رغبة الآثينيين في المعرفة وتقديم أخبار غريبة وقصص ممتعة إليهم ، فإن ( توكيديديس ) ، الذي تبعه بعد جيل واحد ، قد ذهب إلى أن التاريخ يتضمن دروساً عملية . وهو يصرح بأن كتابه عن ( الحروب البيلوبونيزية ) يهدف إلى رسم صورة واضحة ، حقيقية عن الماضي وحوادثه التي يمكن أن تتكرر في المستقبل وأنه يريد استخلاص العبرة العملية التي قد تفيدنا في أوضاع سياسية مماثلة وذلك ، كما يقول ، لأن طبيعة البشر واحدة ، ولأن أعمالهم تتشابه .

وتتجلى النزعة العملية بصورة أوضح عند مؤرخ يوناني آخر ظهر في القرن الثاني قبل الميلاد وعاش تحت حكم الرومان أعني به ( بوليبيوس ) الذي مارس السياسة وكان على معرفة واسعة بأحوال اليونان والرومان على السواء ، وكان خلال مدة طويلة على صلة وثيقة بالزعماء السياسيين في

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الشرق والغرب ورافق قادة الجيوش وعرف أساليب الحرب وقام برحلات طويلة في البر والبحر وطاف في مختلف البلدان واطلع على أحوالها . وقد امتاز ( بوليبيوس ) بروح الإنصاف والتسامح ، وكان يتمسك بالحقيقة المطلقة ، ولا يتحزب في أحكامه على الأشخاص والأحداث ، وكانت له نظرة ثاقبة تكتشف الشخصيات الكبيرة وتميز الوقائع الهامة وتقدر المواقف الحاسمة . وكان يكره كرهاً شديداً الأساليب الخطابية والألعاب اللفظية والمظاهر الشكلية . إنه يعد ، بحق ، من أكبر المؤرخين القدماء .

كان ( بوليبيوس ) يحرص على معرفة الوقائع التاريخية الحقيقية لأن هذه وحدها تصلح لإرشادنا في الحياة العملية وفي إدارة الشؤون العامة .

إن الموضوع الأساسي في كتابه عن ( التاريخ العام ) هو : كيف استطاعت ( روما ) في مدة لا تزيد عن خمسين عاماً أن تستولي على حوض البحر الأبيض المتوسط وتبسط سيطرتها على العالم المعمور إذ ذاك ؟

كان اليونانيون يعزون انتصارات ( روما ) إلى الحظ وليس إلى كفاءة الرومان ومزايا جمهوريتهم . فقام ( بوليبيوس ) ، الذي كان يمتاز بالحكمة والتفكير الفلسفي ، وألف كتابه القيم ليبدد أوهام مواطنيه ويكشف لهم عن الأسس المتينة التي قامت عليها عظمة ( روما ) . وفي مقدمة الأمور التي اهتم بها من هذه الوجهة تعليل الاستقرار الذي اتصف به نظام الحكم في ( روما ) ، على عكس ما كان سائداً بين اليونانيين من اضطراب وتقلب فقال : إن استقرار دولة ( روما ) يرجع إلى مزجها بين أشكال الحكم المختلفة وجمعها بين العناصر الجوهرية لكل من هذه الأشكال وتحقيق التوازن بينها . ذلك أن حكومة الجمهورية الرومانية .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كانت تقوم أولاً : على القناصل الذين يمثلون الحكم الفردي ، وثانياً : على مجلس الشيوخ الذي يمثل سلطة النخبة الارستوقراطية ، وثالثاً : على المجالس الشعبية التي تمثل النزعة الديموقراطية .

يقول ( بوليبيوس ) : « إن معرفة أحداث الماضي هي أفضل وسيلة لإصلاح الطبيعة البشرية . وأكثر المؤرخين كانوا يهدفون إلى هذه الغاية عند تأليف كتبهم ، فنراهم يصفون دروس التاريخ بأنها مدرسة للتربية الوطنية والتدريب الاجتماعي والإعداد للحياة السياسية . وهم يقولون : إن دراسة عيوب الآخرين وأخطائهم هي الطريقة الوحيدة لتكوين الشخصية التي تستطيع مجابهة الأحداث وتقلباتها . ولذلك كان ( بوليبيوس ) يلح على الذين يؤلفون كتب التاريخ أو الذين يطالعونها بأن يركزوا اهتمامهم ليس على سرد الوقائع ورواية الأخبار بل على كشف الأسباب وملاحظة الظروف المحيطة ومعرفة النتائج ؛ وهو يتساءل أخيراً : « ماذا يفيد القارىء أن يعرف وصف الحروب والمعارك وحصار المدن واستعباد الشعوب واستثمارها إذا هو لم يتوصل إلى إدراك الأسباب التي ساعدت جماعة على النجاح وأدت بأخرى إلى الفشل في ظروف مماثلة » ؟.

وبين المؤرخين القدماء المشهورين الذين أرادوا استخلاص العبر من التاريخ نذكر ( ديودوروس الصقلي ) الذي عاش في القرن الأول قبل الميلاد . وقد جاء في كتابه « مكتبة التاريخ العام » قوله : « إننا نعرف قيمة التاريخ من ثمراته ، فهو داعية إلى الحق يفضح الشر ويمدح الخير ؛ إنه يقدم إلى الدارسين خلاصة التجارب البشرية والحكمة الإنسانية » . ويدعي ( ديودوروس ) أن التاريخ قادر على تعليمنا دون أن نتعرض

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

إلى الأخطار والآلام فيقول : « إنها لنعمة كبرى أن تتهيأ لنا الفرصة لإصلاح أنفسنا وتحسين أوضاعنا عن طريق الاطلاع على عيوب الآخرين وأخطائهم فنحذر منها ونسعى إلى اجتناب أمثالها . وما أجمل أن نكون أحواراً في هذه الحياة الفانية ، المليئة بالحظوظ والتقلبات فنتبع أساليب النجاح الماضية عوضاً عن أن نضطر إلى القيام بتجارب جديدة مؤلمة ! إنه ، بفضل دراسة التاريخ ، يتوصل الشبان إلى فهم الأجيال السابقة ويجدون في تجارب المتقدمين حوافز تدفعهم إلى السعي وراء الشهرة الخالدة كما أن الأشراف يجدون في التاريخ رادعاً ينذرهم بالخزي الأبدي إذا هم اندفعوا مع أصولتهم الخبيثة ، وبصورة عامة فإن أمجاد التاريخ تثير التقدير والإعجاب ومن شأنها أن تدفع الكثيرين إلى الإقدام على أعمال عظيمة من تأسيس الممالك أو سن قوانين تضمن سلامة الأمة أو الوصول إلى اكتشافات علمية أو اختراعات عملية تستفيد منها البشرية جمعاء .

وإذا انتقلنا الآن إلى المؤرخين العرب نرى أن أكثرهم كانوا يقصدون من دراسة التاريخ قبل كل شيء استخلاص العبر التي تفيد في الحياة العملية .

تبرز النزعة السياسية العملية بشكل واضح عند ( مسكويه ) في القرن الخامس الهجري، القرن الحادي عشر الميلادي ». لقد اشتغل (مسكويه ) بالفلسفة والأخلاق والفقه والأدب والتاريخ ، وجمع في كتابه « تجارب الأمم» مادة جيدة ، ولا سيما فيما يتعلق بالحياة الاجتماعية والاقتصادية في العصر العباسي . وكان تفكيره الفلسفي يدفعه إلى البحث في أسباب الحوادث ونتائجها . ويدل عنوان كتابه على أنه اعتبر التاريخ خلاصة لتجارب الشعوب في العصور السابقة واعتقد أنه يمكن للأجيال اللاحقة أن تستفيد من هذه التجارب .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ولعله من المفيد أن نستعرض أقواله في مقدمة كتابه حيث يشرح فائدة علم التاريخ ويأتي بكثير من الآراء الطريفة والقيمة .

يقول ( مسكويه ) : « إني لمّا تصفحت أخبار الأمم وسير الملوك وقرأت كتب التاريخ وجدت فيها ما تستفاد منه تجربة في أمور لا يزال يتكرر مثلها وينتظر حدوث شبيهها كذكر مبادىء الدول ودخول الخلل فيها بعد ذلك وتلافي من تلافاه ، إلى أن عادت إلى أحسن حال وإغفال من أغفله فآل الأمر إلى الاضمحلال والزوال ، وذكر ما يتصل بذلك من سياسات الوزراء وأصحاب الجيوش . ولما كانت أمور الدنيا متشابهة وأحوالها متناسبة صار جميع ما يحفظه الانسان من أحداث التاريخ كأنه تجارب له وكأنه عاش الزمن كله ، فيعد لكل شيء عدته . وشتان بين من كان بهذه الصورة وبين من كان غراً غمراً لا يتبين الأمر إلا بعد وقوعه ولا يلاحظه إلا بعين الغريب عنه ، يحيره كل خطب يستقبله ، ويدهشه كل أمر يتجدد له » .

يجدر بنا أن نتأمل في هذه الكلمات التي تعبر عن اعتقاد ( مسكويه ) بوجود حالات متشابهة في حياة البشر تؤدي فيها الأسباب نفسها إلى نتائج مماثلة . وهو يشير إلى موقف الجهلة الأغرار الذين لم يحصلوا على ثقافة تاريخية فيعيشون غرباء في خضم أحداث هذا العالم تستولي عليهم الدهشة تجاه الانقلابات ويحتارون عند المصائب والأزمات . ويختم ( مسكويه ) مقدمته بانتقاد المؤرخين الذين يجمعون الأخبار التي تجري مجرى الأسمار والخرافات والتي لافائدة فيها غير استجلاب النوم بها . ثم يقول إنه لذلك ألف كتابه ولم يتعرض لذكر معجزات الأنبياء ( صلوات الله عليهم ) وما تم لهم من

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

السياسات بها لأن أهل زماننا لا يستفيدون منه تجربة فيما يستقبلونه من أمورهم اللهم إلا ما كان منها تدبيراً بشرياً لا يقترن بالإعجاز .

ولعل أشهر نموذج للمؤلفات العربية التي تنظر إلى التاريخ كمدرسة للسياسة العملية هو كتاب « الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية » . ومؤلف الكتاب ( ابن الطِّقْطَقي ) « ٦٦٠ - ٧٩٠ هـ » من رجال أواخر القرن الثالث عشر الميلادي إنما يهدف إلى الكشف عن أسرار السياسة وأساليب الحكم وقواعد الإدارة عن طريق دراسة التاريخ الإسلامي وتحليل حوادثه واستخلاص العبر من هذه الحوادث ليستفيد منها والي الموصل ( فخر الدين عيسى بن إبراهيم ) الذي أهداه كتابه ، ويقول ( ابن الطقطقي ) عن مؤلفه : « إنه ليفيد العقل قوة والذهن حدة والبصيرة نوراً . وهو للخاطر الذكي بمنزلة المسن الجيد للفولاذ » .

وأكتفي بنقل المقطع التالي من الكتاب : « كان الوزراء قديماً يكرهون أن يقف الملوك على شيء من السير والتاريخ خوفاً من أن يتفطنوا إلى أشياء لا يحب الوزراء إطلاعهم عليها .. طلب الخليفة ( المكتفي ) من وزيره كتباً يلهو بها ويقطع بمطالعتها وقته . فتقدم الوزير إلى نوابه بتحصيل ذلك وعرضه عليه قبل حمله إلى الخليفة . فحصلوا على بعض كتب التاريخ وفيها شيء مما جرى في الأيام السالفة من وقائع الملوك وأخبار الوزراء ومعرفة التحيل في استخراج الأموال . فلما رأى الوزير ذلك قال لنوابه : والله إنكم أشد الناس عداوة لي ! أنا قلت لكم حصلوا له كتباً يلهو بها عني وعن غيري . وقد حصلتم له ما يعرفه مصارع الوزراء ويرشده إلى الطريق لاستخراج المال ويبين له خراب البلاد من عمارتها . »

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ردّوها وحصلوا له كتباً فيها حكايات تلهيه وأشعار تطربه ». وهذا كلام لا يحتاج إلى شرح أو تعليق !.

ولا بد من أن نذكر بين المؤرخين العرب في القرن الرابع عشر ( ابن خلدون ) الذي أراد أن يجعل من التاريخ علماً بالمعنى الصحيح بل فرعاً من فروع الفلسفة يقوم على دراسة العمران والاجتماع البشري ومعرفة قوانين التطور . ولا مجال هنا للبحث في نظرية ( ابن خلدون ) في التاريخ والاجتماع فأكتفي بالإشارة إلى أنه كان هو أيضاً ، مثل المؤرخين السابقين ، يعتقد بأن للتاريخ فائدة عملية وهي الاقتداء بالأنبياء في سيرهم والأمم في أخلاقهم والملوك في سياساتهم كما نلاحظ ذلك حتى في عنوان تاريخه الذي سماه « كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر » .

إلا أن ( ابن خلدون ) كان يطالب بملاحظة تبدل الأحوال في الأمم والأجيال مع مرور الأيام واختلاف الأخلاق والعوائد والمذاهب من عصر إلى عصر . وكان يدعو إلى المقارنة بين الحوادث لمعرفة ما بينها من تشابه أو تباين وتعليل ذلك ، ويحذر من أن نحكم على أخبار الماضين حسب أوضاعنا دون أن نتفطن لما جرى من تغيرات وانقلابات . كذلك يجدر بنا أن لا ننسى نظرية ( ابن خلدون ) في حتمية التطور التاريخي ، هذه النظرية التي تذهب إلى أن كل مجتمع يجتاز في تطوره أدواراً معينة تتكرر بانتظام وتشبه مراحل نمو الكائنات الحية وفنائها . وهو يدعي بأن هناك قوانين تاريخية مثل القوانين الطبيعية لا تتغير . لذلك ليس هناك في التاريخ من مجال للمصادفات أو المعجزات . وفي سبيل تأييد رأيه يقول

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

( ابن خلدون ) : « جاء في الحديث : ما بعث الله نبياً إلا في منعة من قومه . وإذا كان هذا صحيحاً في الأنبياء وهم أولى الناس بخرق العوائد فما ظنك بغيرهم ألا تخرق له العادة في الغلب بغير عصبية » . وهو بعد أن استشهد بغزوة ( أحد ) ختم كلامه قائلاً : « وهكذا حال الأنبياء ( عليهم الصلاة والسلام ) في دعوتهم إلى الله بالعشائر والعصائب وهم المؤيدون من الله بالكون كله لو شاء ، لكنه إنما أجرى الأمور على مستقر العادة » .

وقد بين ( ابن خلدون ) في مقدمته المشهورة كيف أن الحوادث التاريخية أيضاً تخضع لقانون السببية والحتمية . ومن الواضح أنه لا سبيل إلى الاستفادة عملياً من عبر التاريخ إذا لم نؤمن بأن لكل حادث سبباً وبأن الأسباب نفسها لا بد أن تؤدي إلى النتائج ذاتها .

أما في أوروبا فقد اتجه الاهتمام منذ عهد النهضة إلى دراسة التراث اليوناني والروماني القديم وعلى الأخص المؤلفات التاريخية التي أخذ الكتاب ينهلون منها ويعلقون عليها وينسجون على منوالها . وكانوا جميعاً يريدون استخلاص العبر واستنباط الدروس من التاريخ كما نرى ذلك بالدرجة الأولى لدى ( ماكيافيللي ) الذي سعى إلى تأسيس علم السياسة بالاستناد إلى تجارب التاريخ ودروسه فاستقى معظم تعاليمه السياسية من كتاب المؤرخ الروماني ( ليفيوس ) .

وكان رجال السياسة والقادة العسكريون في الغرب منذ القديم ينصرفون في أوقات فراغهم إلى مطالعة كتب التاريخ للاستفادة منها ، بل إن الكثيرين منهم مثل ( يوليوس قيصر ) حتى ( ونستون تشرشل ) قد

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
الألوكة www.alukah.net

أقدموا على تدوين تجاربهم وآرائهم وخلفوا لنا مؤلفات تاريخية قيمة تتضمن كثيراً من الدروس المفيدة .

إننا جميعاً نستند إلى ذكرياتنا وتجاربنا السابقة لمعرفة ما يمكننا توقعه من حوادث في مواقف معينة يبدو لنا أنها تشبه الظروف الماضية : عندما زحفت الجيوش الهتلرية على ( بولندا ) في سنة ١٩٣٩ كان بين الغزاة جندي ألماني سبق له أن وجد في العاصمة ( فرصوفيا ) سنة ١٩١٨ ، فالتفت إلى رفيق بجانبه قائلاً : « في المرة الماضية تولت امرأة غسالة تجريدي من سلاحي . يا ترى من سوف يقوم بذلك هذه المرة ؟ » إن هذا الجندي المسكين قد تعلم من دروس الماضي فكان يتوقع هزيمة ألمانيا المعتدية مرة أخرى كما في سنة ( ١٩١٨ ) . وذكرى تلك الهزيمة هي التي كانت في سنة ١٩٤٠ ، بعد انتصارات ( هيتلر ) السريعة ، تشجع الحلفاء على الصمود وتدعم الروح المعنوية لدى الانكليز والفرنسيين « الأحرار ».

على أن الاعتقاد العام بإمكان الإفادة من عبر التاريخ أخذ يتزعزع منذ أوائل القرن التاسع عشر . فقد كتب الفيلسوف الألماني ( هيغل ) في ذلك الوقت يقول : « الشيء الوحيد الذي نتعلمه من التاريخ هو أن لا أحد قد يتعلم من دروس التاريخ شيئاً » . إن هذا القول الذي قصد صاحبه أن يصوغه في قالب متناقض ربما لا يخلو من المبالغة والالتباس ولكنه ينطبق على الواقع إلى حد بعيد . فالتاريخ يذكر لنا أمثلة كثيرة عن العاقبة الفجيعة التي ينتهي إليها الظلم والطغيان ولكن ذلك لم يصبح رادعاً للطغاة المستبدين الذين ما زالوا يطمعون في الاستئثار بالحكم وخنق حرية الشعوب . وقد أثبت التاريخ خطيئة ( نابليون ) الفاحشة في اعتدائه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

على روسيا وزحفه على ( موسكو ) في سنة ١٨١٢ . ونرى ( بسمارك ) في مناسبات عديدة ، يحذر الألمان من الاشتباك في حرب مع الروس والدول الغربية في وقت واحد . وكان ( هيتلر ) ، الذي لا تنكر عبقريته على الرغم من نقص ثقافته وعدم اتزانه وغروره ، قد اطلع على رأي ( بسمارك ) وتعليقات الخبراء العسكريين عليه وأعلن مراراً بأنه لن يرتكب مثل هذا الخطأ . ولكنه سرعان ما وقع فيه فاستعجل بذلك خاتمته الفجيعة وجر بلاده إلى أعظم نكبة أصابتها .

وكان القائد ( فون قلاوزيفيتس ) في كتابه المشهور ( عن الحرب )، الذي ظل منذ سنة ١٨٣٠ حتى اليوم المرجع المعتمد في النظريات الستراتيجية ، قد بين أنه عندما يكون هناك عدو واحد ينبغي توجيه الهجوم رأساً إلى عاصمته . أما إذا كان هناك أكثر من عدو فيجب السعي أولاً إلى قطع خطوط المواصلات بين الخصوم . وكان الألمان قد خالفوا هذه القاعدة في سنة ١٩١٤ ولكنهم تحاشوا هذا الخطأ في سنة ١٩٤٠ إذ اندفعوا منذ البداية إلى مرافىء بحر ( المانش ) وقطعوا الطريق على الانكليز الذين انسحبوا من ( دونكرك ) وبذلك سهل على الألمان الزحف على باريس واحتلالها . على أن ( هيتلر ) الذي نسي نصيحة ( بسمارك ) وهاجم روسيا في سنة ( ١٩٤١ ) لم يتبع أيضاً قول ( قلاوزيفيتس ) فطمع في الاستيلاء على ( موسكو ) عوضاً عن أن يوجه جيوشه أولاً إلى القفقاس لقطع الطريق على نجدات الحلفاء إلى روسيا . ولا شك في أن الانتصارات السريعة التي أحرزها الألمان بادىء الأمر قد خدعت ( هيتلر ) ونفخت فيه الغرور وجعلته يهمل القواعد العسكرية ولا يعبأ بآراء مستشاريه المجربين .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

إذا أمعنا النظر في كلمة ( هيغل ) يتضح لنا أنها لا تعني أنه يستحيل استخلاص العبر من التاريخ ولكنها تعلن أن البشر ، أفراداً وشعوباً وحكومات ، لا يستفيدون من هذه العبر إما لجهلهم أو طيشهم أو ضعف إرادتهم وانقيادهم للأنانية وما يتفرع عنها من طمع وحسد وخوف وحقد .

للاستفادة من دروس التاريخ يجب أن تكون لدينا معرفة جيدة ، دقيقة للحوادث وأن نحسن تفسيرها ونلاحظ اختلاف الظروف التي وقعت فيها بالنسبة إلى الأوضاع الجديدة .

بعد حرب ( القرم ) « ١٨٥٤ — ١٨٥٦ » قام أحد الضباط الفرنسيين اسمه ( فروسار ) ، الذي كان استاذاً في كلية الأركان ،فوضع نظرية استخلصها من التجارب في ساحة تلك الحرب المحدودة ، تعتمد على مبدأ الدفاع المنظم في الخنادق . فلما نشبت الحرب في سنة ( ١٨٧٠ ) تمسك الفرنسيون بهذه النظرية بينما أقدم رئيس الأركان الألماني ( فون مولتكه ) ، الذي درس بإمعان معارك نابوليون ، فوضع خطة الحرب الخاطفة والحركة السريعة وحقق بذلك نصراً باهراً . وعلى أثر ذلك تخلى المخططون الفرنسيون عن نظرية ( فروسار ) ومالوا إلى طريقة الهجوم المتواصل ولكن الخسائر الفادحة التي تكبدتها فرنسا في الحرب العامة بين ١٩١٤ — ١٩١٨ أدت إلى ظهور عقدة خط ( ماجينو ) لدى السياسيين والعسكريين الفرنسيين . وقد برهنت الحرب العالمية الثانية على أن هذا الخط لم يكن متناسباً مع تقدم الفنون الحربية الحديثة .

عندما انفجرت الثورة البلشفية في سنة ١٩١٧ انبرى بعض الكتاب والسياسيين يتنبؤون بأن الجيوش الروسية سوف تندفع إلى القتال بروح جديدة وحماسة ثورية وكانوا يستشهدون بما حدث بعد الثورة الفرنسية .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

إلا أنهم نسوا أن حرب سنة ١٧٩٢ قد نشبت في السنة الثالثة بعد الثورة في حين أن ثورة ١٩١٧ حدثت في السنة الثالثة بعد الحرب وبذلك غفلوا عن ملاحظة الفرق الأساسي بين الحالتين وهو أن الفلاح ـ الجندي الفرنسي إنما أسرع سنة ١٧٩٢ إلى القتال للدفاع عن الأرض التي كان انتزعها من الاقطاعيين في حين أن الفلاح الروسي المجند قد انسحب سنة ١٩١٧ من جبهة الحرب للاستيلاء على الأرض .

وعندما وقّع ( تشمبرلين ) في سنة ١٩٣٨ على اتفاقية ( مونيخ ) وأعلن قبوله لمبدأ الاستيلاء على الأراضي في أوروبا الوسطى على شرط أن يتم ذلك عن طريق اتفاقيات « معقولة » وليس باستخدام القوة ـ أثبت أنه كان يهرب من مواجهة الواقع وأنه كان ينقصه التفكير التاريخي الصحيح ، إذ لا يذكر لنا التاريخ أن أي شعب أوروبي قد تخلى عن الأرض دون أن يتعرض إلى العنف » .

إن كلمة ( هيغل ) قد أثارت العلماء ودفعتهم إلى البحث في ماهية المعرفة التاريخية وإلى دراسة العوامل المؤثرة في تطور المجتمعات البشرية . وارتفعت أصوات كثيرة تؤكد على أن أهم درس نتعلمه من التاريخ هو أنه لا يعيد نفسه وأن الصفة المميزة للحادث التاريخي هي أنه فريد ومقيد بمكان معين وزمان محدود وظروف خاصة وأنه لا يتكرر أبداً بالشكل ذاته وعلى الصورة نفسها وبجميع التفصيلات . وقد أنكر قسم من العلماء أن تكون هناك قوانين تاريخية ثابتة مثل القوانين الطبيعية وحجتهم في ذلك هي أن الحوادث التاريخية معقدة ، تؤثر فيها عوامل متعددة ، مختلفة من طبيعية ونفسية واجتماعية لا يمكن الاحاطة بها . كما أن المصادفات لها دور

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

كبير في حياة البشر . وقبل كل شيء يستند هؤلاء العلماء إلى مبدأ حرية الإرادة فيقولون إن البشر هم الذين يصنعون تاريخهم وأن الشخصيات التي ترسم الخطط وتتخذ القرارات وتوجه الأعمال تتصف بحرية الاختيار عدا أن بعض زعماء الشعوب كثيراً ما يتبعون الأهواء ويتقلبون مع الظروف ويناقضون أنفسهم ، فكيف نستطيع في هذه الحالات معرفة اتجاه الحوادث واستنتاج قواعد أو وضع قوانين يمكن الاستناد إليها في المستقبل ؟ وإذا كانت حوادث التاريخ لا تتكرر ولا تجري تبعاً لقوانين ثابتة ، بل تخضع للمصادفات وتنبعث من إرادة الأفراد الشخصية وتتكيف حسب رغباتهم وآرائهم الذاتية فكيف يمكن أن نستخلص منها الدروس والعبر ؟ .

لا مجال هنا للبحث في مشكلة حرية الإرادة من الوجهة الفلسفية . ويكفي أن نشير إلى اجتهادات علماء الكلام المسلمين ثم إلى دراسات علماء النفس الغربيين الذين يتفقون على أن الإنسان في أعماله يشعر بأنه يتمتع بحرية الاختيار أي أنه يستطيع أن يفعل هذا الشيء إذا شاء أو لا يفعله وأن يقرر أمراً ثم يرجع عنه متى أراد . ولكن هذا الشعور لا يعني أن أعمال البشر في جملتها لا تخضع لقانون السببية والحتمية ولا تتبع نظاماً معيناً .

يقول الفيلسوف الألماني ( كنط ) : « مهما كان رأينا في حرية الإرادة من وجهة نظر ما بعد الطبيعة فإن مظاهر هذه الحرية أي الأعمال البشرية مقيدة مثل سائر الحوادث الطبيعية بقوانين عامة . وعلم التاريخ الذي يروي لنا هذه الأعمال البشرية يبين لنا أنها في مجموعها ، على الرغم من خفاء أسبابها ، تتبع سيراً منتظماً وتخضع لقوانين معينة . وهكذا بينما تبدو أعمال الأفراد معقدة ، فوضى ومتناقضة فإننا إذا نظرنا إلى الجنس

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

البشري كله نراه يسير باستمرار ، ولو بصورة بطيئة ، في طريق التطور المطرد » . ثم يأتي ( كنط ) بمثال من علم الإحصاء فيقول : « إن عقود الزواج التي تخضع لإرادة الأفراد ورغباتهم الشخصية وحوادث المواليد والوفيات التي تتأثر بعوامل كثيرة — هذه كلها يبدو أن ليس لها من قاعدة معينة تساعد على حسابها مسبقاً ، ولكن على الرغم من ذلك فإن الإحصائيات السنوية في البلدان الكبيرة تثبت لنا أنها تتبع قوانين طبيعية ، ثابتة ؛ وأنه في استطاعتنا التنبؤ بها ورسم خط بياني يحدد اتجاهاتها ، تماماً كما هو الأمر مع تقلبات الطقس التي يصعب تحديد مظاهرها الجزئية ولكنها لا تخلو في جملتها من نظام معين ثابت » .

إننا في التاريخ نتحدث عن أفراد البشر بصفتهم كائنات اجتماعية ومن وجهة نظر علاقاتهم بعضهم ببعض . ومن المعروف أن شخصية كل فرد إنما تتكون تدريجياً ضمن مجتمع معين وفي عصر محدد ، وهذه الشخصية تتألف من عناصر عديدة وراثية ومكتسبة كالغرائز والأمزجة والاستعدادات والمواهب التي تؤثر كلها في سلوك الفرد بالإضافة إلى الدوافع العاطفية والحوافز العقلية . ونحن جميعاً نسعى إلى ملاحظة ودراسة شخصيات الأفراد الذين نعيش ونتعامل معهم لنعرف كيف سيكون سلوكهم في مختلف المواقف وماذا يمكننا أن نتوقع منهم في كل ظرف من الظروف . وكثيراً ما نحكم على بعضهم بالاستناد إلى أقوالهم حيناً وإلى أفعالهم مرة أخرى ونفترض أن هذه الأقوال والأفعال تعبر بصدق عن أفكارهم وآرائهم وتعكس المصالح التي يسعون اليها .

على أن الدراسات النفسية الحديثة قد علمتنا أن أفراد البشر لا يتبعون

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

دوماً صوت العقل ولا يدركون في الغالب مصالحهم الحقيقية وقلما يلتزمون بالصدق بل إنما يندفعون مع الأهواء والنزعات والنزوات ويخضعون لعوامل لا شعورية ويتأثرون بالأوهام والخرافات . . ثم إن كل فرد يتلقى من مجتمعه ومن البيئات المختلفة حوله وسائل التفكير والتعبير ويقتبس كثيراً من العقائد والتقاليد والعادات التي يتأثر بها إيجابياً عندما يخضع لها وسلبياً عندما يثور عليها ويرفضها .

والتاريخ إنما يصنعه الملايين من هؤلاء الأفراد الذين تجمع بينهم روابط كثيرة ويتكتلون تحت تأثير عوامل مختلفة اقتصادية وسياسية وعاطفية شعورية أو لا شعورية . وإذا كانت الجماهير لا تتحرك ولا تفعل شيئاً إلا إذا تولى تنظيمها وتوجيهها قادة قلائل فإن هؤلاء القادة بدورهم يحتاجون إلى الجماهير .

وقد أشار ( تولستوي ) إلى أن بعض المؤرخين يبالغون في تقدير أثر الشخصيات الكبيرة في التاريخ ، واستطاع في روايته المشهورة « الحرب والسلم » أن يبرهن على أن « منطق الأحداث » في حرب ١٨١٢ كان أقوى من مخططات ( نابليون ) و ( اسكندر الأول ) و ( كوتوزوف ) وأن النصر كان من صنع الأفراد غير المعروفين الذين لا حصر لهم والذين خاضوا غمار المعارك وحرقوا ( موسكو ) واخترعوا حرب الأنصار وراء خطوط العدو .

ولعل أحسن وصف للشخصية التاريخية العظيمة هو ، كما قال ( هيغل ) ، الفرد الذي يستطيع أن يتبين ما هي إرادة عصره فيعبر عنها بكلمات واضحة ويحققها بالفعل . إنه هو الذي يكشف عن روح عصره ويجسده

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ويبعث فيه الحياة والحركة ؛ وبعبارة أخرى : إن الشخصية العظيمة ليست سوى الفرد البارز في المجتمع والذي هو محصول الأحداث التاريخية وفي الوقت نفسه صانع هذه الأحداث والمؤثر في توجيهها .

كتب مرة المفكر الفرنسي الشهير ( باسكال ) في القرن السابع عشر العبارة الساخرة التالية : « لو كان أنف كليوباترا أقصر لتبدل مجرى أحداث العالم » . ولم يفهم بعضهم المقصود من هذه الكلمة فتساءل : « ما شأن أنف كليوباترا في التاريخ » . ومن الواضح أن ( باسكال ) لم يقصد ذلك وإنما أراد الإشارة إلى أن ( كليوباترا ) ما كانت لتتصف بجمالها المشهور لو أن أنفها مثلاً كان أقصر أو أطول وبالتالي ما كان القائد الروماني ( آنطونيوس ) ليقع في غرامها وينهزم في معركة ( آكسيوم ) ويستولي خصمه ( أوقتاويوس ) على مصر وخزائنها ويؤسس الامبراطورية الرومانية . ونرى بعض المؤرخين الحديثين ، الذين يعارضون مبدأ الحتمية في التاريخ ، يكثرون من الاستشهاد بهذه الكلمة ليبرهنوا على أن حوادث التاريخ ليست سوى مجموعة من المصادفات التي ترجع إلى أسباب عرضية ، تافهة في الغالب .

ومثال آخر للمصادفات ما يرويه ( تشرشل ) في مذكراته عن ملك اليونان اسكندر الذي كان يوماً يداعب قرداً صغيراً فعضه القرد وأدى تسمم الجرح إلى موت الملك في خريف سنة ( ١٩٢٠ ) . ويضيف (تشرشل) قائلاً : « بسبب هذه العضة مات ربع مليون من البشر » ذلك لأن اليونانيين أعادوا إلى الحكم الملك قسطنطين الذي كان يحلم بإحياء الامبراطورية البزنطية فاستأنف الحرب ضد الأتراك التي سقط فيها ذلك العدد من القتلى وانتهت بهزيمة اليونان .



هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لا يمكن أن ننكر أثر المصادفة والحظ في التاريخ ولكن لا بد من الملاحظة أن المصادفة لا تتنافى مع قانون السببية والحتمية . فإن عشق ( انطونيوس ) لكليوباترا كانت له أسباب حتمية ، لأن ( كليوباترا ) كانت جميلة حقاً ولأن من الطبيعي أن يفتتن الرجال بالجمال الرائع . كذلك هزيمة ( انطونيوس ) في المعركة كانت لها أسبابها الموجبة . والمشكلة إنما نشأت من اصطدام هاتين السلسلتين من الأسباب اللتين لا صلة حتمية بينهما .

وهذا هو معنى المصادفة . والمؤرخ الذي يريد الاستفادة من تجارب الماضي لا يتساءل : كيف كانت ستجري الأمور لو لم ينهزم ( انطونيوس ) فهو إنما يدرس ما حدث بالفعل ويسعى إلى تعليله ومعرفة الأسباب التي قد تتكرر ويمكن أن يستخلص منها قاعدة عامة . أما حادث التقاء ( أنطونيوس ) مصادفة بكليوباترا فلا يمكن أن يستنتج منه أن قادة الجيوش عامة يخسرون المعارك إذا هم وقعوا في غرام ملكات جميلات .

وقد أشار ( كارل ماركس ) إلى أن المصادفات والحظوظ نادرة في تاريخ العالم وأنه ليس لها من أهمية كبيرة ولا تؤثر في مجرى التاريخ واتجاهاته العامة . ونحن إنما نطلقها في الغالب على بعض الأحداث التي نجهل أسبابها ..

هل نستنتج من كل هذا أننا لا نستطيع استخلاص عبر ودروس من التاريخ تفيدنا في حياتنا العملية ؟ كلا . إن التاريخ يمكن أن يكون مرشداً لنا في أوضاعنا الحاضرة وفي طريقنا إلى المستقبل إذا فهمنا الدروس التي يتضمنها وعرفنا كيف نقارن بين الحاضر والماضي وندرك وجوه التشابه والاختلاف ونعتبر بالتجارب السابقة ، ثم إذا كانت لدينا الإرادة الصادقة والقدرة الكافية لاتباع إرشاداته .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

صحيح إن التاريخ لا يعيد نفسه ، كما يقولون ، ولكن هذا لا يعني أن ليس هناك في تاريخ الشعوب أوضاع متشابهة قد تؤدي إلى نتائج مماثلة إذا عولجت بالأسلوب ذاته . وقد لاحظ المؤرخون بعد دراسة مختلف الثورات مثل الثورة الانكليزية سنة ( ١٦٤٠ ) والثورة الفرنسية (١٧٨٩) والثورة البلشفية ( ١٩١٧ ) أنهـــا جميعاً كانت تبدأ بأزمات متشابهة ثم تجتاز مراحل متماثلة . ومن المعروف عن رجال الثورة البلشفية أنهم قاموا بدراسات واسعة عن الثورة الفرنسية ثم الثورات الأوروبية ( سنة ١٨٤٨) وعن حكومة اللجنة الثورية ( قومون ) في باريس سنة ١٨٧٠ للاستفادة منها فى أعمالهم . وكان البلاشفة يخشون أن تنتهي ثورتهم كما انتهت الثورة الفرنسية التي تمخضت عن ( نابليون ) . لذلك كانت تساورهم الشكوك تجاه ( تروتسكي ) الذي كان أكثرهم شبهاً بنابليون فلم يثقوا به وعملوا على إقصائه من صفوفهم .

على أننا نخطىء كثيراً إذا اعتقدنا بأن التاريخ يزودنا بمجموعة من الأمثولات يمكن أن نستخدمها في الوقت الحاضر فنقلدها أو نتجنبها حسب الحاجة . ومن المؤسف أننا نرى الكثيرين من الكتاب والخطباء يشيرون إلى دروس التاريخ ويتحدثون عن « حتمية التاريخ » دون أن يأتوا بأمثلة واقعية يقومون بتحليلها وبيان وجوه الشبه بينها وبين الأوضـــاع الحاضرة ومدى إمكانيات الاستفادة منها .

إن التاريخ لا يقدم لنـا وصفات جاهزة وحلولاً كاملة . فهو إنمـا يروي لنا كيف تطورت المجتمعات البشرية لنعرف ما هي العوامل التي تؤثر في هذا التطور وما هي القوى والتيارات التي تدفع الشعوب إلى الأمام أو

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تعرقل سيرها . وكما أن التجارب التي تمر على الفرد في حياته يمكن أن توسع آفاق فكره وتزيده نضجاً وحكمة إذا تذكرها وعرف كيف يستفيد منها ، كذلك التاريخ فهو ذاكرة البشرية ويروي لنا خلاصة تجارب الشعوب على مر العصور . وفي استطاعتنا ، إذا أحسنا دراسة هذه التجارب وقمنا بتحليلها أن نستوحي منها كثيراً من الآراء والملاحظات التي تساعدنا على فهم الحوادث الحاضرة . إن تجارب التاريخ ليست نماذج نقتدي بها ونقلدها ، بل هي مادة للتأمل والتفكير والمقارنة .

نتعلم من التاريخ أن أحوال البشر في تطور دائم وأن الشعوب التي تريد الحياة لا بد لها من مجاراة الزمن في سيره واللحاق بركب الحضارة . كذلك يعلمنا التاريخ كيف نفكر تفكيراً واقعياً انتقادياً ، ويحررنا بذلك من الأوهام والأضاليل والأساطير ويبين لنا أن مقدرات الأمم مرتبطة بإدراكها للعوامل التاريخية التي نشأت عنها أوضاعها الحاضرة وبمعرفتها للرواسب التي انتقلت إليها من الماضي ، وأن نجاحها يتوقف على ما تتصف به من وعي وقوة إرادة وحزم وثبات . على أننا لا نستطيع الاستفادة من عبر التاريخ إلا إذا نظرنا إليه نظرة موضوعية مستنيرة . يجب أن نسعى قبل كل شيء إلى معرفة الحقائق الواقعية ، كما يجب في تاريخنا القومي أن نربط بين أمجادنا وتقاليدنا الماضية وبين حاضرنا فلا يجوز أن نغرق في الماضي ونستسلم إلى سحره وننسى واقعنا ومتطلبات عصرنا . إن الانغماس في الماضي قد يورث الضعف بدلاً من القوة ويشل الإرادة عوضاً أن يدفعنا إلى النهوض وبذلك قد يصبح الماضي عبئاً ثقيلاً يمنع تقدمنا لا مصدر إلهام وقوة حافزة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كان قادة النهضة العربية في القرن التاسع عشر وأوائل هذا القرن على حق في اعتقادهم بأن الجيل العربي الجديد يجب أن ينكب على دراسة الحركات القومية الحديثة ولا سيما تاريخ الوحدتين الألمانية والإيطالية لأنه يستطيع أن يتعلم من ذلك الشيء الكثير .

وكم من العبر يمكننا أن نستخلص من دراسة تاريخ اليونان مثلاً . فنرى كيف أن اليونانيين القدماء لم ينجحوا في صد الغارات الفارسية إلا بفضل ما أظهره سكان ( أثينة ) وحدها دون سائر المدن اليونانية من وعي سياسي وحماسة في سبيل الدفاع عن حريتهم ، ومن المعروف أن هذا الوعي لم يكن سوى نتيجة للنظام الديمقراطي الذي كانت ( أثينة ) تعيش في ظله قبل الحروب الفارسية ، فقد تمتع الآثينيون بالحق في إدارة شؤونهم بأنفسهم وعرفوا معنى الحرية والمساواة وأدركوا أنهم سيحرمون من كل شيء إذا هم فقدوا استقلالهم ؛ ولم يخف عليهم أن المحافظة على كيانهم تتطلب منهم التضامن والتعاون مع غيرهم من اليونانيين . أما المدن اليونانية الأخرى التي كانت تعيش تحت الحكم الدكتاتوري أو الأرستوقراطي فإنها لم تظهر أي حماسة للدفاع عن كيانها ولم تشعر بأنها تملك شيئاً عزيزاً يستحق أن تضحي في سبيله . إن اعتيادها الانقياد للطغيان الفردي أو الاستبداد الطبقي جعلها تقبل بسهولة الخضوع للحكم الأجنبي.

لنأخذ مثالاً آخر من التاريخ الحديث : لما استدعى ملك بروسيا ( غيليوم الثالث ) في سنة ( ١٨٠٤ ) السياسي الألماني المشهور ( فون شتاين ) لتولي الوزارة وتنظيم حركة المقاومة ضد نابليون لم يقبل ذلك إلا بشروط ، بينها إصدار قانون بتحرير الأقنان وآخر بتنظيم ملكية الأراضي .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ولتبرير هذا الطلب قال ( فون شتاين ) : « كيف أستطيع ، يا صاحب الجلالة ، أن أدعو الفلاحين الذين يؤلفون أكثرية الشعب إلى الدفاع عن أرض لا يملكون منها شيئاً ؟ وكيف نطالب أفراد الشعب بأن يقاتلوا في سبيل حرية بلادهم إذا لم يكونوا هم أنفسهم أحراراً يعرفون معنى الحرية ويدركون قيمتها » ؟.

وتجدر هنا الإشارة إلى أن ( فون شتاين ) كان بعيداً عن الآراء المتطرفة ومعارضاً لمباديء الثورة الفرنسية . إنه كان من النبلاء المحافظين الذين لا يريدون قطع الصلة بين الماضي والحاضر ، بل يسعون إلى البناء بالاستناد إلى العناصر الحية من التراث القديم . ولكن نزعته المحافظة لم تكن لتمنعه من الدعوة إلى الاصلاح في سبيل مصلحة بلاده . وقد أصدر قانوناً يهدف إلى إشراك الشعب في إدارة الشؤون العامة لاعتقاده بأن الشعب لا يبلغ النضج السياسي ولا يدافع عن كيانه ولا يتمسك بوحدته وعزته القومية إلا إذا تمتع بالسيادة وتدرب على تقرير مصيره بنفسه وأشرف على الحكم وعرف معنى المسؤولية . وفي مذكرة قدمها إلى ملوك ألمانيا وأمرائها كتب يقول : « على السلاطين والوزراء الحاكمين بأمرهم أن يتذكروا بأن الشعوب أيضاً قد منحتها العناية الالهية نصيباً من الحرية والكرامة ؟..

وأخيراً ها نحن في الوطن العربي عندما نفكر كل يوم في تحرير فلسطين تعود بنا الذاكرة رأساً إلى جهاد صلاح الدين الأيوبي الذي طرد الصليبيين من الأراضي المقدسة . وعلى الرغم من معرفتنا بالفروق العديدة بين الأوضاع التي كانت سائدة في القرن الثاني عشر وبين الحالة في الوقت الحاضر فإننا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

نعتقد بأن أعمال صلاح الدين يمكن أن تكون عبرة وحافزاً لنا ودرساً نتعلم منه . وبديهي أننا لا نستفيد شيئاً من إحياء ذكرى صلاح الدين إذا اقتصرنا على الإشادة بصفاته السامية ومزاياه النادرة والتغني بأعماله المجيدة . إنه لا بد لنا من دراسة دقيقة للخطط السياسية البعيدة التي رسمها والأساليب العملية التي اتبعها لبلوغ الهدف ، ليس بحشد الجنود وجمع العتاد والذخائر فحسب ، بل كذلك بإنشاء الطرق والجسور وتسهيل وسائل العيش للشعب بالغاء المكوس وخفض الضرائب ثم تنوير الأفكار بتأسيس المدارس ونشر العلم . وهو لم يكتب له النجاح في طرد الصليبيين إلا لما اتصف به من بعد النظر والمهارة السياسية والثقة بالنفس والحزم في تنفيذ ما يصمم عليه والصبر على الشدائد والعمل المتواصل دون كلل أو ملل . فكان حقاً مثال البطولة في تاريخ الاسلام ، بل كان ، باتفاق آراء المؤرخين المسلمين والفرنج على السواء ، من أعظم عباقرة العالم . وإن في سيرته لعبرة لمن يتفكرون !.

دمشق — محمد كامل عياد

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فقيد العربية

محمد بهجة البيطار

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مجمعي افتقدناه

# محمد بهجة البيطار

١٣١١ — ١٣٩٦ هـ

الدكتور عدنان الخطيب

أخلاق تتسامى إلى المثل الأعلى ؛

سماحة تتجلى في الأخذ والعطاء ؛

طهارة تنبع من القلب ، وعفة تقبض اليد وتعقل اللسان ؛

كل هذا كان في برديٍّ عالم دمشقي كبير من المنافحين عن الضاد ، القائمين على خدمة لغة التنزيل العزيز .

كان عالماً فذّاً يزين علمه العملُ به ، ويجمّله حبٌّ نشره بين الناس.

كان بحراً زاخراً بالعلوم والمعارف ، هادئاً هدوء النسيم العليل ، صافياً صفاء الماء النمير .

كان رجلاً حلو الشمائل ، جمّ التواضع ، رضيّ الخلق .



هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كان إنساناً جُبل من حنان وعطف وحبٍّ للآخرين .

كان مسلماً بما تحمله هذه الكلمة من معانٍ وصفات .

كان مؤمناً لا تراه إلا هاشاً باشاً كالذين وصفهم الله عزّ وجلّ بقوله : ﴿ وعبادُ الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ﴾ .

كان خلقه العظيم وعاء علمه النافع ودينه الصحيح .

إنه شيخنا **الجليل محمد بهجة البيطار** أحد أركان مجمع اللغة العربية ، وقد تمثلت فيه أخلاق السلف الصالح ، وكأنه الوارث له علمـــاً وفضلاً واطمئنان نفس .

لحق شيخنا بالرفيق الأعلى ، ونعاه مجمع دمشق يوم السبت في الثلاثين من جمادى الأولى سنة ١٣٩٦ للهجرة ، الموافق للتاسع والعشرين من أيار سنة ١٩٧٦ للميلاد .

مات الشيخ البيطار **وافتقدت مجامـــع اللغة العربية بموته أحد المناضلين حملة لواء الدفاع عن أمّ اللغى** ، ما كلّ يوماً وما ونى ، وقد جاوز الثمانين ، إلى أن سقط واللواء بيده ﴿ مِنَ المؤمنينَ رجالٌ صَدقوا مـا عاهَدُوا اللهَ عليه فمنهم من قَضى نحْبَهُ ومِنهمْ مَنْ ينتظرُ وما بدّلوا تَبْديلا ﴾ .

رحم الله الفقيد رحمة واسعة وعوض العربية عنه خيراً .

* * *

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

## سيرة الفقيد

## حياته وآثاره

### مولده وأسرته

ولد فقيدنا محمد بهجة البيطار بدمشق في الثاني من رمضان سنة ١٣١١ هـ ( ١٨٩٤ م ) في أسرة دمشقية عريقة ، اشتهر كثيرون من أبنائها بالعلم والأدب والتقوى ، وكان جدها الأعلى هبط دمشق مهاجراً من « بليدة » من أعمال الجزائر في المغرب العربي ، واختار لسكناه حيّ الميدان الشهير .

نشأ الفقيد في حجر والده الشيخ محمد بهاء الدين ( ١٢٦٥ – ١٣٢٨ هـ ) ابن عبد الغني بن حسن بن إبراهيم الشهير بابن البيطار ، وكان والده الفقيد عالماً أديباً يقرض الشعر ، محبوباً من الخاصة لفضله ومن العامة لمؤانسته إياهم ، وقد تولى الإمامة فيهم بعد وفاة أبيه .

تزوج والد الفقيد ابنة عمه الشيخ عبد الرزاق ( ١٢٥٣ - ١٣٣٥ هـ ) ابن حسن البيطار ، وكان من كبار علماء دمشق العاملين على نشر المذهب السلفي ، بارعاً في علوم العربية وآدابها ، حسن الرواية حاضر البديهة ، ترك عدداً من المؤلفات أهمها : كتاب « حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر » حققه وتولى التعليق عليه سبطه فقيدنا الغالي محمد بهجة البيطار وقام مجمع اللغة العربية بطبعه بدمشق في ثلاثة أجزاء سنة ( ١٩٦١ – ١٩٦٣ م ) .

### دراسته وشيوخه

تلقى الفقيد مبادىء علوم الدين واللغة على والده وأتم دراستيه الابتدائية

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

في المدرسة الريحانية والإعدادية في المدرسة الكاملية بدمشق .

وتابع دراسته العالية في العلوم الدينية والعربية والعقلية على والده وعلى جده لأمه الشيخ عبد الرزاق البيطار ، وعلى كل من الشيوخ الأعلام في عصره جمال الدين القاسمي الدمشقي ومحمد الخضر حسين التونسي نزيل دمشق وعلى محدث الديار الشامية الكبير محمد بدر الدين الحسني ، ونال الاجازة منهم في مختلف العلوم النقلية والعقلية .

**الوظائف والمناصب التي تولاها**

**أولاً** : — تولى الفقيد سنة ( ١٣٢٨ هـ — ١٩١٠ م ) الخطابة والإمامة والتدريس في جامع القاعة بحي الميدان خلفاً لوالده ، ثم تولى سنة ( ١٣٣٥ هـ - ١٩١٧ م ) الخطابة والتدريس في **جامع كريم الدين الشهير بالدقاق** خلفاً لخاله ، وهذا الجامع هو مسجد المحلة التي تقطن أسرة البيطار فيها ، وكانت الإمامة والخطابة فيه في أسلاف الفقيد مما يمتد لأكثر من مئة عام .

وظل الفقيد ، بما عرف عنه من همة ونشاط ، يخطب ويُدرِّس مختلف العلوم في مسجد محلته إلى أن لحق بالرفيق الأعلى ، ما انقطع عن ذلك إلا لمرض أو سفر .

اشتهر الفقيد بخطب كان يلجأ فيها على الأغلب **إلى تفسير آيات من الذكر الحكيم تناسب زمنها** ، وكثيراً ما قصد مسجده لسماعها كبار الشيوخ والعلماء من أصدقائه أو من زوار دمشق فضلاً عن مريديه من التلامذة وطلاب العلم ، حتى إذا ما أديت صلاة الجمعة ، اصطحب الفقيد زوار مسجده إلى الدار ، حسب **تقاليد الحي الدمشقي العريقة** ، فإذا كان العصر أدوا الصلاة وانتشروا .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

**ثانياً** : — عين الفقيد سنة ١٣٤٠ هـ ( ١٩٢١ م ) من قبل مديرية معارف دمشق ، معلماً في مدرسة الميدان الابتدائية ، وظل قائماً بتدريس المواد الموكلة إليه حتى سنة ١٣٤٦ هـ ( غاية أيلول ١٩٢٦ م ) إذ يشير سجل الحكومة إلى أنه استأذن بالسفر إلى الديار المقدسة ولم يعد إلى وظيفته .

**ثالثاً** : — اشترك الفقيد سنة ١٣٤٥ هـ ( في خريف ١٩٢٦ م ) **بمؤتمر العالم الإسلامي** الذي دُعي إلى عقده في مكة المكرمة ، وبعد انتهاء المؤتمر استبقى الملك عبد العزيز آل سعود الفقيد في مكة ليشرف على **المعهد العلمي السعودي** ، فبقي تلبية لطلب الملك يدير المعهد المذكور مدة خمس سنوات ، قلده الملك خلالها المناصب القضائية والعلمية التالية :

١ — عضو محكمة مكة الشرعية الكبرى ، ثم نائب رئيس لهيئة المراقبة القضائية ، ولكن الفقيد رغب عن المناصب القضائية فطلب إعفاءه وتم له ما أراد .

٢ — مفتش التعليم في مدارس الحجاز .

٣ — أستاذ مادتي التوحيد والتربية اللتين كان يجمع لها مديرو وأساتذة مدارس مكة .

٤ — عضو مجلس المعارف العمومية .

٥ — مدرس في الحرم المكي .

٦ — عضو هيئة مراقبة التدريس في الحرم الشريف .

**رابعاً** : — عندما غلب الحنينُ إلى دمشق الفقيدَ التمس من الملك السعودي السماح له بالعودة **إلى البلد الذي أحب ، وأحبه أهله** ، وعاد سنة ١٣٥٠ هـ ( ١٩٣١ م ) ليؤمَّ أهل حيّه كل يوم ويخطبهم كل أسبوع ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وكان إلى جانب هذا يقوم بتدريس العلوم الدينية والعربية في المسجد وفي بعض المدارس الخاصة ، كما تولى تدريسها سنة ١٣٥٣ هـ ( ١٩٣٤ م ) ولبعض الوقت في كليتي المقاصد الخيرية للبنين والبنات في مدينة بيروت .

**خامساً** : ـ عين الفقيد سنة ١٣٥٥ هـ ( ١٩٣٦ م ) من قبل دائرة الافتاء العامة **مدرساً عاماً في مدارس دمشق** .

**سادساً** : ـ أعيد تعيين الفقيد أيضاً في السنة نفسها من قبل وزارة المعارف السورية مدرساً للعلوم الدينية في مدارس حي الميدان الابتدائية .

**سابعاً** : ـ عين الفقيد سنة ١٣٥٩ هـ ( ١٩٤٠ م ) من قبل وزارة المعارف **أستاذاً للعلوم الدينية** في تجهيز دمشق للبنات .

**ثامناً** : ـ عهدت مديرية الأوقاف إلى الفقيد سنة ١٣٦١ هـ ( ١٩٤٢م ) بتدريس مادتي **التفسير والأخلاق** في كليتها الشرعية بدمشق .

**تاسعاً** : ـ وفي السنة نفسها عهدت وزارة المعارف إليه بتدريس **تفسير القرآن من الوجهة الأدبية** في دار المعلمين العليا .

**عاشراً** : ـ عندما عزمت الحكومة السعودية على إنشاء ثانوية كبرى في مدينة الطائف باسم ( **دار التوحيد السعودية** ) أعلن الملك عبد العزيز آل سعود رغبته في أن يتولى فقيدنا إدارة هذا المعهد ، فنزلت الحكومة السورية عند رغبة الملك وأوفدت الفقيد البيطار سنة ١٣٦٣ هـ ( ١٩٤٤ م ) حيث أقام في الطائف مدة ثلاث سنوات .

**أحد عشر** : ـ عهدت جامعة دمشق إلى الفقيد سنة ١٣٦٧ هـ ( ١٩٤٧ م ) القيام بتدريس مادتي **التفسير والحديث في كلية الآداب** .

**اثني عشر** : ـ في سنة ١٣٧٤ هـ ( نهاية عام ١٩٥٣ م ) أحيل

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الفقيد على التقاعد من وظيفته الحكومية ، فقصر نشاطه على محاضرات في التفسير كلف إلقاءها في كلية الشريعة وعلى التدريس الديني ووظائف وزارة الأوقاف إلى جانب إلقاء الأحاديث الدينية والاجتماعية في الإذاعة السورية ، وعلى أعمال مجمعية عديدة .

## الفقيد في المجامع العلمية اللغوية

انتخب الفقيد عضواً عاملاً في المجمع العلمي العربي في سنة ١٣٤٢ هـ ( ٣٠ آذار ١٩٢٣ م ) .

انتخب عضواً مراسلاً للمجمع العلمي العراقي في سنة ١٣٧٥ هـ ( ٦ حزيران ١٩٥٤ م ) .

وعندما تم توحيد مجمعي دمشق والقاهرة سنة ١٣٨٠ هـ ( ١٩٦٠ م ) باسم « **مجمع اللغة العربية** » كان الفقيد في مقدمة أعضاء المجمع الذين شاركوا في مؤتمر القاهرة لسنة ١٩٦١ م

كان الفقيد من أكثر أعضاء مجمع دمشق حيوية ونشاطاً ، شارك زملاءه في إلقاء المحاضرات العامة والأبحاث المتعمقة **وفي تحرير مجلة المجمع** وبالتعريف على صفحاتها بالكتب والمطبوعات التي تدخل موضوعاتها في اهتماماته الشخصية .

وشغل الفقيد في مجمع دمشق منذ سنة ١٣٧٣ هـ ( حزيران ١٩٥٣ م ) عضوية **لجنة المطبوعات** واستمر على القيام بمهامها في الاشراف على مجلة المجمع ومطبوعاته حتى أقعده المرض قبل انتقاله إلى دار الخلود بأسابيع معدودات .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

## سيرة الفقيد بين المشرق والمغرب

إن سـيرة الفقيد أرّجت أجواء المشرق العربي بعطرها الندي ، ولم أكن لأعلم أن شذى طيبها الفواح ، تجاوز المشرق العربي إلى مغربه وملأ أصقاعه وفيافيه ، فضلاً عن البلاد الإسـلامية النائية ، حتى رأيت إخواناً من الهند والباكستان يشيدون بفضله وعلمه وكريم خلقه ، وحتى زرت الجزائر **وانتشيت بما سمعته معتزاً بدمشقيّ أصيل تعطّر ذكراه مسامع القوم** ، وظننت بادىء ذي بدء أن لأرومة الفقيد أثراً فيما سمعت ثم وضح لي ما بدد ظني وجلا لي الأمر .

إن سيرة الفقيد عبقّت أرجاء المغرب العربي بفضل أحـــد كبار رواد الاستقلال الجزائري ، العالم المجاهد والأديب الفـــذّ نزيل دمشق **الشيخ محمد البشير الابراهيمي** ، إذ كان يتغنى بترداد ذكرياته يوم نزل دمشق وعرف كرام الرجال فيها ، وكأنه لم يكتف رحمه الله بما كان يحدث الناس به ، فقد نشر في جريدة « **البصائر** » مقالاً أثبت فيـــه بعضاً من تلك الذكريات وخص فيها فقيدنا البيطار **بالنصيب الأوفر من الثناء وتعداد المحامد** ، ورأيت من الوفاء لمدينة دمشق وللفقيد إثبات مقالة الشيخ الإبراهيمي برمتها فيما يلي ، **تجديداً لذكرى كاتبها ولما تركه في نفوس الدماشقة من حب وتقدير** .

قال الشيخ رحمه الله (١) : « الأستاذ الشيخ محمد بهجة البيطار علم من أعلام الاسـلام ، وإمام من أئمة السلفية الحقة ، دقيق الفهم لأسرار

---

(١) نشرت في العدد ٦٤ من جريدة البصائر سنة ١٩٤٩ ، وانظر : عيون البصائر ج ٢ ص ٦٤٦

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الكتاب والسنة ، واسع الاطلاع على آراء المفسرين والمحدثين ، سديد البحث في تلك الآراء ، أصولي النزعة في الموازنة والترجيح بينها ، ثم له — بعدُ — رأيه الخاص . يوافق ما يوافق عن دليل ، ويخالف ما يخالف إلى صواب ، لأنه مستكمل الأدوات المؤهلة لذلك ، ولأنه يفهم القرآن على أنه أصل ترجع إليه الآراء والمذاهب والفهوم ، وأنه كتاب الكون ودستور الانسانية ، لا كما يفهمه كثير ممن كتبوا في التفسير . فجردوا أقلامهم لتسطير أفهام غيرهم ، وجرّدوا القرآن من خصائصه العليا ، وقيدوا هدايته العامة بمذاهبهم الخاصة .

والأستاذ البيطار **مجموعة فضائل** ، ما شئت أن تراه في عالم مسلم من خُلق فاضل إلا رأيته فيه ، مجاوز للحدود المذهبية والإقليمية ، يزن هذه المذاهب الشائعة بآثارها في الأمة ، لا بأقدار الأئمة ، ويعطي كلًّا ما يستحق ؛ جريء على قوله الحق في العلميات ، ولكن الجُرأة منه يُلطفها الوقار ، والوقار فيه تزينه الجرأة ، فيأتي من ذلك مزاج خلقي لطيف ، متساوي الأجزاء ، ملتحم الخلايا ، قلّ أن تجده في أحد من علمائنا المعدودين .

والأستاذ البيطار **مفكر عميق التفكير** ، وخصوصاً في أحوال المسلمين بصير بعللهم وأدوائهم ، طب بعلاجهم ودوائهم ، يرى أن ذهاب ريحهم من ذهاب أخلاقهم ، وأن معظم بلائهم ، آت من كبرائهم وأمرائهم وعلمائهم ، وهو يعني كُبراء الدعوى ، وأمراء السوء ، وعلماء التقليد . يرجع في ذلك كله إلى **استقلال في الفهم والاستدلال** ، **ومقارنات في التاريخ والاجتماع** ، وتطبيقات مصيبة للحقائق الدينية على السنن الكونية ،



هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وله في الاصلاح الديني سلفٌ صدق ، حققـوه علماً ، وطبقوه عملاً . يعتمد في تحصيله وتربيته على طودَيْن شامخين من أطواد العلم والعمل : أحدهما : **الإمام عبد الرزاق البيطار** . والثاني : **الإمام المحدث جمال الدين القاسمي** ، عنهما أخذ ، وفي كنفهما نشأ ، وعلى يدهما تخرج . فجاء عـالماً من ذلك الطراز الذي نقرأه في التراجم ولا نجده فيمن تقع عليه العين من هؤلاء العلماء الذين يقرأون ويحفظون وينقلون ولكنهم لايفقهون .. هذا العديد المتشـابه الذي كأنه **نُسخ من طبعة واحدة من كتاب** ، لا يقـع التحريف في واحدة منها إلا وقـع في جميعها ، ولا يزيد واحدٌ منهـــم في العدد إلا كما يزيد كتاب في مكتبة ، لا كما يزيد فارس في كتيبة بآية أنهم ماكثروا في الأمة إلا قلت بهم الأمة ، ولا ثُـقلوا في أنفسـهم إلا خف وزنها في الأمم ، ولا تغالَوْا في التعاظم إلا كان ذلك نقصاً من معاني العظمة فيها ، وبآية أن علمهم لم يؤهلهم لقيادة الأمة ، فتركوا القيادة لغيرهم ، وأصبحوا كأدوات التصدير الـتي يسـبقها حرف الجر ، فيدخل عليها ويعمل فيها ، وبآية أن العالم في أوربا لا يعد عـالماً إلا إذا زاد في العـــلم شيئاً ، أو كشف من خفيه شيئاً ، أو جلا من غامضه شيئاً . ونفض - مع ذلك - على العلم من روح زمنه شـيئاً ، ولا عجب .. فالعلم عندهم ياقوتة في منجم ، وعندنا ... لفظة في معجم والأولى تستخرج بالبحث والإلحاح ، والثانية تستخرج بمعرفة الاصطلاح ، والأولى حظ المجتهد العامل . والثانية حظ المقلد الخامل .

**بدء معرفتي به** : خرجت من المدينة — فيمن خرج — إلى دمشق في أخريات سنة ست عشرة ميلادية ، وكنت أتمنى لو أن دواعي ذلك الخروج كانت تقدمت

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ببضع سنوات لأدرك الإمامين اللذين كانت لهما في نفسي مكانة . وهما : عبد الرزاق البيطار وجمال الدين القاسمي . وكنت وأنا بالمدينة – قرأت للقاسمي عدة كتب عرفت منها قيمته ومنزلته ، وقرأت عن البيطار وسمعت ما دلني عليه وأدناني منه .

وفي أول اندلاع الثورة الشريفية قدم المدينة من دمشق جندي شاب من آل المارديني ، وتعرف إلي في مكتبة شيخ الاسلام عارف حكمت ، وتردد على دروسي مرات في الحرم النبوي ، فانعقدت بيننا ألفة روحية لا تأتي بمثلها الأسباب ، وذلك الشاب **شقيق الأستاذ جودت المارديني** . ولاسرة المارديني بدمشق صلة متينة بأسرتي القاسمي والبيطار . فكنت أسأله عما يهمني من دمشق وأحوالها وعلمائها ، وعن القاسمي والبيطار ، كأن هاتفاً من وراء الغيب ألقى إلي أنني سأرحل إلى دمشق . فأخبرني ذلك الشاب أن الله تعالى أبقى من بيت البيطار وارثاً لعلم الإمامين ومشربها في الاصلاح ، هو **الأستاذ محمد بهجة البيطار** ، وأن له من الشباب المحصل صحباً قليلاً عددهم يوافونه على الفكرة ويلتقون معه على المبدأ ، وأنه هو إمامهم ومرجعهم ، فشوقني حديث الشاب إلى الأستاذ ، وعلمت أن الروحين تعارفتا ، فتئلفتا ، ولم يبق إلا تعرف الأجساد .

ثم رجع الشاب إلى دمشق فأخبر الأستاذ عني بمثل ما أخبرني عنه ، فتم **التجاوب الروحاني بيننا** ، وتنادت الروابط الفكرية إلى الاجتماع فكان .

ولما دخلت دمشق بعد ذلك بقليل ، كان أول من زارني – بعد كرام الجالية الجزائرية – من أصدقائي السوريين الذين عرفوني بالمدينة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المنورة - **الأستاذ عبد القادر الخطيب المظفر ، وذلك الشاب المارديني** الذي أنساني الزمان اسمه ، وإن لم ينسني ذكراه ، فكاد يطير فرحاً بمقدمي ، وطار إلى أبناء المشرب ، كما كان يسميهم ، يؤذّن فيهم ، فزاروني لأول مرة في رهط أذكر منهم شيخ الجماعة الأستاذ البيطار : والأستاذ عبد الحكيم الطرابلسي ، والأستاذ جودت المارديني ، والأستاذان قاسم ورضا القاسميين ، والأستاذ سعيد الغزي ، والأستاذ عبد القادر المبارك وكان بيننا في لحظة مايكون بين إخوان الصفا وإخوان الصبا من تأكد المحبة ، وارتفاع الكلفة ، وسقوط التحفظ . ثم تعاقبت الاجتماعات وانتظمت ، واتسقت أسباب اللقاء ، واتسعت آفاق البحث في الأسمار ، وكثر الصخب ، وما منهم إلا السابق المغبر ، والكاتب المحبر واللسن المعبر ، فكنا لانفترق من اجتماع ، إلا على موعد لاجتماع ، وكان واسطة العقد في تلك المجالس الأستاذ الجليل والأخ الوفي **الشيخ الأستاذ محمد الخضر الحسين** مد الله في حياته . وقد أقمت بين أولئك الصحب الكرام أربع سنين إلا قليلاً ، **فأشهد صادقاً أنها هي الواحة الخضراء في حياتي المجدبة** ، وأنها هي الجزء العامر ، في عمري الغامر ، وأنني كنت أقر عيناً وأسعد حالاً من ذلك الذي نزل على آل المهلب شاتياً ، فوجد الإدبار رائحـــاً والإقبال آتيـــاً . **ولا أكذب الله ، فأنا قرير العين بأعمالي العلمية بهذا الوطن ( الجزائر ) ، ولكن ... من لي فيه بصدر رحب ، وصحب كأولئك الصحب ؟**

إن نسيت فان أنسى ساعات كنت قضيتها في مكتبة آل القاسمي ممتعاً عيني وذهني في مخطوطات جمال الدين ، ومسودات مباحثه في التفسير

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والحديث ، وفي ذلك المخطوط الحافل الذي ما رأت عيني مثله في موضوعه وهو كتاب « **بدائع الغرف ، في الصنائع والحرف** (١)» لجده الشيخ محمد سعيد الحلاق ، أرخ فيه لصناعات دمشق الجليلة التي أخنى الزمان على أكثرها ، وجلا فيه صفحات من مجدها الصناعي البائد .

ويا رعى الله عهد دمشق الفيحاء وجادتها الهوامع وسقت ، وأفرغت فيها ماوسقت ، وخصّت بالمثقلات الدوالح مجامع الأحبـــاب ، وأندية الأصحاب ، من الصالحية والجسـر والنيربين المزة والربوة . فكم كانت لنـا فيها من مجالس نتناقل فيهـا الأدب ، ونتجاذب أطراف الأحاديث العلمية . على ودٍ أصفى من : **بردى يصفق بالرحيق السلسل**

ووفاء أثبت من أواسي قاسيون ، وأرسى من ثهلان ذي الهضبات . لاتوَبن في مجالسنا حرمة ، ولا يكلم عرض ، ولا يقارَف مأثم . وإنما هو الأدب ، بلا جدب ، نهصر أفنانه ، والعلم ، بلا ظلم ، نطلق عنانه والفن ، بلا ضن ، نروّق دنانه ، والنادرة ، بلا بادرة ، نتلقفهـا . والنكتة بلا سكتة ، نتخطفها .

**ويا تربة الدحداح** ، بوركت من تربـة ، لا يذوق الغريب فيهـا مرارة الغربة . ولا زلت مسقطاً لرحمات الله . **إنني أودعت ثراك أعز الناس علي** : أبي وابني وجديْ أولادي . فاحفظي الودائـع إلى يوم تُجزى الصنائع .

---

(١) إن هذا المؤلف القيم الذي يشير إليه الكاتب صنفه ، الشيخ محمد سعيد القاسمي وأتمه من بعده ابنه الإمام جمال الدين وصهره السيد خليل العظم ، وقد صدر في دمشق عام ١٩٦٠ في جزءين بتحقيق حفيد المؤلف الأول وابن الثاني الأستاذ النقيب ظافر القاسمي باسم « قاموس الصناعـــات الشامية » وقدمه للقراء المستشرق لويس ماسنيون .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ويا جنات الغوطة ، وقراها المغبوطة ، لا زلت مجـــلى الفيطر ، والحد الفاصل بين البدو والحضر ، أشهد ما عشوت من الغرب إلى نار ، ولا عشيت منه بنور . ولأنت التي تمسكين دمشق أن تميد ، ومن فيها أن يميل تبارك من رواك بسبعة أودية ، وكساك من وشي آذار بخضر الأردية . كم فتنتُ بمناظرك الشعرية ، وأخذت بمجاليك السحرية ، وكم تزودت عيناي فيك بروضة وغدير ، وكم تمتعت أذناي من جداولك وأشجارك بحفيف وهدير .

ويا يوم الوداع ما أقساك ، وإن كنت لا أنساك . لا أنسى بعد ثلاثين سنة **ولن أنسى ماحييت موقف الوداع** بمحطة **البرامكة** والأستاذ الخضر يكفكفُ العبرات ، وتلامذتي **الأوفياء** : جميل صليبا ، وبديع المؤيد ، ونسيب **السكري** ، والأيوبي ، يقدمون إلى بخطوطهم كلمات في ورقات ، مازلت محتفظا بها احتفاظ الشحيح بماله .

عهود لم يبق الإ ذكراها في النفس ، وصداها في الجوانح ، والحنين إليها في مجامع الأهواء من الفؤاد . ولولا أن السلوَّ كالزمن يتقادم ، وأن الهوى مع العقـل يتصادم لقلت مع المتنبي : « أبوكم آدم[1] ! . . . » ولقد راجعتُ « مذكراتي » المنقوشة في ذاكرتي فوجدتُها حافظة **لتلك العهود بأيامها ولياليها وأحاديثها** ، فليت شعري أيذكر الأحيـاء من

---

(١) يقول المتنبي في قصيدة شعب بوان :

يقول بشعب بوان حصـــاني أعن هذا يســـار إلى الطعان

ابوكم آدم ســـن المعـــاصي وعلمكم مفـــارقة الجنـــان

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

إخوان الصفا مثل ما أذكر ؟ ذلك ما تكشف عنه **رسالة الأخ الأستاذ محمد بهجة البيطار** التي ننشر بعضها بعد هذه الكلمات . وهي التي أثارت هذه الذكريات في نفسي فكتبتها ، ليعلم هذا الجيل الذي نقوم على تربيته **أن في هذه الدنيا بقايا من الوفاء والمحبة** ، تتماسك بهـا أجزاء هذا الكون الإنساني ، وأنه لولا هذه البقايا لانحدر الانسان إلى حيوانية عارمة كالتي بدت آثارهـا في الجماعات التي جفّتْ نفوسها من الوفاء والمحبة ، فخلت من الإحسان والرحمة فهوت بها المطامع ، إلى ما يراه الرائي ويسمعه السامع . **وإن منبت الوفاء الشرق ، وإن زارعه وساقيه والقيم عليه هو الإسلام** ، وعسى أن تحمل البصائر هذه الذكريات **إلى الاخوان الأصفياء في دمشق فنتنادم على البعد ، ونلتقي على الذكريات ونتناشد .**

إنا على البعـــاد والتفرق لنلتقي بالذكر إن لم نلتقي

وعهداً لأولئك الإخوان **أني ما جفوت وما غفوت** ، وأني لم أزل — منذ افترقنا - أتسقط أخبارهم من الصحف ومن السفار ، ولولا الهزاهز والفتن ما انقطع بيننا للصلة حبل » أ هـ . .

**الفقيد يقرض الشعر**

جرى الفقيد على عادة علماء السلف ، يقرض الشعر في ساعات الفراغ ، يؤرخ به لحادثة جرت ، أو يهنيء صديقاً بنعمة أو يعزيه بمصيبة ألمت به ، ويستعين بالنظم أحياناً في تلخيص علم أو تدوين قاعدة .

ترك لنا **ديواناً صغيراً** فيه شعر يمدح به الرسول الأعظم ﷺ ، كما يتضمن أبياناً ومقطوعات ومساجلات كان يتعاورها مع بعض أصدقائه وزملائه المجمعيين ، أمثال الأساتذة عز الدين التنوخي ومحسن البرازي بدمشق ، وأحمد العزاوي في مكة ومحمد سعيد حسين كمال في الطائف .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

رحـــلات الفقيد

قام الفقيد برحلات علمية ودراسية عديدة ، أرّخ لها في نهاية كتابه « **الرحلة النجدية الحجازية** » وشملت رحلاته البلاد العربيـة والإسلامية والروسية والولايات المتحدة الأمريكية ، موضحاً الدافع إلى كل منهـا ، وأهم ما وقع له خلال بعضهـــا . ولعله ترك بين آثاره المخطوطة مزيداً من المعلومات .

إن رحلات العلماء والأدباء **مجْمَعٌ على فوائدها العلمية والأدبية والاجتماعية** ، وأهمية رحلات الفقيد بادية في إثرائهـا العربيةَ والتاريخَ الحديث بما نشره أو دونه عنها وعن **الخدمات التي أداها خلالها للعروبة والاسلام ..**

ولا يفوتني التنويه بأن كتاب الفقيد عن « الرحلة النجدية الحجازية ١٣٣٨ هـ ، ١٩٢٠ م » تضمن **بعض الوثائق المفيدة في التأريخ السياسي .**

الفقيد والنشر بأسماء مستعارة

يلجأ كثير من العلماء والأدباء والشعراء **في ظروف خاصـة بهم أو لأسباب تتصل بالموضوع الذي طرقوه** ، إلى نشر أبحاثهم أو مقالاتهم أو قصائدهم برموز أو بأسماء مستعارة .

والفقيد ، بما جبل عليه من صـراحة وصدق وبعد عن العنف وعن السياسة ، لم يكن بحاجة إلى إغفال توقيعه على ما كان ينشره من أبحاث دينية وعلمية وتربوية ، ومع هذا فقد تحرينا للحقيقة عن هذا الأمر فـلم نعثر إلا على عدد من مقالات التعليق على بعض الأبحاث أو التعريف ببعض الكتب ، وقد ذيلها تخفيفاً على الطابـع أو القارىء بتوقيـع : م ب ب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

أو : م ب ، أو : ب ب ، أو : ب ، كما عثرنا على ما يفيد بأن الفقيد نشر في شبابه بعض الردود بتوقيع **الشيخ ناصر الدين الحجازي الأثري**، ومن ذلك رسالة « النفخة على النفحة » يرد بها على رسالة «النفحة الزكية» لمؤلفها الشيخ عبد القادر الاسكندراني نشرها دفاعاً عن العقيدة السلفية ، وكذلك رسالة « نظرة في النفحة الزكية في الرد على شُبه الفرقة الوهابية » نشرها ذيلًا الرسالة السابقة بتوقيع « **أبو اليسار الدمشقي الميداني** » .

**مؤلفات الفقيد وآثاره**

ترك الفقيد ، فضلًا عن المؤلفات ، بحوثاً كثيرة نشرت له في مختلف الصحف والمجلات السورية والعربية السعودية والمصرية والعراقية . طبع بعضها مستقلًا ، وما زال الكثير منها شتيتاً في باطن المجلدات ينتظر .

أما تآليفه وما طبع مستقلًا من أبحاثه فهو :

١ - كتاب « **نقد عين الميزان** » ، يقول الفقيد عنه : « ألفته أيام الطلب والتحصيل انتصاراً لأستاذنا القاسمي وأئمة الرواية في الأخذ عن كل ثقة ثبت صدوق » .

طبع في مطبعة الترقي بدمشق سنة ١٣٣١ هـ

٢ - رسالة « **نظرة في النفحة الزكية** » يصفها الفقيد قائلًا : « هي دعوة إلى مذهب السلف الصالح ونبذ المعتقدات الزائفة والآراء الفاسدة » .

طبعت في مطبعة الترقي بدمشق سنة ١٩٢٢ م

٣ - رسالة « **النفخة على النفحة والمنحة** » طبعت باسم مستعار مع الرسالة السابقة في الرد على رسالة « النفحة الزكية في الرد على شبه الفرقة الوهابية » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٤ ـ رسالة « **الثقافتان الصفراء والبيضاء** » وهي عبارة عن محاضرة ألقاها الفقيد في ردهة مجمع دمشق ، وطبعت مستقلة على مطابع ابن زيدون وجددت طباعتها في كتاب « كلمات وأحاديث » سنة ١٩٧٤ م

٥ تفسير « **سورة يوسف** » أكمل الفقيد التفسير الذي بدأه السيد رشيد رضا مع التقديم له . طبع في مصر وأعيد طبعه في المطبعة الهاشمية بدمشق سنة ١٩٣٩ م

٦ ـ كتاب « **قواعد التحديث ، من فنون مصطلح الحديث لجمال الدين القاسمي** » حققه الفقيد وخرج أحاديثه . طبع في دمشق سنة ١٩٢٥ م

٧ ـ كتاب « **مسائل الإمام أحمد ، لتلميذه الإمام أبي داود السجستاني** » يصفه الفقيد بقوله : « هو أقدم كتب المكتبة الظاهرية ، وقد طبع في مطبعة المنار مع تعليقات لي ، وتحقيقات للسيد صاحب المنار » .

طبع في القاهرة سنة ١٣٥٣ هـ وقد طبع للمرة الثانية في بيروت .

٨ ـ كتاب « **البخلاء للجاحظ** » طبعه مكتب النشر العربي بتحقيق لجنة من أعضاء مجمع دمشق اشترك الفقيد معهم بتخريج الأحاديث الواردة فيه . دمشق ـ ١٩٣٨ م

٩ ـ كتاب « **المعاملات في الإسلام وتحقيق ما ورد في الربا** » وقد بدأه صاحب المنار وأكمله الفقيد ووضع مقدمته .

طبعته دار المنار في القاهرة .

١٠ ـ كتاب « **الموفي في النحو لصدر الدين الكنغراوي** » شرحه الفقيد وعلق عليه وطبعه مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٩٥٠ م

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

١١ — كتاب « **أسرار العربية** » **للأنباري** » حققه الفقيد وطبعه مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٩٥٧ م

١٢ — كتاب « **حياة شيخ الإسلام ابن تيمية** » طبعه المكتب الإسلامي بدمشق سنة ١٩٦١ م

١٣ — كتاب « **حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر** » تأليف جد الفقيد الشيخ عبد الرزاق البيطار . حققه الفقيد وعلق عليه ونشره مجمع اللغة العربية بدمشق في ثلاثة أجزاء سنة ١٩٦١ - ١٩٦٣ م .

١٤ — رسالة « **الإسلام والصحابة الكرام بين السنة والشيعة** » طبعه المكتب الإسلامي في بيروت سنة ١٩٦٦ م

١٥ — رسالة « **الكوثري وتعليقاته** » مقال كتبه الفقيد في بيان افتراءات زاهد الكوثري في تعليقاته على عقيدة أهل السنة . طبع مستقلاً مع ردود أخرى بمصر سنة ١٩٣٨ م

١٦ — كتاب « **الرحلة النجدية الحجازية** » يتضمن صوراً من حياة البادية سنة ١٣٣٨ هـ ( ١٩٢٠ م ) طبع في المطبعة الجديدة بدمشق سنة ١٩٦٧ م

١٧ — كتاب « **كلمات وأحاديث** » جمعها المكتب الإسلامي في بيروت وطبعها سنة ١٩٧٤ م

١٨ — بحث عن « **حجة الإسلام أبي حامد الغزالي** » مستخرج من كتاب الذكرى المئوية طبعه المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بمصر سنة ١٩٦٢ م .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

١٩ — بحث « **الانجيل والقرآن في كفتي الميزان** » طبع في دمشق سنة ١٩٦٧ م .

٢٠ — بحث « **الاشتقاق والتعريب** » ألقاه الفقيد في مجمع دمشق ونشر في مجلته وطبع مستقلاً سنة ١٩٦١ م .

٢١ — بحث « **علاوة ثانية في اختيارات شيخ الإسلام ابن تيمية** » كان الفقيد نشره في مجلة المجمع ثم قام محمد حامد الفقي بطبعه ضمن مجموعة علمية منها أحكام الطلاق في مصر سنة ١٩٥٣ م .

## ثبت بما نشر للفقيد في مجلة مجمع دمشق

عني الفقيد ، إلى جانب أبحاثه الدينية والاجتماعية ، بالتعريف بالكتب التي كانت تهدى إلى المجمع ويكلف التعريف بها ، وقد ذخرت مجلة المجمع (١) مذ استقر الفقيد بدمشق إلى قبيل وفاته بكثير من ذلك إضـــافة إلى الموضوعات العلمية والتاريخية التي كان يطرقها ، وفيما يلي ثبت بجميع ما نشره في مجلة المجمع العلمي العربي « مجمع اللغة العربية بدمشق » (٢) :

---

(١) من المجلات العربية التي نشرت للفقيد مجلة العالم الاسلامي في بغداد ، وقد نشرت في مجلدها الأول الصادر سنه ١٣٥٧ هـ أبحاثاً بعنوان : الأخلاق الفاضلة ، واليهود في التوراة والقرآن ، وبين ابن تيمية وابن بطوطة .

ومنها مجلة التمدن الإسلامي بدمشق ، وقد نشرت في مجلدها الثالث الصادر سنة ١٣٥٦ هـ بحثاً بعنوان : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وفي مجلدها السابع عشر أبحاثاً بعنوان : السلام في الإسلام ، وحقيقة التقوى ، ووصف لأصول الفقه في الإسلام .

(٢) إن الرقم بين قوسين يلي عنوان البحث يدل على عدد صفحاته ، والموضوع الذي لايليه رقم دلالة على أنه لايتجاوز الصفحة الواحدة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

| السنة | المجلد والصفحة | الموضوع |
|---|---|---|
| ١٩٣٣ | ١٣/١٨٨ | رسالة « الدر الثمين » لأحمد الغساطوي . |
| | ١٣/١٨٩ | كتاب « عبدة الشيطان في العراق » لعبدالرزاق الحسني . |
| | ١٣/٢٥٥ | كتاب « منتهى آمال الخطباء » لمصطفى أبو سيف . |
| ١٩٣٥[1] | ١٣/٢٨٥ | محاضرات في التربية والتعليم لواصف البارودي (٢). |
| | ١٣/٣٤٨ | كتاب « حقوق النساء في الاسلام » لمحمد رشيد رضا (٢). |
| | ١٣/٥٠٢ | كتاب « قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث » لجمال الدين القاسمي (٣) . |
| ١٩٣٦ | ١٤/١٥٨ | نقد كتاب « حياة محمد هيكل » لعبد الله الفصيمي . |
| | ١٤/٣٠٩ | كتاب « التعليق الصبيح على مشكاة المصابيح » محمد إدريس الكاندهلوي (٣) . |
| | ١٤/٣٩٠ | كتاب « علوم الحديث لابن الصلاح وشرحه للحافظ العراقي ، لمحمد راغب الطباخ . |
| ١٩٣٧ | ١٥/٢٤١ | كتاب « معالم السنن للخطابي البستي في شرح سنن أبي داود » لمحمد راغب الطباخ (٣) . |

(١) إن المجلد الثالث عشر ابتدىء إصداره سنة ١٩٣٣ ثم توقفت المجلة ولم يستأنف إصدارها إلا سنة ١٩٣٥

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

| السنة | المجلد والصفحة | الموضـــوع |
|---|---|---|
| | ٣٦٥/١٥ | **وفاة السيد محمد رشيد رضا ـ ١ ـ (١٠)** |
| | ٣٩٦/١٥ | تعقيب على محاضرة الأمير شكيب أرسلان (٢) |
| | ٤٧٤/١٥ | **وفاة السيد محمد رشيد رضا ـ ٢ ـ (٧)** |
| ١٩٤١ | ١٢٩/١٦ | كتاب « الإجابة لايراد ما استدركته عائشة على الصحابة للزركشي ، تحقيق سعيد الأفغاني (٣) |
| | ٣٧٧/١٦ | كتاب « محمد رسول الله ﷺ لمحمد رضا » (٣). |
| ١٩٤٢ | ٢٩/١٧ | **« المرأة في عهد النبوة وفي عصرنا الحاضر »** ـ محاضرة ـ (١٩) |
| | ٩٤/١٧ | كتاب « ابن حزم الأندلسي ورسالته في المفاضلة بين الصحابة » لسعيد الأفغاني (٢). |
| | ٣٧٩/١٧ | بين ابن تيمية وابن بطوطة أيضاً تعليق على ما كتبه الطباخ (٣). |
| ١٩٤٣ | ٨١/١٨ | مصنفات محمد الخضر حسين (٤). |
| ١٩٤٤ | ٨٠/١٩ | كتاب « المقنع في معرفة رسوم مصاحف أهل الأمصار مع كتاب النقط » للإمام الداني ـ تحقيق محمد أحمد دهمان . |
| | ٢٧٤/١٩ | اعلام شرعي أصدره القاضي الاهدلي في الرد على الكافي بتحريم طبع مصحف الحافظ عثمان (٢). |
| ١٩٤٥ | ٥٦٢/٢٠ | تفسير الإمام القرطبي « الجامع لأحكام القرآن » تصحيح البيلاوي (٤). |

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

| السنة | المجلد والصفحة | الموضوع |
|---|---|---|
| ١٩٤٦ | ٦٧/٢١ | كتاب « نظرات في الصيام » لشوكة موفق الشطي (٢) . |
| | ٤٤٦/٢١ | كتاب « ضوء في تاريخ التوحيد » لأحمد صبري شويمان (٣) . |
| ١٩٤٨ | ٢٧٧/٢٣ | كتاب « الخلافة » لتوماس آرنولد ترجمة جميل معلى (٧) . |
| | ٤٤٦/٢٣ | كتاب « الرسالة العلمية في الشفعة » لخليل جريج (٤). |
| ١٩٤٩ | ٥٩/٢٤ | **المدرسون تحت قبة النسر في جامع بني أمية** ( عن كتاب حلية البشر ) — ١ — (١٤) . |
| | ١١٨/٢٤ | كتاب « النظرية العامة للموجبات والعقود في الشريعة الإسلامية » لصبحي المحمصاني (٧) . |
| | ١٢٥/٢٤ | كتاب « الدرر المباحة في الحظر والإباحة » للشيباني الشهير بالنحلاوي (٢) . |
| | ٢٢٢/٢٤ | **المدرسون تحت قبة النسر في جامع بني أمية** — ٢ — (١٣) . |
| | ٤١٧/٢٤ | تحقيق وتعليق على كتاب « **الموفي في النحو الكوفي لصدر الدين الكنغراوي** » — ١ — (١٤) . |
| | ٤٥١/٢٤ | كتاب « نظرة عامة في فكرة الحق والالتزام ونظريتي الأموال والأشخاص في الفقه الإسلامي » لمصطفى الزرقا (٤) |

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

| السنة | المجلد والصفحة | الموضـــوع |
|---|---|---|
| | ٥٦٠/٢٤ | تعليق على كتاب «الموفي في النحو الكوفي للكنغراوي» – ٢ – (٢٣) . |
| | ٦٠١/٢٤ | كتاب « نظرية الإسلام السياسية للمودودي » (٢) |
| | ٦٠٣/٢٤ | كتاب « منهاج الانقلاب الإسلامي للمودودي » (٢) |
| | ٦٠٤/٢٤ | كتاب « الدين القيم للمودودي » (٢) |
| | ٦٠٦/٢٤ | « دعوة المجد » شعر أحمد مظهر العظمة (٢) |
| ١٩٥٠ | ١٤٢/٢٥ | كتاب « المذكرات لمحمد كرد علي » (٥) |
| | ٢٢٣/٢٥ | تعليق على كتاب « الموفي في النحو الكوفي للكنغراوي» – ٣ – (٢٤) |
| | ٣٩٩/٢٥ | تعليق على كتـــاب « الموفي في النحو الكوفي للكنغراوي » – ٤ – (١٦) |
| | ٥١١/٢٥ | تعليق على كتاب «الموفي في النحو الكوفي للكنغراوي» – ٥ – (٢٤) |
| | ٥٨٩/٢٥ | تفسير « جزء تبارك » لعبد القادر المغربي (٦) |
| | ٥٩٥/٢٥ | كتاب « على هامش التفسير » لعبد القادر المغربي (٢) |
| ١٩٥١ | ٨٥/٢٦ | تعليق على كتاب« الموفي في النحو الكوفي للكنغراوي » – ٦ – (١٦) |
| | ١٩٩/٢٦ | تعليق على كتاب « الموفي في النحو الكوفي للكنغراوي» – ٧ – (٢٤) |

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

| السنة | المجلد والصفحة | الموضـــوع |
|---|---|---|
| | ٤٠٧/٢٦ | تعليق على كتاب « المؤفي في النحو الكوفي للكنغراوي» — ٨ — ( ١٦ ) |
| | ٥٧٧/٢٦ | تعليق على كتاب «الموفي في النحو الكوفي للكنغراوي » — ٩ ( ١٣ ) |
| ١٩٥٢ | ١٢٣/٢٧ | كتاب « تهذيب الإيضاح للقزوينى » شرح عز الدين التنوخي ( ٩ ) |
| | ١٧٥/٢٧ | **شيخ الإسلام ابن تيمية** ـ محاضرة — ١ — (٢٣) |
| | ٢٩٣/٣٧ | كتاب « نظام الحياة في الإسلام للمودودي » ( ٢ ) |
| | ٢٩٥/٢٧ | كتاب « الجهاد في سبيل » |
| | ٢٩٦/٢٧ | الجماعة الإسلامية في باكستان |
| | ٢٩٧/٢٧ | كتاب « نقض المنطق لابن تيمية » تحقيق محمد حمزة ( ١٠ ) |
| | ٤٠٨/٢٧ | **شيخ الاسلام ابن تيمية** — ٢ — (١٠) |
| | ٤٥٣/٢٧ | كتاب « الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب البغدادي » تحقيق لاووست وسامي الدهان ( ٦ ) |
| | ٥٥٩/٢٧ | **شيخ الاسلام ابن تيمية** — ٣ — ( ١٢ ) |
| | ٦٠٦/٢٧ | كتاب « بصائر جغرافية » لرشيد العابري ( ٥ ) |
| | ٦١٠/٢٧ | كتاب « من هدي القرآن » لمحمد نمر الخطيب . |
| | ٦٢٣/٢٧ | حول كتاب « الموفي في النحو الكوفي » تعليق على نقد عبد الخالق عضيمة (٤) |



هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

| السنة | المجلد والصفحة | الموضـــوع |
|---|---|---|
| ١٩٥٣ | ١١٧/٢٨ | شيخ الإســـلام ابن تيمية — ٤ — علاوة ثالثة ( ٩ ) . |
| | ٣٢٥/٢٨ | استدراك آخر على مقال محمد زكي عبد القادر (٣). |
| | ٤٠٣/٢٨ | شيخ الإسلام ابن تيمية - ٥ - ( ١٧ ) . |
| | ٤٧٣/٢٨ | كتاب « التبشير والاستعمار في البلاد العربية » لمصطفى الخلدي وعمر فروخ (٤) |
| | ٤٧٧/٢٨ | كتاب « الأسرة في الشرع الإسلامي » لعمر فروخ ( ٣ ) . |
| | ٦٠٨/٢٨ | كتاب « الوحدة الإسلامية بين الأخذ والرد » لمحمود الملاح . |
| | ٦٠٩/٢٨ | كتاب « الزرية في القصيدة الأزرية » لمحمود الملاح (٢) |
| ١٩٥٤ | ١٢٩/٢٩ | كتابا « أوائل المقالات في المذاهب والمختـارات » و « شرح عقائد الصدوق » لابن النعمان ( ٤ ) |
| | ١٣٣/٢٩ | كتاب « آيات الخالق الكونية والنفسية » لرشيد العابري |
| | ٢٧٧/٢٩ | معجم « ألفـــاظ القرآن الكريم » لمجمـع اللغة العربية بالقاهرة ( ٢ ) . |
| | ٢٧٩/٢٩ | « تفسير القرآن الكريم » لمحمود حمزة وحسن علوان ومحمد برانق ( ٢ ) |

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

| السنة | المجلد والصفحة | الموضوع |
|---|---|---|
| | ٤٣٧/٢٩ | « رسالة الهدى » أرجوزة محمد سعيد صفر ومقال في حكم قتال الكفار لابن القيم . |
| | ٤٣٨/٢٩ | تفسير جزء ( قد سمع ) لمحمود حمزة وحسن علوان ومحمد برانق . |
| | ٦٠٤/٢٩ | كتاب « سيرة الرسول » لمحمد عزة دروزة (٥) |
| ١٩٥٥ | ١٢٤/٣٠ | كتاب « مذكرات سائح في الشرق العربي » لأبي الحسن الندوي (٦) |
| | ١٥٢/٣٠ | رسائل : « رأس الحسين » لابن تيمية ، « محنة شيخ الإسلام ابن تيمية » بقلمه ، « أحكام الطلاق » لابن عبد الهادي « في اختيارات ابن تيمية » لمحمد بهجة البيطار ، نشر محمد عبد الرزاق حمزة ( ٤ ) |
| | ١٥٦/٣٠ | كتاب « طليعة التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل » لعبد الرحمن المعلمي . |
| | ٣١٤/٣٠ | « القرآن الكريم » تفسير محمد عزة دروزة (٤) |
| | ٤٨٠/٣٠ | كتاب « فقه الإسلام » لحسن أحمد الخطيب (٥) |
| | ٥٦٠/٣٠ | « في إعجاز القرآن » مقدمة لكتاب نعيم الحمصي (١٢) |
| | ٦٣٦/٣٠ | كتاب « مجموعة تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية » نشر عبد الصمد شرف الدين (٢) |
| | ٦٣٨/٣٠ | كتاب « التفسير القيم لابن القيم » (٣) |
| ١٩٥٥ | ٦٤٠/٣٠ | كتاب « دلائل النبوة للأصبهاني » (٢) |

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

| السنة | المجلد والصفحة | الموضـــوع |
|---|---|---|
| | ٦٤٢/٣٠ | رسالة « في الهداية والضلالة » للصاحب بن عباد (٢) |
| | ٦٤٤/٣٠ | كتاب « المبادىء الشرعية في الحجر والنفقات والمواريث والوصية في المذهب الحنفي والتشريع اللبناني » لصبحي المحمصاني (٢) |
| | ٦٤٦/٣٠ | كتاب « مصادر التشريع الإسلامي فيما لا نص عليه » محاضرات لعبد الوهاب خلاف (٣) |
| | ٦٤٨/٣٠ | كتاب « محاضرات في الميراث عند الجعفرية » لمحمد أبو زهرة (٣) |
| | ٦٥١/٣٠ | كتاب « محاضرات في الفقه الاسلامي » لمحمد يوسف موسى (٣) |
| ١٩٥٦ | ٩٠/٤١ | بين ابن المطهر الحلي وابن تيمية - ١ - (١٦) |
| | ١٢٢/٣١ | كتاب « تلخيص البيان في مجازات القرآن » للشريف الرضي ( ٢ ) |
| | ١٣٠/٣١ | كتاب « تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي ، وتحذير العباد من أهل العناد » لبرهان الدين البقاعي تحقيق عبد الرحمن الوكيل (٦) |
| | ٢٥٣/٣١ | بين ابن المطهر الحلي وابن تيمية - ٢ - (١٨) |
| | ٣٠٤/٣١ | كتاب « نوابـغ المغرب العربي » لحسن حسني عبد الوهاب ( ٢ ) |

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

| السنة | المجلد والصفحة | الموضوع |
|---|---|---|
| | ٣٠٦/٣١ | كتاب « مصادر الحق في الفقه الإسلامي » للسنهوري |
| | ٣٠٧/٣١ | كتاب « الإمام الملك عبد العزيز » لعبد الحميد الخطيب (٣) |
| | ٢١٠/٣١ | كتاب « أبحاث علمية إسلامية وفتاوى في مسائل حديثة شرعية » لعبد الله القلقيلي (٢) |
| | ٦٥٤/٣١ | كتاب « مستقبلك في يدك متى عرفت ربك » لعبد الحميد الخطيب (٤) |
| | ٦٥٨/٢١ | كتاب « من شيم العرب » لفهد المالك (٣) |
| | ٦٦٠/٣١ | رسالة « المثل العليا في الإسلام لافي بحمدون » لكاشف الغطاء في الرد على جمعية أصدقاء الشرق الأوسط (٤) |
| | ٦٦٣/٣١ | رسالة « الصلاة » لمحمد عبد الرزاق حمزة (٣) |
| | ٦٦٦/٣١ | رسالة « إلى الحياة » لحمدي عبيد . |
| ١٩٥٧ | ٣٦٧/٣٢ | كتاب « عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير » تحقيق أحمد شاكر (٣) |
| | ٣٧٠/٣٢ | رسالة « القرآن والترجمة » لعبد الرحيم محمد علي النجفي (٣) |
| | ٣٧٢/٣٢ | رسالة « جوهر الدين ومنظومة إلى عموم المسلمين » لعبد الحميد الخطيب (٢) |

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

| السنة | المجلد والصفحة | الموضوع |
|---|---|---|
| | ٣٢/٤٩٢ | **العقل والنقل عند الامام ابن تيمية ١ (٥)** |
| | ٣٢/٥٢٨ | كتاب « الدستور القرآني في شؤون الحياة » لمحمد عزة دروزة (٥) |
| ١٩٥٨ | ٣٣/٥٦ | **العقل والنقل عند الامام ابن تيمية ٢ - (٢٤)** |
| | ٣٣/٤٨٤ | كتاب « الطريق إلى مكة » لمحمد أسد نقله عفيف البعلبكي ( ٤ ) |
| | ٣٣/٦٥٧ | تفسير « محاسن التأويل » لجمال الدين القاسمي (٥) |
| ١٩٥٩ | ٣٤/١٣٣ | كتاب « الثقافة الإسلامية في الهند » لعبد الحي الحسني ( ٥ ) |
| | ٣٤/١٣٨ | « ديوان موسى الطالقاني » تحقيق محمد حسن الطالقاني ( ٧ ) |
| | ٣٤/٣٤٩ | كتاب « الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة » لابن بطة العكبري ، تحقيق هنري لاوست (٣) |
| | ٣٤/٣٥١ | كتاب « الأئمة الاثنا عشر » لابن طولون ، تحقيق صلاح الدين المنجد (٢) |
| | ٣٤/٣٥٣ | « تفسير القرآن الكريم » للطاهر بن عاشور (٥) |
| | ٣٤/٣٧١ | **علاوة خامسة في فوائد تاريخية وعلمية من حياة ابن تيمية ( ٥ )** |
| | ٣٤/٣٨٣ | تعليق على مقال عضيمة في أسرار العربية للأنباري . |

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

| السنة | المجلد والصفحة | الموضـــوع |
|---|---|---|
| | ٥٠٨/٣٤ | كتاب « وجوب التعاون بين المسلمين وموضوع الجهاد الديني وبيان كليات من براهين الدين » لعبد الرحمن آل سعدي . |
| | ٥٠٩/٣٤ | كتاب « توضيح الكافية الشافية » و« الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية » لعبد الرحمن آل سعدي (٣) |
| | ٥١٢/٣٤ | كتابا « البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار » لابن المرتضى و « جواهر الأخبار والآثار المستخرجة من لجة البحر الزخار » للصعيدي (٤) |
| | ٥١٥/٣٤ | كتاب « فتح الغفار المشتمل على أحكام سنة نبينا المختار » للرباعي اليمني (٣) |
| | ٦٦٣/٣٤ | كتاب « الإمام محمد بن عبد الوهاب » لأحمد عبد الغفور عطار ( ٥ ) |
| | ٦٦٨/٣٤ | كتاب «الشيوعية والإسلام » لعباس محمود العقاد وأحمد عبد الغفور عطار (٢) |
| ١٩٦٠ | ١٣٧/٣٥ | كتاب « المبادىء الشرعية والثانوية في الحجر والنفقات والمواريث والوصية في المذهب الحنفي والتشريع اللبناني » لصبحي المحمصاني طبعة جديدة (٢) |
| | ٣١٩/٣٥ | كتاب « الحوادث والبدع » للطرطوشي تحقيق الطالبي . |

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

| السنة | المجلد والصفحة | الموضـــوع |
|---|---|---|
| | ١٤٠/٣٥ | خطب حمدي عبيد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ( ٢ ) |
| | ٢٩٨/٣٥ | كتاب « أضواء وأنوار » لعبد الرحمن الكيالي . |
| | ٦٨١/٣٥ | كتاب « الإسلام » لألفريد غيوم ،ترجمة مصطفى هدارة وشوقي اليماني (٦) |
| ١٩٦١ | ٤٨٤/٣٦ | كتاب « مباحث في علوم القرآن » لصبحي الصالح . |
| | ٤٨٥/٣٦ | كتاب « علوم الحديث ومصطلحه » لصبحي الصالح (٢) |
| ١٩٦٢ | ٤٧٦/٣٧ | كتاب « مقدمة في إحيـاء علوم الشريعة لصبحي المحمصاني ( ٤ ) |
| | ٤٧٩/٣٧ | كتاب « الاقتصاد في الاعتقاد » للغزالي تحقيق إبراهيم آكاه جوبوقجي وحسين آتاي ( ٢ ) |
| | ٥١٢/٣٧ | حول ما كتبه عبد الرحمن الكيالي عن كتاب « حياة شيخ الاسلام ابن تيمية »(٥) |
| | ٤٦٤/٣٧ | كتاب « الفرق المفترقة بين أهل الزيغ والزندقة »لابن الحسن العراقي تحقيق ميشار قوتلو آي (٢) |
| | ٦٦٦/٣٧ | التفسير الحديث « السور المرتبة حسب النزول » لمحمد عزة دروزه ( ٣ ) |
| ١٩٦٣ | ٢٣٨/٣٨ | كتاب « حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر» للبيطار ( ٦ ) |

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

| السنة | المجلد والصفحة | الموضـــوع |
|---|---|---|
| ١٩٦٤ | ٦٥٢/٣٩ | كتاب « مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين » للإمام الأشعري تحقيق ريتر ( ٢ ) |
| | ٦٥٤/٣٩ | كتاب « فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد للإمام البخاري » تأليف فضل الله الجيلاني ( ٢ ) |
| | ٦٥٦/٣٩ | « تفسير غريب القرآن الكريم » اختيار حمدي عبيد . |
| | ٦٥٧/٣٩ | كتاب « تفسير النصوص في الفقه الاسلامي » لمحمد أديب صالح ( ٢ ) |
| | ٦٥٩/٣٩ | كتاب «تخريج الفروع على الأصول » الزنجاني . تحقيق محمد أديب صالح ( ٢ ) |
| ١٩٦٥ | ٣٣١/٤٠ | كتاب « مكتب عنبر » لظافر القاسمي (٣) |
| | ٨٨١/٤٠ | كتاب « تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف » الإمام المزي ومعه « النكت الظراف على الأطراف » تعليقات الحافظ العسقلاني ( ٣ ) |
| ١٩٦٦ | ١٦٨/٤١ | كتاب « الكاظمي في ذكراه الثلاثين » لعبد الرحيم محمد علي ( ٣ ) |
| | ١٧٠/٤١ | كتاب « سنن الترمذي » ( ٢ ) |
| | ٣٥٢/٤١ | رسائل « الإيمان » لابن أبي شيبة ، و« الإيمان » لابن سلام، و« العلم » لأبي خيثمة ، و« اقتضاء العلم » للخطيب البغدادي تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ( ٧ ) |

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

| السنة | المجلد والصفحة | الموضـــوع |
|---|---|---|
| | ٣٧١/٤١ | الشيخ محمد البشير الإبراهيمي (٣) |
| | ٥١٠/٤١ | كتاب « المعتمد في اصول الفقه » لابن الطيب البصري تحقيق محمد حميد الله (٧) |
| | ٥١٧/٤١ | « تفسير القرآن الكريم » لابن مسروق الثوري (٤) |
| | ٥٢١/٤١ | كتاب « النسائيات من الأحاديث النبوية الشريفة » لمحمد صالح فرفور (٣) |
| | ٧١٢/٤١ | كتاب « الشهداء الحميريون العرب في الوثائق السريانية » لاغناطيوس يعقوب الثالث (٢) |
| ١٩٦٧ | ٥٩/٤٢ | كتاب « **جمال الدين القاسمي وعصره** » لظافر القاسمي (١٦) |
| | ٥٧٤/٤٢ | كتاب « التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل » للمعلمي العتمي (٦) |
| | ٥٨١/٤٢ | كتاب « تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف » للمزي مع « النكت الظراف على الأطراف » لابن حجـــر العسقلاني (٤) |
| | ٥٨٥/٤٢ | كتاب « من تاريخ سورية » لحسن الحكيم (٤) |
| ١٩٦٨ | ١٨٦/٤٣ | بيان عن « مقام إبراهيم عليه السلام » من رابطة العالم الإسلامي (٢) |

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

| السنة | المجلد والصفحة | الموضـــوع |
|---|---|---|
| | ٤٣/٤٣٩ | كتاب « دعائم الاسلام وذكر الحلال والحرام والقضاء في الأحكام » للقاضي أبي حنيفة النعمان . تحقيق آصف أصفر فيضي (٥) |
| | ٤٣/٤٧٥ | تصحيح خبر عن ابن تيمية نقله الدجيلي في أعلام العرب في العلوم والفنون (٢) |
| | ٤٣/٨٦٤ | كتاب « الديانة » لعبد الغني حمّادة . |
| | ٤٣/٨٦٥ | رسالة « صحّح صلاتك » لعبد الغني حمادة . |
| | ٤٣/٨٦٦ | كتاب « القضاء والقدر » لعبد الغني حمادة (٢) |
| | ٤٣/٨٦٨ | كتاب « أبوبكر الصديق رضي الله عنه » لعبد الغني حمّادة ( ٣ ) |
| | ٤٣/٨٧٠ | كتاب «المختار من أحاديث سيد الأبرار» لجواد المرابط (٣) |
| ١٩٦٩ | ٤٤/٧٤ | « مجلة المجمع العلمي العربي » بمناسبة بلوغ المجمع ٥٠ عاماً ( ١٧ ) |
| ١٩٧٠ | ٤٥/١٦٦ | كتاب « النبوة — إصلاح تقتضيه رحمة الله » لسعدي ياسين ( ٢ ) |
| | ٤٥/٣٧٦ | كتاب « اللآلىء المنثورة في الأقوال المأثورة » نقلها عن السريانية البطريرك يعقوب الثالث (٢) |
| | ٤٥/٣٧٧ | كتاب «الفوائد المهمة في حكمة التشريع وفضل القرآن العظيم » لوحيد الجاوي (٤) |

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

| السنة | المجلد والصفحة | الموضـــوع |
|---|---|---|
| | ٦٥٧/٤٥ | كتاب « شخصية المسلم كما يصورها القرآن » لمصطفى عبد الواحد ( ٤ ) |
| | ٦٦١/٤٥ | كتاب « لماذا أسلمنا » لنخبة من رجال الفكر ترجمة مصطفى جبر (٤) |
| | ٦٦٥/٤٥ | كتاب « شيخ الباحثين آغا بزرك » لعبد الرحيم محمد علي ( ٣ ) |
| | ٨٥٢/٤٥ | كتاب « فتاوى الإمام محمد رشيد رضا » تحقيق صلاح الدين المنجد ( ٤ ) |
| | ٨٥٥/٤٥ | كتاب «ولاية الله والطريق إليها»دراسة وتحقيق لكتاب « قطر الولي على حديث الولي »للإمام الشوكاني« لابراهيم إبراهيم هلال ( ٤ ) |
| ١٩٧١ | ١٤٠/٤٦ | كتاب « الأسماء الحسنى » لمحمد درويش (٧) |
| | ١٤٦/٤٦ | كتاب«قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة »لابن تيمية(٤) |
| | ٣٨٤/٤٦ | كتاب « العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين » لمحمد الحسني المكي ( ١٣ ) |
| | ٣٩٧/٤٦ | كتاب « العذب الفائض شرح عمـــدة الفارض »لابراهيم الفرضي على « ألفية الفرائض » لصالح الأزهري الحنبلي » ( ٤ ) |
| | ٧٦٨/٤٦ | كتاب « خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب »لابن شعيب النسائي تحقيق محمد هادي الأميني ( ٥ ) |

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

| السنة | المجلد والصفحة | الموضـــوع |
|---|---|---|
| ١٩٧٢ | ٣٩٤/٤٧ | كتاب « نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر » لعبد الحي الحسني ( ٤ ) |
| | ٥٠٣/٤٧ | الفقيد الشيخ محمد نصيف . |
| | ٦٦١/٤٧ | كتاب « الإيضاح في تاريخ الحديث وعلم الاصطلاح » لسعدي ياسين ( ٤ ) |
| | ٨٦٧/٤٧ | كتاب « الرد الشافي الوافر على من نفى أميّة سيد الأوائل والأواخر » لأحمد بن حجر آل علي ( ٣ ) |
| ١٩٧٣ | ٦٧١/٤٨ | كتاب « الإمام الشافعي فقيه السنة الأكبر » لعبد الغني الدقر ( ٣ ) |

## دمشق تشيع فقيدها

ما كاد مجمع دمشق ينعى الفقيد الكبير حتى اهتزت دمشق لهذا النبأ الفاجع ، وحمل البرق النعي إلى سائر أقطار العالم العربي ، واسرعت الرابطة الإسلامية في مكة المكرمة إلى نعي الفقيد إلى مختلف البلاد الإسلامية .

وزحفت دمشق إلى حيّ الميدان تشيع بالدموع والزفرات جثمان الفقيد إلى مثواه الأخير ، ووقف العلماء والأدباء على قبره يعددون مآثره وما تمثل فيه من أخلاق السلف الصالح . ثم وري الجثمان في مقبرة « باب مصر » إلى جوار الطاهرين من أفراد أسرته الكريمة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

## رجع الصدى

حملت أسلاك البرق كما حملت البرد من شرق العالم الإسلامي إلى مغرب العالم العربي ، رجع الصدى عبرات منهرة ودموعاً سخية ، وتبادلت الهيئات والمؤسسات التي فجعها النبأ التعازي بالفقيد الكبير راجية له جنان الخلد مـــع النبيين والصديقين وللعربية والمسلمين خير العوض .

وكتب إليّ علامة العراق شاعر العربية الكبير **محمد بهجة الأثري** يقول : « . . وقد هالني النبأ فذهبت من فوري أرثي الصديق العزيز وأبكيه ، **لما تعلم من قدم مودتنا وصفائها طوال ٥٤ عاماً** . . » وبعث بقصيدة من رائع الشعر الذي يزين ديوان العرب ، تحمل الحبّ كلّ الحب ، والصدق كلّ الصدق ، والوفاء كلّ الوفاء ، اثبتها فيما يلي . قال حفظه الله :

### صلى على أثوابه الطُّهْرُ

واصلتِ ثُمَّ هجرتِ ، والهجرُ ... يا نفسُ ـ متسٌ مَذاقِه مُرُّ
ما أنتِ ؟ غايةُ عِلمنا نَفسٌ : ... إن بانَ ، يَفْنَ بينَه العمرُ
عجلى ، مفارِقةٌ بلا سببٍ ، ... مستوفزٌ برحـــالك الطُّهرُ
عَجِلتْ بك الأيّام أو أنِيتْ ، ... فكما يبين ويختفي الفجـــرُ
طيفٌ . . يُليمُّ بنائم سَرِعاً ، ... ويغيب . . لا أثرٌ ، ولا ذِكرُ
قد جاء من غيب ، وخفَّ إلى ... غيب . فما المغزَى ؟ وما السِّرُّ ؟
يا عقلُ ! لا تتكلّفنْ عَنتاً ، ... ما كلُّ غامضة لهـــا قَعْرُ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

محجوبةٌ عن كلِّ باصـــرةٍ ، سيترٌ عليها . . دُونهُ سِترُ
جَلَّتْ ودَقَّتْ ، ليس يكشفها فكرٌ يقصّـرُ مَدَّهُ الجزْرُ
ما ثَمَّ من عَبَثٍ ، ومحنتُنـــا في الفكر ،إذْ ينطاَ من الفِكرُ

* * *

أ( دِمَشْقُ )!ما نَبأٌ لذعتِ به سمعي ، كأنَّ حروفَه جمرُ ؟
أذكى حشايَ ، ولجَّ في كبِدي وَقْداً ، وضجَّ بناره الصَّدرُ
إنَّ الذي تَنْعين خـاشعةً عَلمُ الهـدى والمصلحُ الحَبْرَ
غالٍ على المُهجـات ، حاليةٌ بجهـاده الآثارُ والعصـرُ
فَذٌّ ، عزيزُ المِثل ، جوهرةٌ زاكٍ كأنفاس الشَّـذا بَرُّ
متفـرِّدٌ بخـلائقٍ غُـرَرٍ بجمالهـا يتفـاخرُ الفخرُ
في كل صـالحة . . له خَبرٌ ، ولكل مَحْمدَة . . له صَوْرُ ،
تتبـارك الحُسْنى بخُلْتِيـه يُمناً ، وخُلْتُهُ لهـا ذُخرُ
ولقـد بلوتُ خِلاَله زمنـاً وصهرتُها ، فـإذا هي التِّبرُ
أربتْ على الخمسين لُحمتُنـا يهفو ويطفحُ فوقهـا البِشرُ
يغلو وفـاءً كلَّما قَـدُمت أيامُنـا ، وكذاك الحُرُّ
صافٍ كماء المُزْنِ . . ظاهرُه كضميره ، وكسيرتُه الجهرُ
بَشرٌ . . ولكن في هُدَى مَلكٍ ، صـلى على أثوابـه الطُّهرُ
يا حُزنَ نفسي ! سوف تصحبني حتّى يواريَ جسمي القـبرُ

* * *

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

هو ( بهجةُ ) الإسلام : غُرَّتُهُ ، و ( جماله ) و ( مناره ) البدرُ (١)
عَلمٌ .. على الذِّرْوات رفَّ ، كما رَفَّ السَّنا ، وتلامَحَ النَّوْرُ
العِلمُ ، ملءَ جَنانِه ، دُفَقٌ والعقـــل خلف لسانِه وَقْرُ
تتألّق ( الفصحى ) على فَمِهِ زهـــواً كما يتألّـــق الدُّرُّ
كرُمت عليه كدِينِهِ ، فغدا وله على حُرُماتِهـــا خَفْرُ
ركنانِ .. قـــام عليهما فسما صَرحُ العُلى ، وتعزَّزَ النَّصر
والدِّينُ ( دينُ الله ) عِصمتُه ، ومَسارُهُ الإصـــلاحُ والبِرُّ
عـالٍ على الأهواء ، مُتَّشِحٌ بحِجاً .. له في لمحـــه غَوْرُ
مصباحُه ( الفُرقانُ ) .. يَتْبعُه أنَّى أشـــارت آيُهُ الزُّهْرُ
ينحو ويسلُك مـــا تَفهَّمـــهُ منه النَّبيُّ وصحبُـــه الغُرُّ
ويقيم من مالُـوا به جَنفـــاً حتّى يثوبُ إلى الهدى الصُّعْرُ
كم نَزَّه ( الإسلامَ ) من بِدَعٍ قد باضهـــا الشَّيطانُ والكفرُ
مقبوحةٍ شوهاء .. شاه بهـــا وجهُ الهدى ، وتلوَّثَ الطُّهْرُ
كان الحكيمَ الطَّبَّ .. بَلْسَمُهُ رِفقُ الحديث وفقهُـه البحرُ
يمشي إلى إصـــلاحه لَبِقـــاً ، وبيانُه غَضُّ الجنى نَضْـــرُ
أدبُ ( النُّبُوَّة ) مـا تَنخَّلهُ ، والحكمةُ الزَّهراءُ ، واليُسرُ
بلغَ المدى ، واليُسرُ يُبْلِغُ ما يعيـا ببعضِ طِلابِه العُسْرُ

* * *

(١) إشارة إلى مصدري علم الفقيد ومنهجه الاصلاحي ، العالمين المجددين : شيخه جمال الدين القاسمي ، والسيد محمد رشيد رضا صاحب « المنار » الأنوار .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

أبقيتَ السلفِ الكرام زهت بجلالك الحُرُمات و ( الذِّكرُ )
( بَرَدَى ) إلى اللقيا به ظمأٌ ، و ( دِمَشْقُ ) في أحشائها حرقُ
بل ( عالَمُ الإسلام ) قاطبةً قُطّانُه البادُونَ والحضْرُ
لهفاً إلى وجه . . تهلّلَ في أسراره الإخلاصُ والخيرُ
نَظراتُه لطفٌ ، وبسمتُه رُحمى ، وعذبُ حديثه نَشْرُ
خلعَ الحياءُ عليه بهجتَهُ ، وله جلالُ السِّنّ والقدْرُ

* * *

هذا الوَداعُ . . أثمَّ من أمل للقائنا ؟ أم يومُه الحشرُ ؟
صلى عليك المسكُ والنَّشْرُ وهفا عليك النّورُ والزَّهْرُ
وملائكُ ( الرّحمن ) قانتةً تسبيحُها وصلاتُها عِطرُ

* * *

إرحَمْ أسىً .. ميتْ به كبدي ، أتُواهُ .. يحمِلُ بَثَّهُ الشِّعر ؟
قِطَعٌ مُمزّقة ، توزّعها نثراً ، كأنّ لُهابها قِطْرُ
عذراً إليك ، فقد وَهى جلدي وخبتْ قوايَ وخانني الصَّبرُ
ما بعدَ روحيَ ما أذوبُ به ، يا ليت شعري . هل وَفى العُذر ؟

* * *

## مصادر ترجمت للفقيد

سيرة الفقيد العطرة مشهورة بأريجها الفواح ، أما ترجمته فقد وردت في مصادر عديدة أهمها :

١ ـ ترجمة كتبها بخط يده محفوظة في ملفه المجمعي ، وهي مؤرخة في سنة ١٣٨٣ هـ ، ١٩٦٣ م .



هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

٢ ـ سيرة ذاتية نشرها في كتابه « الرحلة النجدية الحجازية » المطبوع بدمشق سنة ١٣٨٧ هـ ، ١٩٦٧ م .

٣ ـ « من هو » في سورية ـ إصدار الوكالة العربية للنشر والدعاية لجورج فارس . طبع دمشق سنة ١٩٤٩ م .

٤ ـ « عالمنا العربي » لنعمة زيدان ـ الحلقة الأولى طبع بيروت سنة ١٩٥٦ م .

٥ ـ « من هم » في العالم العربي ـ إصدار مكتب الدراسات السورية والعربية لجورج فارس ـ الجزء الأول طبع في دمشق سنة ١٩٥٧م .

٦ ـ « أعلام الفن والأدب » لأدهم الجندي ـ الجزء الثاني طبع في دمشق سنة ١٩٥٨ م .

٧ ـ « معالم وأعلام » في بلاد العرب لأحمد قدامة ـ الجزء الأول طبع بدمشق سنة ١٩٦٥ م .

٨ ـ « عيون البصائر » لمحمد البشير الابراهيمي . الجزء الثاني طبع في بيروت سنة ١٩٧١ م .

٩ ـ « المجمعيون » لعدنان الخطيب ـ الجزء الثاني ( مخطوط ) .

دمشق في ١٣٩٦/٦/١٠ عدنان الخطيب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

# مَلامح
# من تطور المغرب العربي

## في بدايات العصور الحديثة (*)

الأستاذ محمد المنـــوني

ظهرت بوادر التحرك الأجنبي نحو المغرب الكبير ، مع مطالع المائة الهجرية التاسعة ، أو عند بداية القرن الميلادي الخامس عشر ، وسنتبين أن إسبانيا قامت في التاريخ ذاته بنسف مدينة تطوان ، ليأتي بعدها دور الاعتداء البرتغالي على سبتة عام ٨١٨ هـ / ١٤١٥ م .

وهذا التاريخ سيكون — على العموم — هو منطلق الفترة المعنية بالدراسة التي نعرضها ، حتى تنتهي بعد حدث الجلاء الأندلسي الأخير عام ١٠١٨ هـ / ١٦٠٩ م .

---

(*) أعد برسم المؤتمر الأول لتاريخ المغرب وحضارته ، المنعقد بتونس : ٢٤ - ٢٩ ديسمبر ١٩٧٤ م .

إن المصادر والمراجع التي يتكرر النقل عنها ، يكتفى - في المرة الأولى - بذكر المعلومات الضرورية للتعريف بها : المطبعة أو مكان المخطوط ورقمه ، فضلاً عن اسم المؤلف إن وجد دون أن نكون بحاجة إلى إعادة هذه التوضيحات عندما يتكرر الرجوع إلى نفس المصدر أو المرجع .



هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مع ملاحظة أن هذا العدوان المزدوج ضد الشمال الافريقي ، لم يبلغ حدّته إلا عندما أطلّت فترة العصور الحديثة ، بعد فتح القسطنطينية عام ٨٥٧ هـ / ١٤٥٣ م .

* * *

أما المغرب المعني بهذه الدراسة فهو يستوعب مفهومه الواسع ، ليشمل كلًا من ليبيا وتونس والجزائر والمغرب الأقصى .

* * *

وقد عرفت هـــذه المنطقة ــ خلال الفترة المشار إليها ــ أربعة أحداث بارزة :

- الغزو الأجنبي .
- الهجرات الأندلسية .
- الوجود العثماني .
- وفادات من جنسيات أخرى .

وهدف هذه المحاولة شرح أثر تلك الأحداث في تطوير المظـــاهر الحضارية للمغرب الكبير ، غير أنه سيكون من المناسب التمهيد بمدخل عن طبيعة الأحداث ذاتها ، ثم رد الفعل المغربي ضد التدخل الأجنبي .

وقد جاءت غارات البرتغاليين والإسبان على السواحل المغربيـة في مقابل انتصارات العثمانيين على أوربا وبدأت المعركة ــ أول الأمر ــ من المغرب الأقصى عند الساحل المغربي للمتوسط ، وامتدت بعد ذلك ــ متجهة نحو شـرق الســاحل نفسه ، وإلى الشاطىء الأطلسي ، وعندمـا اشتدت المعركة تدخل البابا الإسكندر السادس عام ٨٩٩ هـ / ١٤٩٤ م ، وفض النزاع بين الدولتين المعتديتين ، فصـار معظم المغرب الأقصى من

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

نصيب البرتغال ، بينما يختص الإسبان ببقية المغرب الكبير (١) .

ومن المؤكد أن الحملة صارت تهدف إلى الاستيلاء على الشمال الافريقي عن طريق احتلال الشواطىء ، حتى ينحدر المغرب الكبير إلى التنصير أو الإبادة .

ومما يفسر هذا أن مدينة مراكش صارت مهددة باحتلال البرتغاليين بعدما تمكنوا من التسرب إلى نواحي أكادير .

ومدينة فاس - بدورها - كانت هدف جيوش سيبيستيان في موقعة وادي المخازن ، ومن الثابت أن الغزاة - في هذه الحملة - أعدوا صلباناً ليقوموا بتعليقها قريباً من مساجد فاس ومراكش (٢) .

وفي الجزائر كان الإسبان قد توغلوا - فعلاً - إلى تلمسان ونواحيها ، وهي نفس الخطة التي كانت مبيتة ضد بقية الشمال الافريقي .

* * *

وقد استمرت عمليات الغزو - على مستوى المغرب العربي - قرابة قرن ونصف القرن ، وبدأت بطيئة متقطعة ، ثم تصاعدت بعد فتح القسطنطينية والقضاء على بيزنطة عام ٨٥٧ هـ / ١٤٥٣ م .

---

(١) كان هذا من مستتبعات معاهدة توردیسیلاس Torde Sillas ، وهناك وثيقة عن مراحل وتفاصيل هذا الاتفاق ، حيث أثبتها محمد بن تاويت التطواني ، في موضوع : « من زوايا التاريخ المغربي » ، مجلة « تطوان » : العدد السابع ، ص ١٠٥ — ١٠٦

(٢) محمد الفاسي : « موقعة وادي المخازن الحاسمة » — مجلة « البحث العلمي » العدد التاسع ، السنة الثالثة ، ص ٢٢٣

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وكانت الأسبقية لإسبانيا ، فقامت بتخريب تطوان القديمة عام ٨٠٣ هـ / ١٤٠١ م [١] .

وبعد هذا تسلسل احتلال البرتغاليين لشواطىء المغرب الأقصى حسب التواريخ التالية :

سبتة : عام ٨١٨ هـ / ١٤١٥ م — القصر الصغير : ٨٦٣ هـ / ١٤٥٨ م

طنجة : ٨٦٩ هـ / ١٤٦٤ م — أنفا : ٨٧٢ هـ / ١٤٦٧ م

أصيلا : ٨٧٦ هـ / ١٤٧١ م — البريجة : ٩٠٧ هـ / ١٥٠٢ م

أكادير : ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م — أسفي : ٩١٢ هـ / ١٥٠٦ م

أزمور : ٩١٤ هـ / ١٥٠٨ م — المهدية : ٩٢٠ هـ / ١٥١٥ م

أما مدينة مليلية فقد احتلها الإسبان عام ٩٠٣ هـ / ١٤٩٧ م ، وعادوا لاحتلال بادس عام ٩٧١ هـ / ١٥٦٤ م كما استولى هؤلاء في بقية الشمال الافريقي على مجموعة أخرى من القواعد والمدن ، منها :

بونة « عنابة » عام ٨٦٧ هـ / ١٤٦٣ م

المرسى الكبير ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م — وهران : ٩١٥ هـ / ١٥٠٩ م

بجاية : ٩١٥ هـ / ١٥٠٩ م — طرابلس : ٩١٦ هـ / ١٥١٠ م

تونس : ٩٤١ هـ / ١٥٣٤ م

* * *

وقد كان من عواقب هذه الغارات المزدوجة على المغرب الكبير ، انحسار نفوذ الحكام الوطنيين إلى الداخل ، وأفضى الوضع بالمغرب الأقصى

---

(١) « الاستقصا » نشر دار الكتاب بالدار البيضاء ، ج ٤ ص ٨٩ ـ ٩٠

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

إلى استبدال السعديين بدولة بني وطاس ، وهؤلاء حولوا العاصمة من فاس إلى مدينة مراكش . وفي باقي المغرب الكبير حل العثمانيون مكان الحكام الوطنيين ، وانتقلت عاصمة المغرب الأوسط من تلمسان إلى مدينة الجزائر ، بينما دمر كثير من معالم تونس العاصمة .

ومن جهة أخرى تدهور الاقتصاد الداخلي ، وتقلص ظل التجارة الخارجية نتيجة احتكار المحتلين للمبادلات مع الخارج ، وتدفق بضاعتهم على الداخل ، زيادة على أن المغرب أخذ يتحمل تكاليف حرب دفاعية طويلة المدى .

هذا إلى أنه وقع القضاء على الحياة الحضرية في المدن التي وقع تخريبها على ساحل المتوسط أو المحيط ، ومـــا أعيد بناؤه منها جاء على الطراز الأجنبي .

وقد أثرت هـذه الحملات في سير الثقافة على العموم ، ففترت الهمم وانصرف أهل العلم إلى الجهاد أو الدعوة له بدلاً من الانقطاع للتعليم أو التعلّم ، وكانت نكبة تونس أكبر ، فتوقفت الحركة العلمية في مجموع القطر بعد إعلان الحماية الإسبانية ونزح كثير من أعلام الخضراء إلى المشرق أو المغرب (١) .

أما محنة الكتب العلمية وخزائنها فكانت من أعظم الفواجع ، فاستولى

---

(١) « تتمة شجرة النور الزكية » لمحمد بن محمد مخلوف التونسي : المطبعة السلفية بالقاهرة ، ص ١٥٣

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

البرتغاليون على ما كان بسبتة من الكتب بعد احتلالها (١) ، وفي تلمسان عبث الإسبان بمؤلفات العلم والدين بها (٢) ، والكارثة الكبرى هي التي حاقت بخزائن تونس العاصمة بعد الحملة الإسبانية الثانية عام ٩٨٠ هـ / ١٥٧٢ م ، وعن هذا التاريخ يقول ابن أبي دينار (٣) .

« . . . وفي تلك الأيام أهين المسجد الأعظم « الزيتونة » ، ونهبت خزائن الكتب التي به ، ودرست بأرجل الكفرة معالم المدارس ، وتفرق ما جمع فيها من دواوين العلوم ، وتبددت في الشوارع ، حتى قيل : إن المار من شرقي الجامع إنما يمر على الكتب المطروحة هناك » .

قال ابن أبي الضياف (٤) : « وهذا هو السبب في قلة تآليف الفحول

---

(١) يقول ابن حجر العسقلاني في هذا الصدد : « ... ونقلوا ما كان بها حتى الكتب العلمية ، وكان بها منها شيء كثير إلى الغاية » - « إنباء الغمر » : مطابع الأهرام التجارية بالقاهرة ، ج ٣ ص ٤١ ، وعبارة عبد الحي بن العماد الحنبلي « ... وأخذوا ما كان بها من الأموال والذخائر حتى الكتب العلمية » ، « شذرات الذهب » : نشر مكتبة القدسي بالقاهرة ج ٧ ص ١٢٤

ويلاحظ أن المصدرين يؤرخان الاعتداء على سبتة بعام ٨١٧ هـ ، خلاف الوارد في المصادر المغربية والأجنبية ، حيث كان تاريخ الحادث هو ١٥ جمادى الآخرة عام ٨١٨ هـ ، الموافق ٢١ غشت ١٤١٥ م .

(٢) « تاريخ الجزائر العام » تأليف عبد الرحمن بن محمد الجيلالي : المطبعة العربية بالجزائر ، ج ٢ ص ٢١١

(٣) « المونس ، في أخبار إفريقية وتونس » : مطبعة النهضة بتونس سنة ١٣٥٠ هـ ، ص ١٥٧

(٤) « إتحاف أهل الزمان ، بإخبار ملوك تونس وعهد الأمان » : المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية ، ج ٢ ص ١٩

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

من أهل هذا القطر ، فإنها ضاعت شذَر مذر في هذه الواقعة » .

وبعد هذه الغارات المسلحة على الكتب والمكتبات ، بدأت في الفترة ذاتها حملات من نوع جديد - لابتياع المخطوطات المغربية واختطافها لتنقل إلى أوربا ، حتى جاء في تاريخ الوافي في المسألة الشرقية : أن من مكتبة فاس والعراق اغتنت مكاتب أوربا(١) .

ومن جهة أخرى : فـــإن هذه النكسة استتبعت انحلالاً خلقياً وعقائدياً ، فشاعت البدع ، وظهرت جماعات منحرفة مثل الطائفة اليوسفية بالمغربين (٢) . والشابيين بتونس (٣) ، زيادة على تفاقم بدع طائفة العكازين بالمغرب الأقصى (٤) .

* * *

(١) نقله في خاتمة التراتيب الادارية : المطبعة الوطنية بالرباط ، ج ٢ ص ٤٥٥

(٢) تعرف - أيضاً - بالشراقة ( بتشديد الراء ) ، وهم فرقة من أتباع الامام الجليل أبي العباس أحمد بن يوسف الراشدي المليانى ، المتوفى عام ٩٢٧ هـ ، وقد انحرف هؤلاء عن طريقة أستاذهم الذي كان إمام سنة وهدى ، ويقول عنهم ابن عسكر :

« ... ولم يكن - اليوم - بالمغرب من طوائف المبتدعة سوى هذه الطائفة .. ولقد أشار الفقهاء على السلطان الغالب بالاعتناء بحسم مادة فساد هذه الطائفة ، فسجن جماعة منهم وقتل أربعة آخرين ، وهؤلاء المبتدعة ليسوا من أحوال الشيخ ( أبي العباس المليانى ) في شيء ، بل فعلوا كفعل الروافض والشيعة في أئمتهم » - « دوحة الناشر » ، المطبعة الحجرية الفاسية عام ١٣٠٩ هـ ، ص ٩٢

وقـد شنع عليهم ابن القاضي بدوره ، وأفاد ظهور فرق مبتدعة جديدة لعهده ، زيادة على الطائفة اليوسفية ، وهو يقول في هذا : « ... إذ هم أحلوا ما حـــرَّم الله تعالى ، وقد اختلقوا بدعتهم : من ترك الصلاة والصوم واستباحة =

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وعن ردّ الفعل المغربي : كان واقع الحملات البرتغالية والإسبانية قد أذكى في مجموع الشمال الافريقي روحاً نضالية جديدة ، ونشبت المعركة - في بداية الأمر - على النطاق الشعبي ، امتداداً من المغرب إلى ليبيا ويقول الناصري[1] عن المغاربة :

« ولما نزل بأهل المغرب الأقصى ما نزل من غلبة عدوّ الدين ،

---

= الزنا والدياثة والعياذ بالله ، أذلهم الله وأخزاهم ، وغير هذا مما الشيخ منزّه عنه ، رحمة الله عليه ، وهي طائفة من الطوائف المعدودة بالمغرب ، التي خرجت عن الحق إلى الزيغ - « درة الحجال » : المطبعة الجديدة بالرباط ، رقم ١٩٠

وانظر - أيضاً - عن الطائفة نفسها : « مرآة المحاسن » لأبي حامد محمد العربي الفاسي : المطبعة الحجرية الفاسية - ص ٢٢٤ مع « الاستقصا » ، ج ٥ ص ٥٠ - ٥١

(٣) هم أتباع الشيخ عرفة : المرابط القيرواني وجدّ الشابيين ، انظر عنه « المؤنس » ص ١٤٤

(٤) للتعريف بهذه الطائفة ، ارجع إلى محمد المنوني : « التيارات الفكرية في المغرب المريني » - مجلة « الثقافة المغربية » ، العدد الخامس ، ص ١٢٩ - ١٣١

وبالإضافة إلى هذه الطائفة وسابقتيها عرف جنوب المغرب الأقصى نحلة المغيطي : عمرو بن سليمان السياف الشيظمي ، المتوفى قرب عام ٨٩٠ هـ ، وكان قد جمع الجموع على الجهل والفساد والخروج عن الحق ، وسمى أصحابه بالمريدين بضم الميم ، قال الشيخ زروق : وما احقهم بالفتح .

انظر عن نحلة المغيطي : « المعيار » للونشريسي : المطبعة الحجرية الفاسية - ج ٢ ص ٣٠٨ - ٣٠٩ مع « ممتع الأسماع » لمحمد المهدي الفاسي ؛ نفس المطبعة عام ١٣٠٥ هـ : الملزمة الثانية ص ٤ - ٦

(١) الاستقصا ، ج ٤ ص ١١١

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

واستيلائه على ثغور المسلمين ، تبارَوا في جهاده وقتاله ، وأعملوا الحيل والرجل في مقارعته ونزاله ، وتوفرت دواعي الخاصة منهم والعامة على ذلك ، وصرفوا وجوه العزم لتحصيل الثواب فيما هنالك ، فكم من رئيس قوم قام بنصرة الدّين غيرة واحتساباً ، وكم من ولي عصر وعالم مصر باع نفسه من الله ورأى ذلك صواباً ، حتى لقد استشهد منهم أقوام وأسر آخرون وبلّغ الله تعالى جميعهم من الثواب ما يرجون » .

وفي بقية المغرب العربي هبت القوى الشعبية للمقاومة ، واستعانوا بالعثمانيين ، لتنظيم الجهاد ضد المعتدين .

وهكذا : فإن علماء الجزائر قالوا للقائد التركي خـــير الدين باشا وقد أراد الانتقال عن المغرب الأوسط : « يجب عليك المقام بهذه البلدة الإسلامية لحمايتها ، ولا رخصة لك في تركها نهبة للمفترس »(١) .

ومن طرابلس الغـرب سافر وفد إلى الآستانة ليطلبوا النجدة من العثمانيين (٢) .

وفي تونس كاتب أهل القيروان الأتراك المجاهدين بالجزائر وليبيا ، ليهبوا إلى تخليصهم من الاحتلال الاسباني (٣) .

وإلى جانب هذه الفورات الشعبية ، كان سلاطين شمـال أفريقيا وأمراؤهـــا ، عملوا — منذ بدء الحملات الاستعمارية — لتوحيد صفوفهم

---

(١) إتحاف أهل الزمان ، ج ٢ ص ١٠

(٢) « المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب » ، تأليف أحمد بك النائب الأنصاري الطرابلسي : مطبعة جمال الدين أفندي بالاستانة ، ص ١٨٧

(٣) اتحاف أهل الزمان ج ٢ ص ٢٠

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

والتحالف فيما بينهم ، ثم كاتبوا قانصوه الغوري عاهل الكنانة ، وطلبوا منه الانضمام إلى هذا الحلف ، والقيام – من جهته – بطرد تجار الفرنج المقيمين بإيالته ، والعمل على غلق كنيسة القيامة في وجه حجّاجهم (١) .

وعلى مستوى التعاون المغربي الجزائري ، كان أبو العباس أحمد الوطاسي استعان به أبوزيان أحمد الثالث ، ضد أخيه محمد السابع الذي احتمى بالإسبان وهم يحتلون تلمسان ، وقد أمدّهُ العاهل المغربي بالرجال ، وبالأسلحة المنوعة : مدافع ودروع وقسي ومعدات أخرى ، وقال لأمير تلمسان : داري دارك ، وأنا لك بمنزلة الوالد ، وابني بمنزله أخيك (٢) .

---

(١) « المماليك والفرنج » تأليف الدكتور أحمد دراج : نشر دار الفكر العربي بالقاهرة ، ص ١٢٩

(٢) ارجوزة « عروسة المسائل فيما لبني وطاس من الفضائل » لمحمد الكراسي المطبعة الملكية بالرباط ص ٣٨ – ٣٩

ومن ملحقات هذا الموضوع ماورد في كتاب : « دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر » ، تأليف الأستاذ عبد الحميد بن أبي زيان بن أشنهو ، مطبعة الجيش بالجزائر ، غير أن الأمر – هنا – يتعلق بأمير سابق لإبي العباس الوطاسي ، وهو والده محمد المعروف بالبرتقالي بن محمد الشيخ ، وقد جاء في هذا الصدد بالمصدر المشار له ص ٧٦ :

« . . . وبمجرد ماوصل عَرّوج إلى تلمسان ، وجّه إلى السلطان الوطاسي مولاي محمد ليتحالف معه ، كي يوجه إليه النجدة ، مقابل شد عضده في محاربة السعديين ، الذين أخذت شوكتهم تتقوى في بلاد سوس ومراكش ، وفعلاً وجه الوطاسي جنداً يقارب ٢٠٠٠٠ محارب على طريق مليلية ، وإذ كان عروج ينتظر وصولهم حاصره العدو وشدد عليه الخناق ، كما سنشرحه فيما بعد » =

شبكة الألوكة www.alukah.net
هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وبعد قيام السعديين تحقق تحالف مغربي تركي لتحرير مدينة وهران[1].

وقد اهدى عبـد الملك المعتصم للعثمانيين كمية من الذخيرة تتألف من عشرين مدفعاً ، يشتمل أولها على تسـع فوهات ، حسب مؤرخ سعدي يعقب ويقول عن النفض الكبير : « وهو — الآن — بباب الجزيرة

---

= ولما ذكر نفس المصدر رواية استشهاد القـائد العثماني عروج باشا في بني يزناسن ببلاد المغرب ، عقب عليها ص ٧٩ :

« إننا نؤكد هذه الرواية التي تثبتهـا محالفة عروج مع سلطان فاس محمد الوطاسي ، الذي لم يسعه الوقت لتوجيه النجدة ، فإن عروج فرنحو الغرب لعله يلاقي الحملة المغربية الآتية من مليلية ، وحين قربت من وجدة وصل خبر عروج أنه استشهد مع رفقائه ، فرجعت الحملة إلى فاس ، وأثبت الأمر ايبولار مترجم كتاب الحسن بن محمد الوزان عن وصف افريقيا .

وبعد هذا لم يبق مجال للتردد في أمر هذه النجدة ، بعدما أثبت واقعها الوزان الفاسي ، وقد تشكك فيها الأستاذ أحمد توفيق المدني ، في كتاب « حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا » ص ١٩٠ حسب الفقرة التالية :

« وقد قيل — وليس بأيدينا ما يؤكد هذا القول أو ينفيه — إن عروج كان ينتظر النجدة من قبل ملك فاس الوطاسي المريني تنفيذاً لاتفاق عقـد بينهما ، وأن الملك المريني قد أرسل — فعـلاً — بجيش لنصرة عروج ، وتمكينه من الدفاع عن تلمسان ضد الإسبان وأنصارهم ، لكن ذلك الجيش سار على طريق مليلية ، فطال به السير ولم يتمكن من الوصول إلى ميدان المعركة في الوقت اللازم ، فلما تم الأمر قفل راجعاً » .

(١) مجلة « تطوان » : العدد الخامس ص ١٣٣ ، مـع العدد السابع ص ١٠١ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

بالجزائر »[١] .

ونسق المجاهدون - من المغربين - العمليات البحرية فيما بينهم ، فصار المغاربة في واجهة المحيط ، بينما كان الجزائريون يعملون بالمتوسط[٢].

وكان هؤلاء يتزودون — عند الاقتضاء — من المغرب عند مرسى تطوان وغيرها[٣] ، ومن مستتبعات هذا التعاون حسن استقبال المغرب للمهاجرين الجزائريين ، ومنهم العلماء التلمسانيون الذين وفدوا عام ٩٦٨ هـ/٦١ - ١٥٦٢ م ، وكان فيهم محمد بن عبد الرحمن بن جلال المغراوي ، وأبو العباس أحمد بن سمية العبادي ، وقدم مع هذا الأخير محمد شقرون بن هبة الله الوجديجي وأبو العباس أحمد بن محمد بن قاسم العقباني[٤] .

قال في « دوحة الناشر »[٥] في ترجمة العبادي : « ولما قدم على فاس عام ثمانية وستين — يعني وتسعمائة — في جملة فقهاء تلمسان ، لما رحلهم السلطان الغالب من تلمسان ، حين وقعت الفتنة بينهم وبين الترك ، واستغاثوا فأمدهم بالأجناد ونقلهم إلى فاس ، ووصل كلًا منهم على قدر

---

(١) « تاريخ الدولة السعدية » المؤلف مجهول الاسم : المطبعة الجديدة بالرباط ، ص ٥٣

(٢) مجلة « تطوان » العدد الرابع والخامس « مزدوج » ، ص ٧٠

(٣) نفس المجلة : العدد التاسع ، ص ١٢٦ - ١٢٧

(٤) انظر تراجم الوافدين الأربعة في « دوحة الناشر » : ص ٨٦ — ٨٨ و ٩٠ — ٩١ ، وفي مخطوطة فهرس المنجور : « وسمعت - أيضاً - من جماعة ممن قدم على فاس من فقهاء تلمسان » .

(٥) ص ٨٧ ، مع تصحيح النص المطبوع عن نسخة مخطوطة

شبكة الألوكة www.alukah.net
www.alukah.net

حاله ، ووصله بألف مثقال ذهباً ، وأمر له بكساء وإقامة جليلة ، وقال : لا تسووه بأحد من الفقهاء وغيرهم ، فإن همته كبيرة » .

* * *

ومن الوافدين على المغرب من تونس في الفترة ذاتها نعرض ثلاثة :

أبو الطيب بن محمد الظريف التونسي ، وكان شيخاً مرشداً بجامع الزيتونة ، وبعد الحملة الإسبانية الأولى هاجر إلى المغرب واستوطن مدينة فاس ، وبها صارت له ألفة مع أحد علمائها المرموقين : أبي الحسن علي ابن هارون ، الذي خاطبه بقطعة شعرية يتفجّع فيهـــا على نكبة تونس ، ومطلعها :

جادك الغيث إذا الغيث انهمر حضرة الأنس البديع المونس[1]

وبعد الظريف التونسي كان محمد بن خروف الأنصاري ، قد أسره الإسبـــان في مدينة تونس بعد الحملة الأولى ، واستمر في الأسر — بإسبانية — ستة أعوام غير قليل ، إلى أن فداه الأمير أبو العباس الوطاسي عام ٩٤٧هـ/١٥٤٠م ، بإشارة من فقيه فاس محمد اليسيتني ، فانتقل العالم المفدّى إلى مدينة فاس واستوطنها ، حتى توفي بها عام ٩٦٦هـ/١٥٥٨م وهو يتحدث عن مأساته وفدائه ويقول :

« . . . وكانت مدة أسري ستة أعوام غير قليل ، محفوظاً فيها في ديني وبدني فضلاً من الله سبحانه له الشكر على ذلك ، إلى أن خلصني

---

(١) مخطوطة « فهرس المنجور » عند ترجمة أبي الحسن علي بن هارون ، مع « جذوة الاقتباس » لابن القاضي ، المطبعة الحجرية الفاسية ، ص ٣٠٢ - ٣٠٣ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الله تعالى خلاصاً جميلاً ، على يدي مولانا السلطان المؤيد ، أبي العباس أحمد الوطاسي ، أجمل الله تعالى خلاصه ، فبذل في فدائي مالاً كثيراً يقرب من ألف دينار وبعد محاولة عظيمة يطول ذكرها ، وعاملني - بعد الخروج - بما لا أحصي عده ، جعله الله تعالى له عدة .

وأول يوم قابلته به — وذلك في أول رجب الفرد ، عام سبعة وأربعين وتسعمائة ، وقد خلع عليَّ من أحاسين ملابسه - أنشدته من نظمي بحضرة خواص أصحابه وبعض التونسيين حاضر (١) .. » .

أما الوافد التونسي الثالث فكان من طبقة الأطباء . وانتظم للعمل في بلاط المنصور الذهبي . وذكرته رسالة سعدية مُشيرة إلى مهنته ووطنه دون التعريف باسمه (٢) .

---

(١) محمد المنوني : « مواقف المغرب ضد الحملات الصليبية » ، مجلة « دعوة الحق » : السنه ١٣ ، العدد ٣ ، ص ٥٦

(٢) الرسالة واردة عند الأفراني في « نزهة الحادي » : المطبعة الحجرية الفاسية ، حيث وردت بها الاشارة المعنية ، ص ١٦٦ ، وانظر « المنتقى المقصور » لابن القاضي : مخطوط المكتبة الملكية رقم ١١٥٣ أوائل الباب الثاني ، حيث يذكر اسم أبي العباس أحمد بن محمد بن الحكيم التونسي الوافد على المغرب الأقصى .

ونضيف إلى هذا التعليق وافدين تونسيين زيادة على الثلاثة السابقين :

محمد التونسي الحفصي ، جد محمد المأمون بن محمد شارح العقيدة السنوسية الصغرى ، قال الأفراني عند ترجمة هذا الحفيد : « وكان جد صاحب الترجمة ، قدم على السلطان أبي عبد الله المهدي السعدي ، حين أخرجهم الأتراك من تونس واستولوا على مملكتها ، ففرح به السلطان المذكور ، وظن أنه قصده بطلب =

شبكة الألوكة www.alukah.net
www.alukah.net

وإلى هنا تبينا ملامح ردّ الفعل المغربي رداً على الحملات الأجنبية، وقد عاد هذا الموقف بالنتائج المتوخاة. وحررت ـ تباعاً ـ غالبية الجهات المحتلة. وننتقل بعد هذا إلى عرض الأحداث الأخرى التي عرفها المغرب العربي في الفترة ذاتها.

* * *

وقد عاصر هذه الفترة تصاعد الهجرات الأندلسية إلى المغرب العربي في وفادات متعددة.

فكانت وفود الأندلسيين بناة مدينة تطوان عام ٨٨٩ هـ / ٨٤ — ١٤٨٥ م.

وبعد هذا وقع سقوط غرناطة عام ٨٩٧ هـ / ١٤٩٢ م. وصار من استطاع من الأندلسيين الهجرة ينتقل إلى العدوة الأخرى: ومنهم الوافدون عام ٩٠٢ هـ / ٩٦ — ١٤٩٧م، حيث توزعوا بين تونس والجزائر وتطوان وفاس ومراكش وغيرها (١).

---

= المعونة منه على الأتراك، فاختار المسكنة، ولم يزل عنده في الحظوة إلى أن توفي » — « صفوة من انتشر » المطبعة الحجرية الفاسية ـ ص ١٠٩

الثاني: ذكره ـ عرضاً ـ أبو حامد محمد العربي الفاسي هكذا: « الفقيه، الكاتب، أبو عبد الله محمد الأندلسي، وكان كاتب السلطان حميدة، آخر ملوك بني حفص بإفريقية » — « مرآة المحاسن » ص ٢٣٠ — ٢٣١

(١) خاتمة « الأنوار السنية، في آباء خير البرية »، تأليف محمد بن عبد الرفيع الشريف الأندلسي: المخطوط الآتي الذكر أواخر هذه الدراسة.



هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وفي عام ٩٧٠ هـ / ٦٢ - ١٥٦٣ م وفد على المغرب الأقصى جالية كبرى سكن معظمهم بفاس وبمدينة مراكش (١) .

ثم كان الجلاء الأخير إلى مجموع الشمال الإفريقي عام ١٠١٨ هـ / (٢) ١٦٠٩ م .

ويقدر مؤلف عربي قريب من عصر الحادثة (٣) عدد الوافدين في هذه الهجرة بنيف وستمائة الف يضاف لهؤلاء المهاجرين المسلمين جاليـــة يهودية طردت من إسبانيا في تاريخ سابق : عام ٨٩٧ هـ / ١٤٩٢ م ، فقصد المغرب الأقصى نحو مائة ألف نفس . وتوزع شطر هـذا العدد بين بقية المغرب العربي (٤) .

* * *

(١) « تاريخ الدولة السعدية » لمؤلف مجهول الاسم ، ص ٣٨ - ٣٩ ، مع بغية الناظر والسامع » لأبي القاسم الزياني ، مخطوطة المكتبة الملكية رقم ٦٧٨

(٢) جاء في « نهاية الأندلس » : « وقد صدر قرار النفي - كما قدمنا - في ٢٢ سبتمبر سنة ١٦٠٩ ، وهو يوافق جمادى الثانية سنة ١٠١٨ ، ولكن الرواية الاسلامية تضع تاريخ القرار في سنة ١٠١٦ هـ أو سنة ١٠١٧ هـ ، وهو تحريف واضح » : الطبعة الأولى ص ٢٩٨ ، ويؤخذ على المؤرخ عبد الله عنان أن تحريف الرواية الاسلامية لم يكن شمولياً ، حيث ان مصدراً مغربياً يوقت الحادث بعام ١٠١٨ هـ ، حسب « تاريخ الدولة السعدية » لمؤلف مجهول الاسم ص ٩٦

(٣) هو محمد بن عبد الرفيع الأندلسي عند خاتمة « الأنوار السنية » : المخطوط الآتي الذكر .

(٤) « تحفة الزائر ، في مآثر الأمير عبد القادر ، وأخبار الجزائر » تأليف ابنه محمد : المطبعة التجارية بالإسكندرية ، ج ١ ص ٩

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وساوق هذه الهجرة الأندلسية وفود جاليات شرقية على المغربين الأوسط والأدنى ، وكان هؤلاء هم الأتراك العثمانيين الذين ابتدأ حكمهم بالجزائر من عام ٩٢٤هـ/١٥١٨م ، وفي ليبيا عام ٩٢٦ هـ/١٥٢٠م . وبتونس عام ٩٨١ هـ/١٥٧٣م .

يضاف للجاليتين الأندلسية والعثمانية الأسرى من البرتغاليين والاسبان ومن أمم أوربية أخرى ، وكان عددهم كثيراً في مجموع الشمال الافريقي ، واعتنقوا الإسلام في نهاية الأمر ، حيث صار الواحد منهم يعرف باسم العلج ، ليؤدي مدلول مملوك أبيض البشرة (١) .

وأخيراً : ظهر بالمغرب الأقصى عنصر المماليك الذين استجلبهم المنصور السعدي من السودان (٢) .

وقد خلف هؤلاء الوافدون - أندلسيون وأتراك وسواهم - مجموعة من التأثيرات التي كانت - في غالبها - إيجابية ، وبرزت في الوضع السكني والاقتصاد ، والمعمار ، ونظم الحكم ، والثقافة ، وسوى ذلك ، وسيكون

---

(١) حسن حسني عبد الوهاب : « ورقات عن الحضارة العربية ، بإفريقية التونسية » نشر مكتبة المنار بتونس ، القسم الثالث ص ٢٦٢ ، انظر مجلة « تطوان » العدد التاسع ص ٦٦

(٢) كان المنصور السعدي أضاف إلى الجيش المغربي فرقة سودانية ، وهو مايثبته مؤرخو العصر العلوي الأول ، انطلاقاً من أبي القاسم الزياني إلى الناصري في الاستقصا ج ٧ ص ٥٦

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

تحليل هذه التأثيرات هو موضوع الأبواب التالية ، بعد أن انتهي مدخل هذه الدراسة .

* * *

ونذكر - أولاً - أن هذه الوفادات المنوعة ، أحدثت تبدلاً واضحاً في الوضع السكني على امتداد المغرب الكبير ، حيث طرأت عليه عناصر بشرية لم تكن معروفة به من قبل ، وقد ضاعفت هذه المجموعات الوافدة عدد السكان السابقين ، وانبثق عنها طبقـــات جديدة تتميز بأنظمة حياتها وتقاليدها .

* * *

وبالنسبة إلى العنصر الأندلسي ، صار تأثيره واضحاً في المغارب الثلاثة ، وبالخصوص فى حقل الفلاحة والصناعة والعمار .

فالذين نزلوا منهم بأرياف تونس اغترسوا الكروم والزيتون وغرائب الفواكه والثمار ، كما حفروا القنوات ، وصنعوا العجلات ، ومهدوا بها الطرق للمسافرين ، وشيدوا الجسور .

وابتنوا - من جديد - أكثر من عشرين بلداً أكبرها مدينة تستور (١) التي شيدت منارتها على هندسة بديعة ، حتى إن الناظر إليها من أعلاها يشاهد

---

(١) « المؤنس » ص ١٨٣

« الحلل السندسية ، في الأخبار التونسية » للوزير السراج ، عند أوائل المجلد الثاني من مخطوطة الخزانة العامة بالرباط ، سنة ١٢٦٦ ، و « اتحاف أهل الزمان .. » ، ج ٢ ص ٣١

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

قعرها ، حيث وضعت على شكل أسطواني فارغ الوسط [١] ، وكانت مرصعة بساعة زادت في بهجتها [٢] .

وفي تونس العاصمة استوطنوا حومة الأندلس ، وزقاق الأندلس وغيرهما ، وأسسوا بحومة الأندلس جامعها ، وبنوا المدرسة الأندلسية [٣] .

---

(١) « تعاليق حاضر العالم الإسلامي » للأمير شكيب أرسلان : الطبعة الثالثة ج ٢ ص ٤٩

(٢) « تاريخ معالم التوحيد » لمحمد بن الخوجة : المطبعة التونسية ص ٨٣ وهناك دراسة عن مدينة تستور أنجزها المستشرق الفرنسي جورج مارسي باسم « تستور وجامعها الكبير » ، ونشرها « بالمجلة التونسية » بالعدد ٤٩ لسنة ١٩٤٢م ، ثم عربها ـ عن الفرنسية ـ الأستاذ التونسي مصطفى زبيس ، ونشرت الترجمة مجلة « الثريا » ، ابتداء من المجلد الأول عدد ١٢

(٣) « إتحاف أهل الزمان » ج ٢ ص ٣٠ ، ويقول الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في محاضرته : « مصير الأندلسيين » : « ... فأما تونس فنزلها منهم أهل الصنائع والفنون : فأهل الصنائع الدقيقة سكنوا المدينة ، وهم أهل الثروة منهم ، وبنوا لأنفسهم حومة تعرف بزقاق الأندلس قرب جامع القصر ، وأما أهل الصنائع الأخرى وبعض الفلاحين من أهل الحواضر فسكنوا ربض باب السويقة ، وهم أول من بنى هناك خارج السور ، فبنوا الحومة المعروفة بحومة الأندلس ، ولم يزل من بقاياهم هناك عائلات منهم عائلة الأندلوس .

ثم يقول بعد هذا : « أما بلد بنزرت فقد سكنها الأندلسيو ، وبنوا بها حومة تعرف ـ الآن ـ بحومة الأندلس ، وأسسوا قربها قرية منزل جميل ، ومنزل عبد الرحمن ، والعالية ، وغار الملح .... » .

وقد وردت مقتبسات من المحاضرة العاشورية في « تعاليق حاضر العالم الإسلامي » ، ج ٢ ص ٥٩ ـ ٦٣

هذيج مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وبالجزائر نزلوا بعدة جهات : منها تلمسان ووهران ودلس وغيرها ، وكان منهم من نزل سهل متيجة بنواحي البليدة ، وأحدثوا به غراسة النارنج والبرتقال (١) .

والذين سكنوا الجزائر العاصمة ، أسسوا - بجارتهم - معهداً كان يشتمل على مدرسة علمية ، وكتاب قرآني ، ومسجد للصلاة (٢) .

وقد أسس الأندلسيون بالمغرب الأقصى مدينة تطوان ، وجدّدوا مدينة الرباط ، وبمدينة مراكش اعتمروا جانبها الغربي الذي صار يعرف بروض الزيتون ، وبنوا بالمشيدات الثلاثة الدور والقصور والمرافق ، واغترسوا خلف أسوارها جنات معروشات وغير معروشات ، في مساحات شاسعة (٣) ، وتميزوا بطريقة خاصة في تشييد المباني السكنية في تصاميمها

---

(١) « تاريخ الجزائر العام » ج ٢ ص ٣٠٦ - ٣٠٧

(٢) صفحات في تاريخ مدينة الجزائر « لنور الدين عبد القادر ، مطبعة البعث بقسنطينة ، ص ١٦٥

(٣) ورد ذكر اعتمار الأندلسيين بمدينة مراكش عند القشتالي في « مناهل الصفا » ، مطبعة ومكتبة عصرية بالرباط ص ٤٢ ، مع « بغية الناظر والسامع » للزياني : المخطوط الوارد عند التعليق رقم ١ ص ٨٤٢

وقد تكرر ذكر الأندلسيين - سكان مراكش - بعد هذه الفترة التي نعرضها ، فأبو سالم العياشي يشير لأحدهم ، آخر رحلته المنشورة بالمطبعة الحجرية الفاسية : ج ٢ ص ٣٧٢

وقد عاد من رحلته بتاريخ ١٧ شوال عام ١٠٧٤ هـ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وزخرفتها وشكل بواباتها ، وهو النموذج الذي استمر مفضلاً في القصور القديمة بالرباط وسلا وتطوان . وفي فاس : كانت مباني السلطان أبي عبد الله ابن الأحمر الوافد على هذه المدينة بعد سقوط غرناطة ، ويقول عنـــه المقري (١) « وبنى بفـاس بعض قصور على طريق بنيان الأندلس ، رأيتها ودخلتها » .

كذلك امتاز الأندلسيون بصناعات وفدوا بهـا على المغرب الكبير ، أو أحيوا بها صناعات قديمة ، مثل المنسوجات الحريرية ، والصياغة ، وصناعة الجوارب ، وعمل الحصر ، ومن ذلك صنـاعة القلانس الحمر : الطربوش التونسي بتونس ، والشاشية في فاس (٢) .

وفي الرباط وتطوان : نشير إلى « صندوق العروس » ، وكان

---

= ثم ورد ذكرهم عند محمد المكي بن موسى الناصري بمناسبة وصفه لحفلة صلاة العيد التي ترأسها السلطان العلوي : المولى سليمان ، وهو يقول في هذا : « ثم جاء أهل الأندلس القاطنين ( كذا ) بالحمرا ، وبين أيديهم لواء أخضر ، وامتازوا به عن غيرهم وجعلوا يخرجون البارود ... » ، « الرياحين الوردية في الرحلة المراكشية » ، ضمن كناشة بالخزانة العامة بالرباط ، ج ٨٨

(١) « نفح الطيب » : المطبعة الأزهرية المصرية ، ج ٢ ص ٦١٧

(٢) « دائرة المعارف الإسلامية » : الترجمة العربية ، مج ٦ ص ٤١ - ٦٤

محمد السائح في مقدمة « سوق المهر ، إلى قافية ابن عمور » : المطبعة الاقتصادية بالرباط ، ص كح .

« ورقات عن الحضارة العربية » القسم الثالث ، ص ٢٦٦

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

يصنع من عود العرعر الصلب في هيكل غاية في الكبر ، لتجمع به العروس لباسها ورياشها (١) .

هذا إلى تجديدات أندلسية طورت تصنيع عدد من المعدات الدفاعية .

ويقول ابن الخوجة (٢) عن التأثير الأندلسي في تونس بالخصوص : « وكان امتزاج الأندلسيين بأهل تونس كلقاح خصيب للأمة التونسية ، لأن أسلافنا أخذوا عنهم أحوالاً كثيرة في باب الصنائع اليدوية ، ومنها تجليد الكتب وزخرفتها بأبدع أسلوب ، وتعلموا عنهم - أيضاً - كيفية عرض البضائع للبيع بالحوانيت : من جمعها وضمّ المتشابه منها بعضه لبعض .

وكان لنسوة الأندلس فضل على بنات تونس ، لأنهنّ علّمن ابنة البلاد تدبير المنزل من تأثيث وطبخ وحلاويات ، وكانوا - في تونس - لا يحسنون قبل ذلك من أصناف الحلويات غير الفالوذج ... » .

وهكذا نتبين نماذج من التأثيرات التي وفد بها الأندلسيون على تونس وسائر المغرب الكبير ، فاستفاد منهم المغاربة أساليب جديدة في تطوير الفلاحة والصناعة والمعمار ، وقد ذكر ابن القاضي (٣) عن المنصور الذهبي أنه ظهر في عصره حرف مهمة لم تكن معروفة بالمغرب ، ومن المتبادر أن تكون الحرف الأندلسية الوافدة مما يندرج في فقرة المؤرخ السعدي .

* * *

(١) مقدمة « سوق المهر » ، ص كح .

(٢) « تاريخ معالم التوحيد » ، ص ٨٣

(٣) مخطوط المنتقى المقصور : عند المقدمة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقد برز التأثير العثماني على مستوى نظم الحكم ، وهو ما اتسمت به أنظمة المغربين الأدنى والأوسط في الإدارة والدفاع ومشتقاتها ، ولحسن الحظ فإن هذه التجديدات التركية بالجهات المشار إليها ، قد فصلت إجراءاتها المصادر المعنية بالأمر (١) .

بينما كانت مثيلات هذه الترتيبات بالمغرب الأقصى لا تزال بحاجة إلى توضيح فلهذا سنتوسع - قليلاً - في عرضها .

ونشير إلى أن المغرب اقتبس - قليلاً - من الأنظمة التركية الإدارية .

وكان أولها ظهوراً إحداث رتبة المفتي ، مجاراةً لتقليد تركي قديم من عهد محمد الفاتح ، ويبتدىء ذكر هذه الخطة بالمغرب من أيام محمد الشيخ السعدي ، حيث قلد منصب الفتوى بفاس لمحمد بن عبد الرحمن بن جلال ، المغراوي التلمساني نزيل فاس (٢) .

---

(١) من نماذج هذه المصادر عن تونس : « إتحاف أهل الزمان » ج ٢ ص ٢٦ — ٢٧

« خلاصة تاريخ تونس » تأليف حسن حسني عبد الوهاب ، الدار التونسية للنشر ، ص ١٦٠

وعن الجزائر : « تاريخ الجزائر العام » ، ج ٢ ص ٢٧٧ - ٢٨٨

« صفحات في تاريخ مدينة الجزائر » ص ٧٢ - ٩٣ . ومن مستتبعات هذه الظاهرة انبعاث المذهب الحنفي بالمغربين : الأدنى والأوسط ، وهناك معلومات عن هذه الظاهرة بالنسبة لتونس ، في تاريخ معالم التوحيد ص ٣٩ — ٤٠ مع ص ٩٠ — ٩١

(٢) « دوحة الناشر » ، ص ٩٠ — ٩١

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وفي عصر عبد الله الغالب ـ خلف محمد الشيخ ـ أسند نفس الحطة بمدينة مراكش إلى محمد شقرون بن هبة الله الوجديجي التلمساني نزيل المغرب (١) وقد سلف ذكره مع سابقه .

ومن الأنظمة الإدارية التي لم تكن معروفة بالمغرب من قبل ، وضع العلامة أو الطابع بأعلى المراسيم ، وهي عادة قديمة في الدولة السعدية ، وعن عصر المنصور يفرق القشتالي (٢) بين موضوعات الكتب ذات العلامة ، والأخرى ذات الطابع ، وهو يقول في هذا عن مخدومه :

« . . . فتارة بيده الكريمة إن كانت الكتب أجوبة أو ظهائر ، وتارة بالطابع إن كانت مظالم أو براوات الأشغال والعطاء » .

ثم كان من التجديدات الإدارية التي عرفها المغرب أيام المنصور السعدي ، إحداث مؤسسة استشارية باسم « الديوان » ، وهذا ـ بدوره ـ تنظيم تركي ، عرفه المغربان في مجمع يضم ـ أصالة ـ شخصيات عسكرية ينضاف لها مستشارون مدنيون (٣) ويقول الإفراني (٤) عن الديوان المغربي :

---

(١) « المصدر » ، ص ٨٦

(٢) « مناهل الصفا » ص ٢٠٦

(٣) يقول ابن أبي دينار عن ترتيبات العثمانيين بتونس : « وجعلوا قوانين يتميزون بها ، وحذوا في أول أمرهم ـ في الأحكام ـ حذو ديوان الجزائر » ، « المؤنس » ، ص ١٧٩ . وجاء عند ابن أبي الضياف عن القائد التركي : سنان باشا : « ورتب أعياناً من أهل البلاد يحضرون في ديوان العسكر تألفاً لقلوبهم » اتحاف أهل الزمان ج ٢ ص ٢٧

(٤) « نزهة الحادي » ، ص ١٤٢

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

« كان المنصور .. مشاوراً في قوام الأمور ، وقد اتخذ يوم الأربعاء[١] للمشاورة وسماه يوم الديوان ، يجتمع فيه وجوه الدولة وأعيانها ، ويتطارحون فيه وجوه الرأي فيما ينوب من جلائل الأمور ، وعظائم النوازل » .

وقد استمرت هذه المؤسسة إلى ما بعد أيام المنصور ، حيث جاء عن إجراءات بيعة محمد الشيخ الدلائي بفاس ، أنها حضرها الجم الغفير من أهل الديوان[٢] ، وكان محمد بن الأشهب من أعضائه في هذا الوقت بالذات[٣].

* * *

وبعد هذه الاقتباسات التركية في حقل الإدارة ، تأتي تجديدات الدفاع المغربي ، ومن الجدير بالملاحظة أن المغرب سار في هذا الصدد على الاستفادة من خبرات المهاجرين الأندلسيين ، ومعرفة الأسرى الأعلاج ، واقتباس كثيراً من الأنظمة العسكرية العثمانية ، كما حافظ على المفيد من أساليب الدفاع الوطني القديم .

* * *

(١) جاء عند كل من ابن القاضي والقشتالي : أن الديوان المنصوري كان ينعقد أيام السبت والاثنين ، والأربعاء :

« مخطوطة المنتقى المقصور » أوائل الباب السابع . « مناهل الصفا » ، ص ٢٠٥

(٢) مخطوطة « البدور الضاوية » لأبي الربيع سليمان الحوات ، عند الفصل الأول من الباب السادس .

(٣) المصدر نفسه ، عند الفصل الخامس من الباب السابع .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقد كانت المفاجأة التي تفوّق بها البرتغاليون هي الأسلحة النارية الحديثة ، ولذلك صار لها الأسبقية في استعدادات المغاربة لمعارك التحرير .

ويرتقي أقدم نصّ معروف في هذا الاتجاه إلى أواخر أيام الوطاسيين : على عهد أبي العباس أحمد الوطاسي ، المتوفى عام ٩٦١ هـ / ١٥٥٣ م .

وقد أنشأ معملاً لصنع الأسلحة النارية بساحة القصر الملكي من فاس الجديد ، وصار يستخدم لإنتاج المدافع والبندقيات والبارود (١) .

وبعد هذا — أوائل أيام السعديين — كان في جيش عبد الله الغالب فرقة مدفعية قوامها جيوش جرارة من الأندلسيين المهاجرين قبل الجلاء الأخير (٢) .

ثم تكاثر هذا السلاح من بعد ، حتى إن حملة عسكرية صارت مجهزة بمائة وخمسين من الأنفاض (٣) عام ٩٨٣ هـ / ١٥٧٦ م ، وقد لا تكون هذه المدافع كلها من صنع محلي ، وإنما فيها مستوردات من الخارج .

واستكثر عبد الملك المعتصم من إنتاج هذه المدافع ، وكان عارفاً بصنعها ، وأشرف — بنفسه — على إعداد نحو ثمانية منها (٤) .

وبنى المنصور الذهبي معملاً جديداً لإنتاج الأسلحة النارية باسم « دار

---

(١) أرجوزة « عروسة المسائل » ص ٣٦ - ٣٧

(٢) « مناهل الصفا » ، ص ٤٢

(٣) « تاريخ الدولة السعدية » لمؤلف مجهول الاسم ، ص ٥١

(٤) محمد المنوني : « صناعة الأسلحة النارية بالمغرب » ، مجلة دعوة الحق السنة ١٣ ، العدد ٨ ، ص ٤٠ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

العدة » ، وكان مركزه بعقوبة من القصبة الملكية بمدينة مراكش ، ويقول القشتالي (١) عن وفرة منتجات هذا المعمل ومستورداته :

« وأما ما يفرغ - مع الأيام - من مدافع النار ومكاحلها بدار العدة المائلة قرب أبوابهم . . . إلى ما يجلب - مع الأحيان — على يد المعاهدين من تجار الحربيين : من السيوف الهندية ، والقسي الرومية ، والمكاحل النارية ، فشيء غصّت به الخزائن السلاحية ، والديار العادية » .

* * *

وإلى جانب هذا المعمل الجديد ، اهتم المنصور - مرة أخرى - بابتناء الأبراج لاستخدام المدافع ، وشيدت على وضع بدا فيه — واضحاً — تأثير الجاليات الوافدة من الأندلسيين والأعلاج ، وقد صارت هذه المشيدات يحمل الواحد منها اسم « بستيون » ، وهو تعبير إسباني عن الحصن .

وقد عرف المغرب من هذه الأبراج أربعة عشر موزعة بين أربع مدائن اثنان منها بمدينة العرائش ، وواحد بتازا ، واثنان خارج فاس العتيق على مقربة من بابي الفتوح والشريعة ، وقد كان هذا الأخير يعرف ببرج النار ، تدليلاً على مهمته المدفعية ، أما باقي الأبراج - وعددها تسعة - فقد أحاطت بأسوار فاس الجديد (٢) .

* * *

(١) « مناهل الصفا » ، ص ٢١٠

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٦٣ - ٢٦٥ ، مع المنتقى المنصور عنـــد الباب العشرين ، وهو الذي يحدد أبراج فاس الجديد بتسعة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وفي حقل تنظيم الجيش على طراز جديد ، نشير إلى أن عبد الملك المعتصم هو الذي تبنى هذه المبادرة ، وكان - قبل ولايته - زار الجزائر وتونس والاستانة ، وأعجب بترتيبات العثمانيين ، ولهذا عمد ، لما صارت الدولة له ، إلى تنظيم الجيش المغربي على الطراز العثماني ، وأسرف في هذا التقليد ، وحمل الناس عليه حملاً عنيفاً أثار معارضة شديدة .

غير أن أخاه أبا العباس المنصور ، استطاع التوفيق بين التقليد العثماني والحفاظ على المشاعر الوطنية ، فاختص الرؤساء العرب بالمشورة وقيادة فرق الفرسان ، وأسند إلى الأعلاج قيادة الفرق الأخرى للجيش البري (١) ، بينما جعل قيادة الأسطول إلى أميرال مغربي (٢) .

وباستثناء الأسطول فإن سائر أنظمة الجيش المنصوري صارت مقتبسة من العثمانيين : في ترتيب الجيش ، وألقاب الرتب ، وشكل اللباس ، وتنظيم المواكب .

كما أن لباس الملوك السعديين صار على الطراز العثماني ، ابتداء من عبد الملك المعتصم الذي جاء في ترجمته (٣) أنه كان يتزيّا بزي الأتراك .

ومن التقاليد العسكرية التي عرفها المغرب في عهد المنصور ، إطلاق

---

(١) « مناهل الصفا » ص ٢٠٠ - ٢٠١

(٢) المصدر نفسه ص ٢٠٤

(٣) « نزهة الحادي » ص ٧٠ ، وتلقيت - قديماً - من مؤرخ مغربي كبير أن الزي التركي استمر لباس سلاطين المغرب ، ولم يتغير إلى اللباس المغربي إلا من عهد السلطان العلوي أبي الربيع .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

المدافع عند المناسبات ، وفي هذا يقول القشتالي (١) عن وقع هذه المدافع في مدينتي فاس :

« وإذا استهلت رعودها في العيدين عند العود من المصلى ، ولورودِ بشارة عظمى ، فلا تسأل عن تزلزل الأرض ورجفانها ، ويمتد على البلدين ركام البارود كأنما هو ليل مطبق .. » .

* * *

وقد أحيا المغرب السعدي حركة الجهاد في البحر ابتداء من أيام المعتصم الذي يقول عنه مؤرخ مغربي (٢) : « وأمر بإنشاء الســـفن في العرائش وسلا ، وصار أهل الأندلس يسافرون في البحر مع أهل المغرب ، وضيقوا بالنصارى أشد تضييق . وكثرت الغنائم » .

وبعد هذا تدخل المنصور الذهبي وأعد الأسطول بمرسى رباط الفتح . ونوه بخطة أميرال البحر ، فأسندها لمغربي . أدال منه فيما بعد بقائد تركي يقول عنه القشـتالي (٣) : « ... فهو اليوم — قبطان الأسطول الإمامي الجهادي . ورئيس الجماعة من رؤساء المراكب الجهادية ، والقطائع البحرية » .

* * *

وننتقل — الآن — إلى الجو الثقافي لنحاول الكشف عن آفاق التجديد التي عرفها هذا القطاع على امتداد المغرب الكبير .

---

(١) « مناهل الصفا » ، ص ٢٦٤

(٢) « تاريخ الدولة السعدية » لمؤلف مجهول الاسم ، ص ٥٣

(٣) « مناهل الصفا » ص ٢٠٥

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ويلاحظ – في البداية – أن كلاً من الحكام العثمانيين والسعديين لم يبذلوا محاولات لتطوير التعليم .

وساوق هذه الظاهرة تبدل تلقائي في عدد من الكتب الدراسية ، لتحل محلها موضوعات حديثة التأليف طغى عليها أسلوب الاختصار طغيانه على عدد من المؤلفات الدراسية الأخرى .

ومن جهة أخرى فإن الحركة العلمية خمدت في تونس من بداية التدخل الإسباني إلى أوائل المائة الهجرية الحادية عشرة[1] ، بينما نزح عنها بعض الأعلام مضافاً لهم عدد وافر من أعلام الجزائر نزحوا عن المغرب الأوسط في مناسبات مختلفة ، وقصدت غالبية هؤلاء وأولئك مدينة فاس ، كما أن علماء السواحل المغربية المحتلة لجؤوا بدورهم إلى نفس المدينة .

وبهذه الهجرات – من هنا وهناك – انبثق نوع جديد من التلاقح الفكري على مستوى المغرب العربي ، وصارت مدينة فاس ملتقى لهذا التلاقح ، بينما استمرت عناصر علمية أصيلة تزدان بها مدن من الجزائر .

وفي إطار هذا كله عرف المغربان – في ميدان التعليم والتأليف – بارقة تجديد تلقائي ، ولو أنه محدود ، وخاضع لأسلوب الاختصار الذي صار طابع الثقافة الإسلامية في هذا العصر .

* * *

(١) جاء في التاريخ الباشي عن الحاضرة التونسية في هذه الفترة : « وقد كان العلم – لأول دولة الترك – قد ارتفع منها بالمرة » ، نقله – باختصار – في اتحاف أهل الزمان ج ٢ ص ١١

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وهكذا استجد بالمغرب الأقصى دراسة بعض العلوم العقلية ، بعدما وفد إلى فاس محمد بن خروف الأنصاري التونسي ، وكان بارعاً في المنطق والكلام وأصول الفقه والمعاني والبيـــان[١] ، والغالب أن الذي تجدد بالمغرب هو دراسة هذه المواد على طريقة المتأخرين .

كذلك انبعث في نفس الجهة دراسة الهندسة بفاس ومراكش ، وهنا نحيل إلى بحث منشور في هذا الصدد[٢] ، وإنما نشير إلى انبعاث تعليم الطب بالمغربين - معاً اعتماداً على ألفية ابن سينا ، وقد علق عليها - بتلمسان - محمد بن يوسف السنوسي شرحاً مات دون إكماله[٣] ، وأقرأها بفاس كل من عبد الرحمان سفين العاصمي[٤] ، وعبد الوهاب

(١) يقول عنه أبو حامد محمد العربي الفاسي : « الشيخ الإمام ، وحيد عصره بالمغرب في الأصلين ، والبيان ، والمنطق ، أبو عبـــد الله محمد بن أبي الفضل خروف التونسي ، وكان قد قرأ في تونس ومصر وغيرهما ... وأقام بفاس تقرأ عليه تلك العلوم ، فهو مجدد سند تعليمها بالمغرب ، وعنه أخذت على الحقيقة » « مرآة المحاسن » ص ٩

(٢) انظر : محمد المنوني : أساتذة الهندسة ومؤلفوها في المغرب السعدي » مجلة « دعوة الحق » : السنة التاسعة ، العدد الثاني ، ص ١٠١ - ١٠٤

(٣) أحمد بابا التنبكتي عند ترجمة السنوسي من « نيل الابتهاج » ، المنشور بهامش الديباج المذهب لابن فرحـون ، مطبعة المعاهد بالقاهرة عام ١٣٥١ هـ ص ٣٢٥ - ٣٢٩

(٤) جاء عنه أنه كان يشارك في الطب ويحسن ألفية ابن سينا ، حسب =



هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الزقاق [١] ، وعبد الواحد بن عاشر [٢] ، وبفـــارة : عبد الوارث بن عبد الله اليلصوتي [٣] .

---

= مخطوطتي : فهرسي المنجور : الكبرى والصغرى ، ونقل أحمد بابا التنبكتي عن نسخة ثالثة من فهرس المنجور : « يقرىء ألفية ابن سينا » « نيل الابتهاج » ص١٧٧

(١) شرح أرجوزة طبية لناظمها القائد عبد الكريم بن مؤمن بن يحيى العلج ، خ ، ع ، ج ١٦٢ ، وهو يذكر في مدخلها أنه قرأ جل أرجوزة ابن سينا على أستاذه عبد الوهاب الزقاق .

ومن الجدير بالإشارة أن المؤلف يذكر اختصاصه بالسلطان السعدي عبد الله الغالب ، وقد ورد ذكره ـ عرضاً ـ في « مناهل الصفا » بوصف حاجب نفس السلطان ، ص ٢١٢ ، وعده في نزهة الحادي ص ٥١ من وزرائه مع وسمه بالجنوي ومثله في « الاستقصا » ج ٥ ص ٥٧

(٢) محمد ميارة : في ترجمة أستاذه ابن عاشر ، من مخطوط « نظم اللآلي والدرر ، في اختصار مقدمة ابن حجر » ، خ . ع ك ٩٣١ : عند الفصل الأول .

(٣) « دوحة الناشر » ص ٦ ، ووقع في نسبه من « الدوحة » المطبوعة : اليصلوتي بتقديم الصاد على اللام ، وهو تحريف عن اليالصوتي بتقديم اللام ، نسبة إلى يلصو بفتح أوله وسكون ثانية وضم الصاد ، ويقال إنه ابن محمد بن أبان ابن الخليفة عثمان بن عفان ( رض ) ، كما يذكر أنه دخل المغرب عام ٩٠ هـ حيث نزل بقبيلة بني زروال من قبيل الأخماس ، قال أبو الربيع سليمان الحوات : واتخذها داره حتى لقي الله ، وبقي بها أعقابه ، وهم ـ إلى اليوم ـ منتشرون ، وقبره فيها مزارة كبرى على مرحلتين من شفشاون ... وعوام تلك الناحية يقولون له يارزو » .

قال في « دوحة الناشر » عن نسب الشيخ عبد الوارث الذي نعلق عليه : =

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ومن أواخر هذه الفترة بدأت مدارس الزوايا الصوفية في الظهور ، في مناهج تعتمد المواد الدينية والعربية ، مع تكوين أخلاقي رفيع ، وكان أول ما عرف منها بالمغرب الأقصى مدرسة تستاوت الملحقة بزاوية الشيخ محمد بن مبارك الزعري[1] عند عمالة خنيفرة ، ثم تتابع ظهور هذه المدارس بالأطلس المغربي على امتداد أقسامه ، وفي الصحراء وفاس .

* * *

وقد بدأت حركة التأليف تنتظم - أكثر - بالمغرب ، وفي الميدان الفقهي عرفت مدينة فاس نهضة جديدة تهدف إلى لون من فلسفة الفقه المالكي : باستنباط أصول مسائل الخلاف ، واستنتاج قواعد المذهب ، ومقارنة مسائله ، مع مراعاة تطورات المجتمع المغربي انطلاقاً من المـــائة الهجرية التاسعة .

---

= « ويقال إن يالصو هذا جده هو يلصو بن عبد الله بن أبان بن عثمان بن عفان رضي الله عنه » ، وقد عقب أبو الربيع الحوات على هذه الفقرة وقال : « وهو خطأ صراح » ، إذ ليس في بني أبان بن عثمان من اسمه عبد الله .

انظر عن يالصو هذا مخطوطتي :

« سنا المهتدي » لعلي مصباح الزرويلي : عند خاتمة الكتاب .

مع « الروضة المقصودة » لأبي الربيع سليمان الحوات : عند الباب السابع ، لدى ترجمة محمد بن سعادة الخمسي .

(١) هناك إشارة لهذه المدرسة وتسمية زمرة من طلابها الذين بلغ عددهم ألف طالب ، حيث ورد ذلك بتقييد لمؤلف مجهول الاسم في الترجمة المباركية ، حسب نسخة مخطوطة منه في المكتبة الملكية برقم ٧٢٦

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقد ساهم في خدمة هذا الاتجاه مجموعة من أكابر الفقهاء المشترعين : أبو الحسن الزقاق ناظم أرجوزة « المنهج المنتخب إلى قواعد المذهب »(١) .

ثم أبو العباس أحمد الونشريسي التلمساني نزيل فاس ، مؤلف كتب « المعيار » و « إيضاح المسالك إلى قواعد الامام مالك » ، مع « عـــدة الفروق » في تلخيص مافي المذهب من الجموع والفروق(٢) .

وألف محمد بن أحمد بن غازي « كليات المسائل الجـــارية عليها الأحكام »(٣) .

وعمد عبد الواحد الونشريسي إلى « نظم كتاب إيضاح المسالك » لوالده نظماً مستوعباً مع إضافة زيادات موضوعية ، وله — سوى هذا — نظم كثير من نظائر المذهب وكثير من مسائله(٤) .

---

(١) نشر بالمطبعة الحجرية الفاسية ضمن شرحه للمنجور .

(٢) أول هذه المؤلفات وثالثها منشوران بالمطبعة الحجرية الفاسية ، والثاني مخطوط في نسخ متعددة ، منها واحدة عتيقة متلاشية ، غير أنها مذيلة بثلاثة تقاريظ ، آخرها لمحمد بن عبد الرحيم بن يحْبَش التازي ، وهي بالمكتبة الملكية رقم ٨٥٢٢ ، وهناك نسخة بخزانة وزان رابعة ، مجموع رقم ٦٨٠ ، ومن المقرظين عليها : عبد الرحمن ابن محمد الجذامي الشهير بالبردعي ، وأحمد الغرناطي الشهير بالأندلسي ، وابن يحبيش آنف الذكر ، وأحمد بن محمد الحباك ، وعبد الواحد الونشريسي ابن المؤلف ، وأخيراً أحمد العبسي .

(٣) نشر الموجود منها بالمطبعة الحجرية الفاسية .

(٤) « فهرس المنجور » عند ترجمة أستاذه الونشريسي ، ونظمه المشار له =

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ووضع أبو العباس المنجور « شرحاً على أرجوزة المنهـج المنتخب » المزقاق ، كما « شرح نظم أستاذه عبد الواحد الونشريسي لكتاب « إيضاح المسالك[1] » .

وأخيراً : أبو الحسن علي بن عبد الواحد الأنصاري السجلماسي نزيل الجزائر ، وهو ناظم « أرجوزة اليواقيت الثمينة ، في العقائد والأشباه والنظائر في فقه عالم المدينة[2] » .

وقد انبثق عن هذا المجهود الفكري ظهور تشريعات فقهية تسـاير

---

= لايزال مخطوطاً ، ومنه نسخة بالمكتبة الملكية رقم ٦١٥٥ ، وهي مذيلة بتقريظ عليها ، نظمه - في بحر الرجز - تلميذ المؤلف ومعلم أولاده : عبد الرحمن الكولالي والد أبي سالم إبراهيم الكولالي الفقيه النوازلي المعروف .

(١) علم من التعليق رقم ٣ في الصفحة السابقة : أن شرح المنجور للمنهج المنتخب منشور ، أما المؤلف الثاني فلا يعرف عنه سوى ذكره عند ترجمة الونشريسي من فهرس الشارح حيث يذكر أن الشرح لايزال لم يخرج من مبيضته .

(٢) هكذا ورد اسم المنظومة في ترجمة موجزها عند المحبي في « خلاصة الأثر » : المطبعة الوهبية بالقاهرة ، ج ٣ ص ١٧٣ - ١٧٤ ، غير أن الأرجوزة حددت عنوانها ، في الأبيات الختامية : « باليواقيت الثمينة ، فيما انتمى لعالم المدينة » ، وقد فرغ من نظمها بمدينة الرباط ، بتاريخ الجمعة من صفر عام ١٠٣٩ هـ .

لاتزال هذه المنظومة مخطوطة في نسخ قليلة خاصة أو عامة ، ومنها واحدة بخط جزائري - أول مجموع ، خ ، ع ، ك ١١٦٧ ، ويوجد شرحها بالخزانة نفسها لمحمد بن أبي القاسم السجلماسي - بخط مغربي - ، آخر مجمـوع يحمل رقم ك ١١٨٤ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

التطور المغربي في ميادين الأحوال الشخصية والمعاملات ، وهي المسائل التي صارت تعرف بالعمل الفاسي ، حيث ألم بنبذة منها أبو الحسن الزقاق أواخر منظومته « الزقاقية » في المسطرة القضائية ، ثم توسعت مسائل هذه العمليات ، لتظهر مجموعتها في فترة لاحقة ، منظومة في أرجوزة العمل الفاسي ، لأبي زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي [١] .

وقد ازدهرت في الحقبة التي نعرضها كتابة التراجم انطلاقاً من :

« النجم الثاقب فيما للأولياء من المناقب » لمحمد بن صعد التلمساني [٢] .

و « دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر » لمحمد بن عسكر الشفشاوني [٣] .

و « البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان » ، لمحمد بن مريم التلمساني [٤] .

و « جذوة الاقتباس ، فيمن حل من الأعلام مدينة فاس » ، مع

---

(١) تكرر نشرها هي واللامية الزقاقية بالمطبعة الحجرية والسلكية : منفردتين ومشروحتين .

ونستدرك هنا فنشير إلى أن ظاهرة جمع القواعد في هذه الفترة ، استخدمها أبو العباس أحمد زروق في تأليف رسالته التي تحمل اسم « القواعد » ، غير أن هذه تناولت التصوف وأصوله ، في ٢١٧ قاعدة منشورة بالمطبعة العلمية بمصر عام ١٣١٨هـ

(٢) لايزال مخطوطاً في نسخ قليلة ، منها واحدة في مجلد بالمكتبة الملكية رقم ٢٤٩١

(٣) نشرت - مرتين - بالمطبعة الحجرية الفاسية .

(٤) منشور في المطبعة الثعالبية بالجزائر .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

« درة الحجال في أسماء الرجال » : الاثنتان لأبي العباس ابن القاضي الفاسي .

و « أزهار الرياض » و « نفح الطيب » مع « روضة الأزهار العاطرة الأنفاس ، في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين : مراكش وفاس » : الثلاثة لأبي العباس المقري التلمساني نزيل فاس (١) .

هذا فضلاً عن فهارس الأشياخ والتراجم الشخصية .

وقد كان أشهر طبيب مؤلف في هذه الفترة هو أبو القاسم الوزير الغساني الفاسي ، ويقول عنه الدكتور الفرنسي رينو : « إنه عقلية مستثناة بالنسبة إلى عصره والجو الذي عاش فيه ، وينبغي الحكم على عمله بموازنته مع الكتب العديدة في مادة الطب لمؤلفين آخرين من العرب » (٢) .

وقد كان من مظاهر النشاط الثقافي في الحقبة ذاتها ، بعث حركة التعريب بكل من المغرب وتونس ، محاولة للاستفادة من معطيات الانبعاث بأوروبا ، وإسهاماً في بوادر النهضة الحديثة ، وصارت هذه الظاهرة — بالمغرب الأقصى — من اهتمامات كل من المنصور السعدي وابنه زيدان .

ففي أيام المنصور قام أبو القاسم الوزير الغساني الفاسي بترجمة مؤلف إلى العربية ، وأعطى الترجمة اسم « مغني اللبيب عن كتب أعداء

---

(١) هذه المؤلفات الخمسة كلها منشورة ، وأكثرها تكرر طبعه .

(٢) كتاب ( العلم عند العرب ) تأليف المستشرق الايطالي الدوميلي : الترجمة العربية المنشورة في مطابع دار القلم بالقاهرة ، ص ٤١٨

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الحبيب » ، ولم يوضح المصدر المعني بالأمر موضوع الكتاب المعرب ، ولا يبعد أن يكون في الطب أو الصيدلة .

وقد أنجزت — في نفس العصر — ترجمة أخرى تناولت مؤلفاً طبياً بمباشرة أبي العباس أحمد بن أحمد بن الحسن المسفيوي المراكشي [١] .

وجاء عن زيدان : أن أسيراً إيرلاندياً يحمل اسم أنطوان ، كان يترجم — برسمه — الكتب اللاتينية إلى القشتالية ، وعن هذه اللغة ينقلها بعض الأعلاج إلى العربية [٢] .

ولا يبعد أن تكون هذه نفس الطريقة التي تمت — بواسطتها — الترجمتان الواقعتان على عهد المنصور ، حيث أشير لهما وشيكاً .

وقد كان في بلاط زيدان مترجم من مهاجري الأندلس : شهاب الدين أحمد بن قاسم بن أحمد الحجري الملقب بأفوفاي ، وبعد وفاة مخدومه قام بالمهمة نفسها لدى ولديه : ( عبد الملك الثاني ثم الوليد ) .

---

(١) انظر محمد المنوني : « ظاهرة تعريبية في المغرب السعدي » مجلة « اللسان العربي » : العدد الأول ، ص ٥٣ - ٥٥

وهناك نشرة ثانية مزيدة للدراسة نفسها : في صحيفة « معهد الدراسات الإسلامية في مدريد » : المجلدان ١١ ، ١٢ سنة ١٩٦٣ - ١٩٦٤م ، ص ٣٢٩ - ٣٥٨

ونشرة ثالثة مزيدة أكثر في مجلة « دعوة الحق » : السنة العاشرة ، العدد الثالث ، ٧٤ — ٩١

(٢) Gaston Deverdun ( Marrakech des origines à 1912 ) Editions techniques Nord — Africaines — 1959 — I Texte — Page 434 .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

والظاهر أن من مترجمات الشهاب الحجري بالمغرب ، تعريب رسالة الزيج الذي وضعه — في تعديل الكواكب — إبراهيم زاكوط اليهودي الأندلسي السلمنكي ، وكان هذا كتب رسالته بالعبرانية ، ثم نقلها — بمدينة مراكش — إلى القشتالية تلميذ المؤلف : المعلم يوسف الأندلسي ، وعن هذه اللغة ترجمها الحجري إلى العربية .

وبعدما أقام هذا الأخير بالمغرب أكثر من ٣٨ عاماً انتقل إلى حاضرة تونس ، حيث أنجز — بها — ترجمة أخرى بعنوان : « كتاب العز والمنافع للمجاهدين بالمدافع » ، وكان الأصل المعرب — عن القشتالية — ألفه — في فن المدفعية الحديثة — مهاجر أندلسي إلى تونس : إبراهيم غانم بن أحمد غانم الأندلسي ، المعروف — بالإسبانية — بلقب الرباش [1] .

وهكذا : سيكون « كتاب العز والمنافع » رابع المعربات في

---

(١) انظر محمد المنوني : « ظاهرة تعريبية في المغرب السعدي » ، ص ٥٥ - ٦٣ من نشرة مجلة « اللسان العربي » المشار لها وشيكاً ، وقد ورد بهذا المصدر الاشارة إلى النسخة الوحيدة التي كانت معروفة من الزيج الزاكوطي ، وهي بالمكتبة الملكية رقم ١٤٣٣ ، ثم ظهر بالمكتبة نفسها نسخة ثانية من هذا الزيج برسالته وجداوله ، في سفر مستقل صار يحمل رقم ٨١٨٤ ، وجاء في آخر الرسالة في تعابير ضعيفة هكذا:

« تمت الرسالة للجداول ، ترجمة من عبراني إلى لغة اللتين في لسان رمنص ، وهي اللغة العجمية المتصرفة في بلاد اسبانية ، وهي بلاد الأندلس . على يد المعلم يوشب ( يوسف ) تلميذ المؤلف للجداول ، وترجمها — من اللسان الرمنص — عبد الله وأسير ذنبه ، الراجي عفو ربه : قاسم بن أحمد ابن الفقيه قاسم بن الشيخ ، الحجري الأندلوسي كان الله له بمنه ، آمين » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الفترة التي نعرضها ، ولحسن الحظ فإن هذه الترجمة مع تعريب الرسالة الزاكوطية ، استمرا معروفين في عداد المخطوطات ، بينما نجهل - الآن - مصير الترجمتين الواقعتين في عهد المنصور الذهبي .

* * *

ونتابع الآن عرض معطيات الجو الثقافي الجديد ، ونشير إلى أن وضع الاحتلال بالمغرب الكبير ، أتاح الظهور لمحاولات تهدف إلى إصلاح الحالة الاجتماعية ، عن طريق أوضاع نثرية أو شعرية ، فكان هناك من يتناول الدعوة إلى الجهاد لتحرير البلاد ، بينما يربط آخرون واقع المغرب بتفاقم البدع ، أو بالانحلال العقائدي أو الخلقي .

* * *

وفي صدد الذين تناولوا الدعوة للجهاد يقول الناصري (١) بمناسبة حديثه عن فترة الغزو الأجنبي بالمغرب الأقصى ، ويبرز انبعاث أدب المقاومة الوطنية :

« . . . ولقد ألف الناس في ذلك العصر التآليف في الحض على الجهاد والترغيب فيه ، وقال الخطباء والوعاظ في ذلك فأكثروا ، ونظم الشعراء والأدباء فيه ونثروا .

فممن ألف في ذلك الباب فأفاد ، الشيخ ، المتفنن ، البارع ، الصوفي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحيم بن عجيش التازي ، قال في « الدوحة » وقفت له على تأليف ألفه في الحض على الجهاد في سبيل الله ، فكان مما

(١) « الاستقصا » ، ج ٤ ص ١١٢

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ينبغي أن يتناول باليدين ، ويكتب — دون المراد — باللجين ، أودعه نظماً ونثراً .

وممن نظم في ذلك فأجاد : الشيخ ، الصالح ، المتصوف ، المجاهد : أبو عبد الله محمد بن يحيى البهلولي ، قال في « الدوحة » : كان هذا الشيخ ممن لازم باب الجهاد وفتح له فيه ، وله في ذلك أشعار وقصائد : زجليات وغيرها » .

والتأليف الذي أشار له الناصري لا يزال مخطوطاً في نسختين :(خاصة) يتخللها بتر ، والثانية ضمن مجموع رقم ق ٣٣٦ في الخزانة العامة بالرباط ، وهو يحمل اسم « تنبيه الهمم العالية ، على الصدقة والانتصار للملة الزاكية وقمع الشرذمة الطاغية » .

أما أشعار البهلولي فلا يزال مجموعها غير معروف ، وأثبت في«دوحة الناشر » مطالع ثلاث قصائد منها : ثنتان زجليتان ، والثالثة معربة .

* * *

وإلى جانب الدعوة للجهاد اهتم أبو العباس أحمد زروق الفاسي بنقد بدع التصوف وبالخصوص في كتابيه :

« عدة المريد الصادق من أسباب المقت ، في بيان الطريق القصد وذكر حوادث الوقت » وهو مخطوط متداول .

مع « النصح الأنفع والجنة ، للمعتصم من البدع بالسنة » ، أشار له السوداني (١) .

---

(١) « نيل الابتهاج » ص ٨٥ ، والغالب أن النصح الأنفع عنوان ثان لكتاب عدة المريد . وهكذا جاء عنوان العدة في مخطوطين اثنين : خ . ع . ق : رقم ٧١٠ آخر مجموع ، مع رقم ١٠٤٥ أول مجموع .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وكان لاتجاه الإمام زروق تجاوب - أكثر - بالمغرب الأوسط ، فوضع أبو حفص عمر بن محمد الكماد الأنصاري القسنطيني الشهير بالوزان كتاباً في الرد على الشابيين بالقيروان (١) ، مع العلم بأن المؤلف من الآخذين عن الشيخ طاهر الزواوي تلميذ الشيخ زروق (٢) .

كما أن عبد الرحمن الأخضري نظم الأرجوزة « القدسية » ، في التصوف السني والتحذير من البدع ؛ ووالد ناظمها : الصغير بن محمد الأخضري تلميذ مباشر لزروق (٣) .

وستأتي هذه الأرجوزة رابعة المؤلفات التي تناولت بدعاً خاصة ، ونذكر بعدها موضوع أبي محمد عبد الله الهبطي (٤) ، غير أن هذا اهتم

---

(١) « فهرس المنجور » عند ترجمة أستاذه اليسيتني ، مع « درة الحجال » رقم ١١٨٤

(٢) انظر ترجمة الزواوي في « نيل الابتهاج » ص ١٣٠ ، وعند ابن مريم في البستان ص ١١٦

(٣) انظر المهدي البوعبدلي : « الحياة الفكرية ببجاية في عهد الدولتين : الحفصية والتركية وآثارها ، مجلة « الأصالة » ، السنة الرابعة ، العدد ١٩ ، ص ١٤٤ - ١٤٥ ، وقد أشار إلى أن الأرجوزة نشرت ناقصة ضمن « مجموعة الرسائل المنيرية » عام ١٣٤٦ هـ ، غير أنها ليست واردة بالمجموعة المشار لها .

وقد نوه بالأرجوزة الأخضرية أبو العباس الطالب أحمد بن طوير الجنة الوداني ، واقتبس منها ٢٥ بيتاً في شروط الذكر وما إليه ، حسب رسالته : « فيض المنان في الرد على مبتدعة هذا الزمان » ، مخطوطة المكتبة الملكية رقم ٤٠٦

(٤) ترجمته في « دوحة الناشر » ص ٦ - ١٣ ، ولولده محمد بن عبد الله الهبطي « أرجوزة » مطولة في ترجمة والده وأسماء عيون أصحابه ، ولا تزال مخطوطة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

بالبدع بصفة عامة في أرجوزته المطولة التي تحمل اسم : « الألفية السنية ، في تنبيه العامة والخاصة على ما غيروا في الملة الإسلامية » ، وهو ينقد فيها المجتمع المغربي على سائر المستويات ؛ ولا تزال مخطوطة .

وبالإضافة إلى هذه الألفية خلف المؤلف نفسه منظومـــات صغيرة ورسائل في التحذير من بدع جبال غمارة ، وقد كان موقعهـا في مجاورة منطقة المد البرتغالي ، ولا شك أن هـذا الجوار للمحتل صار له تأثير في وفرة الدعاة بهذه الجهات ، من أقران أبي محمد عبد الله الهبطي وتلاميذه الذين نهجوا طريقته ـ نظماً ونثراً ـ في نقد الابتداع ، وكان منهم :

أبو البقاء عبد الوارث اليلصوتي (١) . وأبو حفص عمر بن عبد الوهاب الحسني العلمي (٢) وأبو الربيع سليمان الحاج المولي الزجلي (٣) . وأبو القاسم

---

(١) ترجمته في دوحة الناشر ص ٥ ـ ٦ ، وقد أثبت له أبو العباس أحمد بن عرضون ـ آتي الذكر ـ قصيدة زجلية مطولة ضد جملة من مبتدعات قبيله ، حسب « مختصر مقنع المحتاج في آداب الأزواج » ، ط. ف. ص ٢٦ ـ ٣١

وللشيخ عبد الوارث هذا رسالة لاتزال مخطوطة باسم « المسلك القريب الموصل إلى حضرة الحبيب » ، وهو يحمل في مواضع منها على الانحراف الصوفي ، في لهجة قوية يبدو أنها موجهة ضد ابتداع الطائفة اليوسفية سابقة الذكر عند التعليق رقم ٢ ص ٨٣٣

(٢) ترجمته في « ممتع الأسماع » : الملزمة ١٠ ص ٧ ـ ٨ ، حيث يقول عنه : « وكان متين الدين ، صلباً في الحق ، قوالاً به ، لايخاف ـ في الله ـ لومة لائم » .

(٣) له قصيدة في جملة من محدثات قبيله ، أشار لها ابن عرضون في مقنع المحتاج المخطوط ، وفي مختصره المنشور بالمطبعة الحجرية الفاسية ، ص ٣١

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ابن علي بن خجو الحســـاني [١] . وأبو العباس أحمد بن الحسن بن عرضون الزجلي [٢] .

* * *

وعلى امتداد المغرب الكبير ظهر ـ خلال الفترة ذاتها ـ استعمال التبغ : بالتدخين أو النشوق ، وكانت مناسبة لظهور أوضاع في الدعوة لرفض هذا الوافد ، فحظره الفقهاء المعنيون بالأمر ، ومن بينهم أبو العباس المقري التلمساني ، وأبو زيد عبد الرحمن بن محمد الفاسي [٣] ، وأبرز هذا الأخير ـ في فتواه ـ عواقب استهلاك التبغ على العملة الوطنية حسب الفقرة التالية .

---

(١) يصفه ابن عسكر عند ترجمته بناصر السنة ومميت البدعـــة ، حسب « دوحـــة الناشر » ص ١٣ ، ويقول عنه ابن عرضون في « مقنع المحتاج » : « ورسائله في هذا المعنى ـ من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ لاتحصى كثرة » هذا بالاضافة إلى ماسجله في شرحه لترجيز مسائل ابن جماعة في البيوع ، حيث نبه على محدثات قبيله ، وشنع على مبتدعاتهم .

(٢) هو مؤلف كتاب : « مقنع المحتاج في أدب الأزواج » الذي يقع في مجلد كبير ، ولا يزال مخطوطاً في نسخ محدودة ، ثم استخرج منه مؤلفه مختصراً نشر بالمطبعة الحجرية الفاسية في ١٢٠ ص ، وقد تبينا من الإحالات على المؤلفين ضمن التعليقات القريبة نماذج من مناهضة ابن عرضون للبدع المنتشرة بين قبيله .

(٣) نقل محمد ميارة نص الفتويين ـ معاً ـ من خط صاحبيهما ، وأثبتهما في شرح نظم تكميل المنهج : ط ، ف : الملزمة السادسة ص ٨ ، مـــع كامل الملزمتين السابعة والثامنة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

. . . . . .

= ومن الجدير بالإشارة أن جواب أبي زيد بن محمد الفاسي ، نشر — بالمطبعة الحجرية الفاسية — في صفحتين من ورقة واحدة ، غير أنه جاء منسوباً لأبي زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي ، وهو سهو واضح من الناشر ، حيث تبينا أن الجواب منقول من خط صاحبه مباشرة ، وناقله تلميذ للمجيب ، وليس تلميذاً لأبي زيد بن عبد القادر ، وإنما هذا من الآخذين عن ميارة ، حسب ترجمته في طالعه شرح العميري للعمليات الفاسية .

وبعد هذا نوضح أن جواب أبي زيد الفاسي جاء للرد على سؤال في الموضوع ، بعث به — من تطوان إلى فاس — ابن أخي المجيب : أبو حامد محمد العربي الفاسي ، وصاغه في أسلوب مطول استوعب أربع صفحات من الحجم الكبير ، وهذا السؤال هو الذي يسميه الإفراني بـ « سهم الإصابة في حكم طابة » ، حسب ترجمة محرره من « صفوة من انتشر » ، ص ٧١

ونعقب — الآن — بكلام في الاتجاه ذاته ، ورد في جواب لأبي سالم ابراهيم الكلالي ونصه بطوله :

« ... وأما ما يفعله سفلة التجار من سفرهم الاقتصادي إلى أرض الحرب ، والدخول تحت حكمهم ، ونقل ذخائر المسلمين من النقود الجيدة وغيرها من أنواع مايستعينون به ويتقوون على المسلمين بسببه ، فلا يحتاج إلى جلب نص على منع ذلك وتحريمه لشهرة ذلك في كل ديوان ، بل مما شاع وذاع عندهم خسيسة قذرة تستدّ من مجرد سماعها الآذان ، وتطيش من فضيحتها العقول والأذهان ، وهي إعمال السفر لبلادهم ، والدخول تحت قهرهم وحكمهم ، بالنقود الجيدة : الذهب الخالص ، والفضة الخالصة ، وأنواع السلاح وما يؤول إليه ، ودفع ذلك في أعشاب الأرض يسمونه بالنار والدخان ، فهي رزية وما أعظمها ، وبلية وما أخسها ، ومحنة عظيمـــة ولا خالد بن الوليد لها . =

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

« . . . ولو نظر إلى ما عرض فيها من إضاعة المال كما هو صورة الواقع لكان صحيحاً وجلياً ، فقد تطوق من ذلك ضرر الإسلام وذويه ، ونفع لأهل الكفر ، بحيث اختصوا بالجيد من سكة الإسلام ، بل واستبدّوا بالكثير من أموال المسلمين ، وفي ذلك ضرر عام يفضي إلى توهين الإسلام وفلّ حدّه ، باستفراغ جلّ ما بأيديهم من عين الذهب والفضة ، وتقوية الكفرة بمثل ما يدهم بما لا ينقص شيئاً من منافعهم وأقواتهم وذخائرهم ، ولا

---

= ومن أغرب ماحدثني به بعض الثقات من أصحابنا التجار ، بعد أن سألته عن الذهب الجيد الذي كان يتبايع به المسلمون ، وأين ذهب ، وهل هو باق عند الناس في ذخائرهم ، وأين صار ؟ فقال لي : إن التاجر لايختزن الدينار ولا الدرهم لعدم انتفاعه بفضل ذلك ، وإنما يختزن مايكون له فيه ربح . فقلت له فأين ذهب ذهب المغرب كله ، قال لي : عند النصارى دمرهم الله في سلعة الدخان المشوم ، فاستغربت ذلك من قوله ، فقال لي : أحدثك بالواقع لي ، وذلك أني سافرت إلى مدينة سبتة ، أعادها الله دار إسلام ، فأقمت بها قريباً من عشرين يوماً أنتظر سلعة الهند ، لعلي أجد ما أشتري ، فلم أجد شيئاً ، فبينما نحن في انتظار مايظهر من أغراضي ، فإذا بسفن قدمت من عدوة النصارى ، ففرحت ، فلما أرست لم نجد فيها عدا الدخان ، فما كان من صبيحة الغد ، حتى كانت كلها موزونة على ذمة مشتر ، فيها خمس عشرة مائة قنطار ، لم يدفع في ثمنها إلا الذهب الجيد ، وبقيت بعد ذلك من خمسة عشر يوماً مقيماً أنتظر ما نشتري ، فقضيت بعض أغراضي ولم أستكملها بذلة ومهانة ، ورجعت لثغر تطوان فوجدت دخانها كلها قد نفد ، وصار إلى من سخط الله عليه ، فنفدت نقود المسلمين كلها في دخان لا أصل له ولا حقيقة ، ولا منفعة حسية ولا معنوية ، ولا متكلم ولا نكير ، فإنا لله وإنا إليه راجعون » نقله التسولي في « نوازله » ، أثناء باب الجهاد وملحقاته ، مخطوطة المكتبة الملكية ضمن المجموعة الزيدانية رقم ٧٩٨ ، ج ١ ص ١٩٤-١٩٥

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

من عدتهم وعددهم ، وقد منع الشرع من جلب المنافع إليهم من طعام وشمع ، وأحرى السلاح ، وأيّ سلاح أقوى من الذهب والفضة .

فصار مدارها ومآل أمرها إلى إنجاد الكفرة ، وإقعاد المسلمين عن الدفاع ، وأي مفسدة فوق هذا .

على أنه عاد من ذلك ضرر وحرج في السكة يعرفه أهل المعاملات ، وكفى بذلك كله مانعاً » .

ولاعطاء تحريم التبغ صبغته الرسمية ، حكم به قاضي فاس ، وسجل الحكم عليه بذلك ، واستناداً لهذا أمر المنصور السعدي بإحراق المتداول منها لدى الباعة ، فأحرقت بديوان فاس الجديد[1] .

ونشير — الآن — إلى عالم جزائري كتب في موضوع تحريم الدخان في فترة لاحقة ، وهو عبد الكريم بن محمد الفكون القسنطيني ، وقد ألف جزءاً سماه : « محدّد السنان في نحور إخوان الدخان »[2] ،

---

(١) من جواب مخطوط في نفس الموضوع ، لشيخ الجماعة بفاس : أبي العباس أحمد بن الخياط الزكاري الحسني الفاسي ، مع « النوازل الوزانية الصغرى » ، ط . ف ، ج ١ ص ٢٧٦ ، وديوان فاس الجديد الوارد في الفقرة التي نعلق عليها ، جاء ذكره — أيضاً — في نوازل الشريف العلمي ، ط ، ف ، ١٣٣٢ هـ ، الملزمة ٣٣ ص ٤ ، وهو يورده بتعبير مفسر هكذا : « ... ديوان النصاري كان هؤلاء هم الذين كانوا يتاجرون باستيراد التبغ وبيعه في فاس وغيرها من جهات المغرب » .

(٢) ترجمته في « شجرة النور الزكية » رقم ١٢٠٣



هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ثم لخص منه أبو سالم العياشي [١] ، وكان مما ورد في تخليصه في سياق ذكر المؤلف .

« . . . ثم نقل كلاماً في تحريمه لصاحبه الأستاذ أبي عبد الله محمد السوسي المغربي المتوفى بالجزائر سنة ثلاث وعشرين بعد الألف . . ونقل ما استحضره من كلام جمال الدين مفتي القيروان ، ثم نقل أجوبة في تحريمه منظومة لبعض الفاسيين » .

وفي إطار حركة الإصلاح الاجتماعي الذي نتابع عرضه ، اتجه مفكرون - من المغربين - إلى تجديد الدعوة لتوعية الجماهير - رجالاً ونساء - بالتعريف بالعقيدة الإسلامية ، ولاشك أن هذا جاء في موازارة حركة التبشير المسيحي الذي يواكب الغزو البرتغالي والإسباني [٢] .

وتبنّى هذه الدعوة العقائدية بالجزائر : محمد بن يوسف السنوسي في أوضاعه الكلامية التي أضاف لها البراهين السمعية والعقلية ، حتى يتسلح الموحدون بما يدحضون به شبه الإنكار على عقائدهم .

---

(١) « الرحلة العياشية » ط ، ف ، ج ٢ ص ٣٩٦ - ٤٠٠

وتوجد نسخة كاملة من « محدد السنان » بالمكتبة الملكية أول مجموع رقم : ٦٩٢٩ ، بخط محمد بن عبد الرحمان الحسني التادلي ، كتبه بمدينة طرابلس الغرب سنة رجوعه من الحج الفرض ، وفرغ منه يوم الأحد ٢٧ رمضان عام ١١٧٨ هـ ، نقله من نسخة بها تصحيف وتحريف في بعض مواضعها ، وأيضاً يتخلل المنتسخ بياض في صفحة كاملة منه .

(٢) انظر « تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها » ، تأليف الدكتور شوقي الجمل ، المطبعة الفنية الحديثة بالقاهرة ، ص ١٢١ - ١٢٤

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وبالمغرب الأقصى انتدب للاتجاه ذاته عبد الله الهبطي ، وألف بدوره عقائد مبسطة في مستوى الجماهير من الرجال والنساء والصبيان ، ويقول عنه في « دوحة الناشر »(١) : « وكان كثيراً ما يحض على فهم مدلول الشهادتين بل اتخذ ذلك هجيراً وديدناً لما رأى من استيلاء الجهل على الخلق ، وألف في علم الهيلـلة أجزاء كثيرة ، أكبرها جرماً وأكثرها فائدة : كتاب « الإشادة بمعرفة مدلول كلمة الشهادة » .

واحتذى حذو الهبطي تلميذه أبو القاسم بن خجو الحساني ، وكان يدعو إلى معرفة قواعد الإيمان بالكتابة وباللسان ، ويلقن التوحيد حتى باللهجة الغمارية لمن لا يعرف اللسان العربي (٢) .

ويبدو أن خطر التبشير المشار له ، كان الحافز لإدماج عقيدة التوحيد ضمن الوظيفة الجزولية (٣) ، حيث لا تزال تلتزمها بعض فروع هذه الطائفة المنبثة بسائر جهات المغرب العربي .

* * *

والآن : نتساءل هل خلف المهاجرون الأندلسيون أو الأسرى من الأعلاج تأثيراً في ثقافة هذه الفترة ؟

وفيما يخص الأندلسيين تبيّنا سلفاً ـ أن غالبيتهم وفدوا على الشمال

---

(١) ص ١٢

(٢) ابن عرضون في « مقنع الحتاج » : المخطوط المتكرر الذكر .

(٣) المعني بالأمر هو المعروف « بحزب سبحان الدائم لايزول » ، ويوجد نصه في « النور الشامل » ، تأليف أبي العباس أحمد بن المهدي الغزال ، مطبعة الصدق الخيرية بالقاهرة ، ص ٥١ ـ ٥٣

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الإفريقي بعدما قضوا مدة طويلة تحت المسخ والتبديل المسيحي ، لدينهم ولغتهم وثقافتهم ، مما لا يترك أثراً للتعاليم الإسلامية ، ولا يستثنى من هؤلاء سوى بضعة أفراد استطاعوا الحصول على درجة من التثقيف العربي في جو من السرية والحذر (١) ، وقد حافظت النصوص على أربعة أسماء من هذه الفئة نعرضها حسب تسلسلها التاريخي تحقيقاً أو تقريباً .

ويحمل أولها اسم الشيخ شعبان ، عالم الأندلسيين الوافدين على تونس ، وأستاذ مدرستهم التي شادوها بعاصمة الحفصيين (٢) .

أما الثاني : فهو الشهاب أحمد الحجري ، سابق الذكر في عداد المترجمين إلى العربية ، وقد ألف — أصالة — كتابين :

« رحلة الشهاب إلى لقاء الأحباب » ، والغالب أن موضوعها وصف رحلته عن الأندلس في هجرته إلى المغرب ، ولا يعرف منها — حتى الآن — سوى فقرات تناقلتها بعض المصادر المغربية .

والمؤلف الثاني الذي وضعه الحجري : هو « ناصر الدين على القوم الكافرين » كتبه — بمصر — باقتراح من عالمها أبي الحسن علي الأجهوري في اثني عشر باباً ، وضمنه مناظراته — بأوربا — مع المسيحيين واليهود (٣)

---

(١) من نماذج هذا الوضع قصة تلقين العربية لمحمد بن عبد الرفيع الأندلسي من طرف والده ، حسب خاتمة « كتاب الأنوار السنية » : المخطوط المتكرر الذكر .

(٢) إتحاف أهل الزمان ، ج ٢ ص ٣٠

(٣) انظر محمد المنوني : « ظاهرة تعريبية في المغرب السعدي » : الدراسة المنشورة بالعدد الأول من مجلة « اللسان العربي » ، ص ٥٥ ، ٥٧

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقد قامت المستشرقة الإيطالية : كيليا شارنلي بنشر القسم الخاص بالمغرب الأقصى من هذا الكتاب ، مع ترجمته إلى الإيطالية ، وذلك عن مخطوطته الكاملة المحفوظة بدار الكتب المصرية . وسيأتي - بعد الحجري - محمد بن عبد الرفيع بن محمد الشريف الأندلسي المرسي الأصل ، التونسي المهجر ، المتوفى - بمكة المكرمة - عام ١٠٥٢ هـ / ٤٢ - ١٦٤٣ م ، وهو مؤلف « الأنوار السنية في آباء خير البرية » رتبها على ثمانية فصول ، ذيلها بخاتمة تشتمل على معلومات نادرة تتناول مأساة الأندلسيين بإسبانيا ، وحياة الجالية الأندلسية بتونس ، فضلاً عن معلومات أخرى عن ترجمة المؤلف نفسه ، وعن حاضرة تونس .

ولحسن الحظ فإن الكتاب لا يزال معروفاً في نسختين مخطوطتين : الأولى مغربية بالخزانة العامة بالرباط رقم ك ١٢٣٨ ، في ٣٦٣ ص ، ويبدو أنها بخط المؤلف الذي تولى مقابلتها بنفسه ، وخطه أندلسي أصيل واضح مليح ملون .

وقع الفراغ من تأليف الكتاب - بحضرة تونس - عشية الجمعة سادس شعبان عام ١٠٤٤ هـ / ١٦٣٥ م ، ومن انتساخه أواخر شعبان المؤرخ به في الأصل .

أما النسخة الثانية : فهي تونسية بالمكتبة العاشورية ، ويبدو من وصفها أنها منقولة عن المخطوطة المغربية ، بواسطة أخرى مكتتبة بتونس العاصمة بتاريخ أواخر جمادى الآخرة عام ١٠٤٩ هـ ، ولا يعرف - الآن - مصير هذا الأصل ، وقد كتبت منه النسخة العاشورية بخط تونسي حديث ، بتاريخ الثلاثاء ١٥ صفر عام ١٣٥٦ هـ / ١٩٣٧ م .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

اقتبس من خاتمة الأنوار السنية محمد بوجندار في « مقدمة الفتح من تاريخ رباط الفتح »(١) ، وبواسطة هذا المصدر أورد نفس المقتبس الأمير شكيب أرسلان ، في كتابيه الاثنين : « تعاليق حاضر العالم الاسلامي »(٢) ثم « الحلل السندسية »(٣) .

وأخيراً نشر الأستاذ التونسي عبد المجيد التركي — عن المخطوطة العاشورية — مقدمة الكتاب وخاتمته ، ضمن موضوع : « وثائق عن الهجرة الأندلسية الأخيرة إلى تونس »(٤) .

وننتقل الآن إلى المهاجر الأندلسي : يوسف الحكيم ، وكانت له خبرة ببعض العلوم ، ومنها الطب والتنجيم والكلام والفلسفة ، وأقام بفاس ، حيث كان يتردد إلى أبي زيد عبد الرحمن بن محمد الفاسي ، وشهد له بالتقدم في مادتي الكلام والفلسفة (٥) .

وقد يكون هذا مؤلف « النور الباهر في نصرة الدين الطاهر » حيث يسمي نفسه : يوسف بن عبد الله الإسلامي ، وهو يذكر أنه انتقل إلى الاسلام من اليهودية — التي كان من أحبارها — بعد عام ١٠٢٠ هـ/ ١١ - ١٦١٢ م .

---

(١) مطبعة الجريدة الرسمية ؛ الرباط ، ص ٢٠١ — ٢١٦

(٢) الطبعة الثالثة ، ج ٢٠ ص ٢٤ — ٣٥

(٣) المطبعة الرحمانية بمصر ، ج ١ ص ٣٨٠ — ٣٨١

(٤) « حوليات الجامعة التونسية » ، العدد الرابع ، سنة ١٩٦٧ ، ص ٢٣ — ٦٣

(٥) « أزهار البستان » ، تأليف أبي زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي ، مخطوط المكتبة الملكية رقم ٥٨٣ ، آخر الباب الثالث .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقد ساق في كتابه — عن التوراة — نصوصاً ناطقة بصحة دين الإسلام ، ولما لم يكن متين العربية فقد ناول الكتاب لقاضي الجماعة بسوس : عبد الرحمن التمنارتي ، فهذب عربيته ، وأتمه يوم الثلاثاء ٢٤ جمادى الثانية عام ١٠٥٣ هـ (١) / ١٦٤٣ م ، والكتاب لا يزال مخطوطاً في ٢٣ ص ، حيث صـــار في حوزة القاضي المرحوم مولاي سعيد بن الحسن بن السعيد العلوي .

وهنا نعيد إلى الذاكرة اسم المعلم يوسف الأندلسي ، الوارد ذكره — سلفاً — بمناسبة قيامه بترجمة رسالة الزيج الفلكي لإبراهيم زاكوط ، حيث نقلها من العبرانية إلى القشتالية .

ويهمنا أن نشير إلى أن هذا يتقدم عصر يوسف الحكيم الذي عاش إلى أوائل المائة الهجرية ١١ (٢) ١٧ م ، بينما كان مترجم الزيج الزاكوطي تلميذ المؤلف زاكوط المتوفى في العشرات الأولى من القرن العاشر هـ ق ١٦ م (٣) ، فلذلك لا يتوقع أن يكون هذا الأخير هو الذي يحمل اسم يوسف الحكيم .

---

(١) « خلال جزولة » لمحمد المختار السوسي . المطبعة المهدية بتطوان ، ج ٤ ص ١٧٧ — ١٧٨

(٢) تعرف فترة حياته من خلال اتصاله بأبي زيد عبد الرحمن بن محمـــد الفاسي ، وهذا كانت وفاته عام ١٠٣٦ هـ

(٣) انظر : محمد المنوني : « ظاهرة تعريبية في المغرب السـعدي » ، بمجلة « دعوة الحق » ، حيث توجد بنشرة هذه المجلة إضافة عن حياة زاكوط : العدد الثالث ، السنة العاشرة ، ص ٨٦

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وإلى هنا ينتهي عرض أربعة مؤلفات دوّنها - بالعربية - ثلاثة من الأندلسيين في المهجر المغربي ، ومن الواضح أن تأثيرها في الحقل الثقافي سيكون ضعيفاً .

وعلى عكس هذه المؤلفات ننوه بموضوعين سبقت الإشارة لهما ، وخلفا أصداء ملحوظة .

الأول « زيج » إبراهيم زاكوط اليهودي في تعديل الكواكب ، وكان مؤلفه - بالعبرانية - أقام بتونس عدة سنوات ، وصار لترجمة زيجه تأثير في عدد من المؤلفات الفلكية بالمغرب الأقصى (١) .

الثاني : « كتاب المدفعية الحديثة » ، ألفه - بالاسبانية - إبراهيم غانم الأندلسي ساكن تونس ، وهو الذي ترجمه الشهاب الحجري باسم « كتاب العز والمنافع للمجاهدين بالمدافع » ، فأفادت منه المدفعية التونسية كثيراً (٢) .

وإلى هنا يصل بنا المطاف إلى واقع الأعلاج الذين انتشروا بالمغرب الكبير في الفترة التي نقدمها ، وكان أكثر تأثيرهم من جهة الاستفادة من ثقافتهم التقنية .

ومن نماذج هذا أن فرقة إسبانية استسلمت - بتونس - للقائد سنان باشا ، وأشعروه أنه يوجد من بينهم مائتان وخمسة من رجالهم أهل صناعات غريبة ، وقد أمنهم القائد التركي ، واستخدمهم في تفريغ المدافع وسبك

---

(١) الدراسة السابقة نفسها ، مجلة « اللسان العربي » العدد الأول ص ٦٣ - ٦٦

(٢) نفس الدراسة والمجلة ، ص ٦١

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

النحاس ، ويعلق ابن أبي دينار[1] على هذا ويقول : « ومن ذلك الزمان كثرت صناعة المدافع بتلك الديار » .

وبالمغرب السعدي استُخدم الأعلاج في تقنيات معامل السكر ، وتشييد الحصون الدفاعية ، وتنظيم فرق من الجيش المنصوري ، وعلمنا — سلفاً — أن بعض الأعلاج — في بلاط زيدان السعدي — كان يعمل في تعريب الكتب من القشتالية إلى العربية .

* * *

وستكون هذه النقطة خاتمة النماذج التي يعرضها هذا البحث ، وفيها خطوط بارزة لآفاق تطوير حضارة المغرب الكبير تأثراً بواقـــع الغزو الأجنبي ، وما واكبه من الهجرات الأندلسية ، والوجود العثماني ، ووفادات أخرى منوعة .

وقد رأينا في تلك النماذج اقتباساً جديداً مسّ الاقتصاد والعمار ، وتناول أنظمة الحكم ووسائل الدفاع ، إلى تجديد في القطـاع الثقافي ، وبالخصوص في انبعاث دراسة العقليات والهندسة والطب ، ومحاولات في حركة التعريب ، إلى مجهودات لتطوير التشريع الفقهي ، وإذكاء الروح الاسلامية وتهذيبها من البدع والمحدثات .

وقد كان مجموع هذه النماذج صالحاً ليكون نواة لبدء انبعاث المغرب الكبير ، والسير به نحو انبثاق عصر النهضة المغربية العربية ، كما بدأ في

---

(١) « المؤنس » ، ص ١٧٥

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الغرب الأوربي عصر النهضة الحديثة ، غير أن الشمال الأفريقي وقف عند البداية ، ليتيح التساؤل :

- لماذا هذا التوقف ؟
- وعلى من تلقى التبعة ؟
- وما طرق العلاج ؟

أسئلة مطروحة تنتظر الإجابة عنها .

الرباط محمد المنوني

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

# التعريف والنقد

## « روضة المدارس »

### نشأتها واتجاهاتها الأدبية والعلمية

الدكتور محمد زكريا عناني

« هذه دراسة نقدية تحليلية لمجلة روضة المدارس المصرية ، أول مجلة ثقافية علمية تصدر في مصر في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر ، فكّر في إصدارها علمان من أعلام النهضة الحديثة في بلادنا ، هما : علي مبارك ورفاعة رافع الطهطاوي .

وعندما صدر العدد الأول منها يوم السبت ١٥ من المحرم عام ١٢٨٧ من الهجرة ، الموافق إبريل سنة ١٨٧٠ ، كانت تطرح هذا السؤال الهام : على أي منهج يكون تحولنا الحضاري ؟ هل نعود إلى الماضي ونتعم بالعيش في فردوسه المفقود ، ونقطع كل صلتنا بالحاضر ؟ أم نقفز إلى آفاق المستقبل ونقطع كل صلتنا بماضينا المجيد ونهمل كل مواريثنا الروحية والحضارية؟

وكان الجواب حاضراً ، تجسده شخصية رفاعة رافع الطهطاوي ، فهذا الرائد العظيم ثمرة ناضجة من ثمرات امتزاج الماضي بالحاضر » .

بهذه السطور يقدم د . عبد العزيز الدسوقي دراسته عن مجلة « روضة المدارس » التي أنجزها بالإسهام مع الأستاذ محمد عبد الغني حسن .



هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقبل أن نعرض لهذا العمل بالتحليل والنقد ، نود أن ننوّه بالجهود العلمية والأدبية للأستاذ محمد عبد الغني حسن ، الذي يعد واحداً من أكثر العاملين في حقل الثقافة في مصر إخلاصاً ، وصفاء عبارة ، وسعة معرفة .

ونقع هذه الدراسة في أكثر من أربعمائة صفحة من القطع الكبير ، تستهلها توطئة كتبها د . مهدي علام ، أشاد فيها بالعمل ، وتحدث في إيجاز عن نشأة المجلات الثقافية في أوربا والشرق .

وتأتي بعد ذلك المقدمة التي وضعها الدكتور عبد العزيز الدسوقي ، وتعد بمثابة تحديد للموضوع ، وتعريف بالمنهج الذي اتبعه المؤلفان ، وتقسيمها للعمل فيما بينهما ؛ فالأستاذ محمد عبد الغني حسن كتب البابين الأول والثالث ، أمّا د . الدسوقي فكتب الباب الثاني وشارك في الباب الرابع ، واستقلّ بكتابة المقدمة والخاتمة .

وأظنّ أنه لولا هذه الإشارة لحسب القارىء أن المؤلفين دبّجا معاً كل فصول الكتاب مجتمعة ، ولما عرف أن كلاً منهما استقل بكتابة قسم معيّن ( وإن كان الملاحظ ، مع ذلك ، أن الهوامش لا تظهر ، على نحو عام ، إلا في الباب الثاني وفي بعض فصول الباب الرابع ، فلعل كاتب هذه الفصول ذات الهوامش ، هو نفسه كاتب الباب الثاني ) .

والباب الأول يتناول « روضة المدارس وما حولها » ، ويقدم أول ما يقدم فصلاً عن « ملامح العصر » — عصر إسماعيل — من خلال الحديث عن الحركة الثقافية آنذاك ، متمثلة في التعليم وفي تكوين الجمعيات العلمية ، مثل جمعية المعارف ، وفي ظهور المجلات العلمية من قبيل مجلة « يعسوب الطب » و « روضة المدارس » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وهكذا يقودنا الحديث إلى « مولد روضة المدارس » تحت نظارة رفاعة بك ، مدرس الإنشاء بمدرسة الإدارة والألسن » ، وهو ابن رفاعة الطهطاوي نفسه . وفي هذا الفصل تحليل لافتتاحية العدد الأول ، وهي ، على أهميتها ، لا تحمل توقيع كاتبها ، وقد تضاربت حولها الأقوال ، فذهب د . أحمد أحمد بدوي إلى القول بأنها من إنشاء رفاعة ( انظر « رفاعة الطهطاوي بك » ط ١ ص ٦٧ ) . ومال إلى هذا الرأي الأستاذ محمد خلف الله أحمد ( في « معالم التطور الحديث في اللغة والأدب » ١/١٤ ) والأستاذ عمر الدسوقي ( في كتابه « في الأدب الحديث » ط ٥ - ١/٧٩ ) وغيرهم ، ولكن الأستاذ محمد عبد الغني حسن - كاتب هذا الباب - يذهب إلى القول بأن الافتتاحية من إنشاء علي فهمي بدليل ما جاء في ثناياها من أن علي مبارك « أحال على الفقير مباشرة تحريرها ، ومناظرة ما يلزم لتحبيرها » ، ومباشر تحرير « الروضة » هو علي فهمي ، كما مرّ بنا .

ويتعرض هذا الباب كذلك لمجلس تحرير المجلة ، وطريقة تبويبها ، كما يعرض لـ « لغة روضة المدارس وأساليب ذلك العصر » وما ظهر فيها من مقالات ونبذ وملاحق كتب . . إلى أن نصل للفصل الختامي في الباب ( ص ٨٨ ) حيث نرى « الروضة » « بين التلقف والتوقف » ، أما التوقف فيأتي بعد قرابة ثمانية أعوام عاشتها في خدمة العلم والثقافة .

والباب الثاني ، عن « الاتجاهات الأدبية والفنية » ، يبدأ بفصل تمهيدي تشبه فيه « روضة المدارس » بالبوتقة التي تنصهر فيها كل العناصر العلمية والثقافية ، وهذا التشبيه ينطبق كذلك على رفاعة ، فقد كان الرجل بوتقة امتزجت فيها عناصر عدة ، شملت الأدب والفكر والاجتماع والعلوم العسكرية والجغرافيا والتاريخ والاجتماع . . .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وتتتابع بعد ذلك فصول مختلفة تتعرض لبعض الجوانب الفنية ، فالفصل الثاني موضوعه « بين المقامة والدراسة الأدبية » ، والفصل الثالث يعرض للأنواع الأدبية في المجلة ، ويجيء فصل مستقلّ عن « حسين المرصفي وحركة البعث في النقد العربي الحديث » .

أما الباب الثالث فيتناول « روضة المدارس بين اتجاهات العلم والفكر» وفيه بسط لبعض ألوان الدراسات الاجتماعية والجغرافية والتاريخية والفلسفية » وكذلك لبعض موضوعات العلوم والطب والرياضة التي ظهرت بالمجلة .

ويأتي الباب الرابع ليحدثنا عن « أعلام الروضة وكتابها : حياتهم ومصادر ثقافتهم » ومن هؤلاء الأعلام رفاعة وعلي مبارك وعبد الله فكري وعلي فهمي رفاعة وصالح مجدي وعبد الله أبو السعود ومحمد عثمان جلال وحمزة فتح الله وإسماعيل صبري ومحمد دياب وميخائيل عبد السيد والشيخ علي الليثي والسيد علي أبو النصر . . . وعشرات غير هؤلاء ممن كان لهم دور بارز في حياتنا الثقافية والعلمية .

وتجيء الخاتمة فتحاول أن تحدد « أثر روضة المدارس في الحياة الأدبية والفكرية » فمن آثارها المباشرة أنها كانت « تلبي الحاجات الثقافية والفكرية والروحية التي تحتاج إليها الأمة العربية في نهضتها وتحولها الحضاري » ومن هذه الآثار « إثراء اللغة العربية بمجموعة من مصطلحات العلوم والفنون نتيجة للترجمة والتعريب ، ونقل منجزات الحضارة الحديثة إلى العربية » ، كما أن المجلة أسهمت أيضاً في تطوير الصحافة الأدبية بما خطته من تقاليد جديدة واحتشاد علمي وأدبي وفني وإخراج جديد .

وتنتقل الخاتمة من التعميم إلى التخصيص ، فتتناول بعض أوجه أهمية

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

« الروضة » فيما يتصل بميادين الأدب والنقد ، وفتح الريادة في مجالات الرواية والأقصوصة والمقال الأدبي والدراسات العلمية .

* * *

هذه خطوط سريعة عرضنا فيها لبعض مناحي هذه الدراسة الجادة الطلية الممتعة ، ولنا ، من بعد ، بعض ملحوظات :

● ينقل الأستاذ مهدي علام في التمهيد عن فيليب دي طرازي قوله « من دواعي الافتخار أن القطر المصري كان سبّاقاً في مضمار الصحافة العربية إلى نشر الجريدتين الأوليين اللتين قرأهما أبناء الضاد ، وهما جريدة « التنبيه » التي صدرت في ٦ من كانون الأول سنة ١٨٠٠ في الاسكندرية ... وجريدة « الوقائع المصرية » التي ظهرت في كانون سنة ١٨٢٨ في القاهرة » .

والذي نظنه أن فيليب دي طرازي لم يذكر بالمرة جريدة باسم « التنبيه » في كتابه « تاريخ الصحافة العربية » بل ذكر صحيفة أسماها « الحوادث اليومية » وقد استنتج اسمها استنتاجاً مما ورد في « عجائب الآثار » للجبرتي ، واستنتاجه جاء - على كل حال - في غير موضعه ، لأن الجبرتي ، في معرض حديثه عن الشيخ إسماعيل الخشاب ، يذكر أن « الفرنساوية عينوه في كتابة التاريخ لحوادث الديوان وما يقع فيه كل يوم ، لأن القوم كان لهم مزيد اعتناء بضبط الحوادث اليومية في جميع دواوينهم وأماكن أحكامهم ، ثم يجمعون المتفرق في ملخص يرفع في سجلهم بعد أن يطبعوا منه نسخاً عديدة يوزعونها في جميع الجيش . . . فلما رتبوا ذلك الديوان كما ذكر كان هو المتقيد برقم كل ما يصدر في المجلس من أمر .. ولم يزل متقيداً في تلك الوظيفة مدة ولاية عبد الله مينو حتى ارتحلوا من الإقليم » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

من هذا النص استدل فيليب دي طرازي « أن الجبرتي روى عن إسماعيل الخشاب أنه كان يعتني بضبط « الحوادث اليومية » ويطبع منه نسخاً ويوزعها على جميع الجيش « ولست أدري ما جدوى نشرة بالعربية يصدرها الشيخ الخشاب بالنسبة لضباط الحملة وجنودها الذين يجهلون العربية ؟

ونضيف أن دي طرازي ( ومن تبعه ) تخبط أيما تخبط بإزاء تلك الصحيفة المزعومة ؛ إذ نراه في موضع آخر من كتابه ( ٨٢/١ ) يقول : إن « أول جريدة عربية هي التي أنشأها نابليون الأول سنة ١٧٩٩ » ثم نراه بعد ذلك يتراجع عن رأيه ( دون أن يصرح بذلك ) فيورد قائمة بأولى الدوريات التي ظهرت في مصر ، ولا يذكر فيها شيئاً من أمر « الحوادث اليومية » أو « التنبيه » أو أي اسم آخر ( انظر ١٦٢/٤ ) .

وسنعود إلى هذه القضية في مقال مستقل - إن شاء الله - نناقش فيه آراء مؤرخي الصحافة العرب والغربيين .

● وفي التمهيد نفسه ينوّه الأستاذ الدكتور مهدي علاّم كذلك بالترجمات التي قدمها المؤلفان ، وهو تنويه في موضعه ، لولا أنه يضيف « وبلغ من حرص المؤلفين على التعريف بهؤلاء الكتاب أنهم لم يتركوا « أصحاب الوحدات » أي الذين لم تزد مساهمتهم على مقالة واحدة طول عمر المجلة » .

وفي هذا القول شيء من المبالغة لأن المؤلفين لم يلتزما بتقديم ترجمة لكل من كتب في « روضة المدارس » ولا يضير الدراسة في شيء أنها سكتت عن بعض الأسماء المجهولة وغير المجهولة ، من أمثال محمود وهبة ( انظر ص ٦٩ من الكتاب ) وعبد السلام سلمي ( ص ٧٠ ) وأحمد فتحي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

( ص ٧٥ ) وسليم عمر الحنفي ( ص ٧٦ ) ومحمد الطيب ( ص ٧٦ ) ومحمد قناوى ( ص ٧٧ ) وأحمد بليغ ( ص ٧٨ ) ومحمود الحكيم ( ص ٧٩ ) وعبد الحميد ثابت ( ص ٧٩ ) وحسن محمود ( ص ٨٣ ) بل إن الشيخ حسن العطار ( أستاذ رفاعة ) يعقد محاورة هامة مع محمود صفوت الساعاتي ، الشاعر الشهير ، وتسجل المجلة هـذه المحاورة ( انظر الكتاب ص ١٦٢ ) ومع ذلك لا يقدم لنا الكتاب دراسة لا عن العطار ولا عن محمود صفوت الساعاتي ( وليس لذلك تفسير ، خاصة حين نعرف أن للأستاذ محمد عبد الغني حسن كتاباً صغيراً غاية في الجودة عن الشيخ حسن العطار ).

● يتعرض الباب الأول لمسألة « تبويب مجلة روضة المدارس » ولعل المقام كان يتطلب تقديم صور لأغلفة ونسق صفحات بعض الأعداد ، وتسجيل ما إذا كان إخراج المجلة قد طرأت عليه تغييرات أم لا خلال أعوامها الثمانية .

ومما يتصل بهذه النقطة ما يذهب إليه بعض الدارسين من أن رفاعة جعل « روضة المدارس » على نسق المجلة « الجريـــدة الآسيوية » ومجلة العالمين » اللتين قرأهما في باريس ( ومن هؤلاء د . أنور لوقا في كتابه « الرحالة والكتاب المصريون في فرنسا في القرن التاسع عشر » ـ بالفرنسية ) .

ومن ذلك قول فيليب دي طرازي ( تاريخ الصحافة ٣/٧٠ ) إنه بعد وفاة رفاعة « عام ١٨٧٣ خلفه ( ابنه علي فهمي ) في إدارتها ـ روضة المدارس ـ فوسع دائرة مباحثها وزادها تحسيناً ) .

وكنت أود لو قارن المؤلف هنا بين « الروضة » والمجلات المعاصرة لها مثل مجلة « الوقائع المصرية » بعد أن أسند أمرها لرفاعة ( في ١١ يناير



هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

١٨٤٢ الموافق ٢٧ من ذي القعدة سنة ١٢٥٧ هـ ) ومثل مجلة « الجنان » التي ظهرت في بيروت سنة ١٨٧٠ .

ولم يذكر شيء عن عدد النسخ التي كانت تطبع من « روضة المدارس » ، وفي هذا المقال يفيدنا د . أحمد عزت عبد الكريم ( في « تاريخ التعليم في مصر عباس وسعيد وإسماعيل » ، ص ١٥٣ ، ونقل عنه كثيرون مثل د . أحمد بدوي « رفاعة .. » ص ٧٠ و د . عبد اللطيف حمزة « أدب المقالة » ١/١٢٦ ) أن ما كان يطبع منها ٣٥٠ نسخة ثم زيدت إلى الضعف بعد ذلك .

● يذكر المؤلف أن رفاعة ترجم لفظة Journaux بـ « التذاكر اليومية » وهذا صحيح ، إلا أننا نضيف أنه في « تخليص الإبريز » لا يستقر على ترجمة نهائية للكلمة ، فهو تارة يتحدث عن « أوراق الوقائع » وتارة أخرى يبقي على كلمة جرنال كما هي ( ويجمعها على جرنالات أو يذكر صيغة الجمع الفرنسية جورنو ) ويورد أحياناً كلمة كازيطة ( ويجمعها على كازيطات ) فيشير إلى « كازيطات السياسات اليومية » وإلى « كازيطات العلوم اليومية والشهرية » .. الخ ( وانظر في ذلك د . محمود فهمي حجازي في « أصول الفكر الحديث عند الطهطاوي » ص ٤٩٩ ) .

● في ص ٧٧ : « ونقل مجلة عن مجلة هو الآن - كما كان من زمان - جائز مباح ، على شرط أن تذكر المجلة أو الصحيفة المنقول عنها » وأظن أن في الجملة شيئاً من المبالغة ، فللمؤلف حقوق ، والنقل تحكمه شروط .

● في ص ٨٣ نقرأ : « . . وهذه الملاحق ( ملاحق « روضة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

المدارس » تذكرنا بما كانت تصدره مجلة « المقتطف » من ملاحق وهدايا .. من مثل « عائشة التيمورية » لميّ زيادة » .

ولا نظن أن دراسة ميّ عن التيمورية صدرت في شكل ملحق أو هدية عن دار « المقتطف » أو غيره ، ولكن دراسة ميّ هذه نشرت على حلقات في المقتطف ، ولم تطبع على شكل كتاب إلا في الخمسينات ،ضمن سلسلة « كتاب الهلال » . وما بالنا نكتفي بالظن والأستاذ محمد عبد الغني حسن نفسه يقول في كتابه عن « مي أديبة الشرق والعروبة » ص ١٢٩ :

« وتعترف مي في كلمتها في تأبين الدكتور يعقوب صرّوف بفضله عليها وتشجيعه لها على دراسة هاتين الأديبتين - باحثة البادية ووردة اليازجي - مما شجعها على متابعة الكتابة عن عائشة التيمورية في سلسلة من المقالات في « المقتطف » لم ينتظمها إلى اليوم كتاب واحد » .

● في ص ١٣١ تطالعنا أرجوزة مزدوجة منها :

أمر النبي المصطفى بالطاعه والسمع للسلطان كل الأمه
فاطلب رضا السلطان واعلم أنه عزٌّ من الله الكريم وظله

وهذا النوع من النظم تلتزم فيه قافية موحدة في كل شطرتين ، ولا توافق بين « الطاعة » و « الأمة » .

● يرى د. الدسوقي ( ص ١٥٣ ) أن مقامات صالح مجدي « تعتبر بكل المعايير الفنية والفكرية ريادة حقيقية لفن الأقصوصة في لغتنا العربية » ولسنا نرى في هذه المقامات أكثر من إرهاصة أو محاولة للتخلص شيئاً ما من قيود المقامة ، والاقتراب خطوة من مفهوم « الأقصوصة » ، وإذن فلا بأس من مصطلح « المقامة الأقصوصة » الذي يطرحه د. الدسوقي ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ولكننا لا نستطيع أن نذهب إلى حد القول بأن صالح مجدي بمقاماته الاثنتي عشرة « يعتبر رائد الأقصوصة العربية الحديثة » ، ويا ليت د . الدسوقي يجمع هذه المقامات ويقدم لها بدراسة فنية تحليلية ، فربما يدفع نشرها إلى إعادة النظر في أمرها .

● في ص ١٦٢ : يرد ذكر لمصطفى الساعاتي ، وصواب الاسم « محمود صفوت بن مصطفى . . الساعاتي ( وانظر عنه عمر الدسوقي في الجزء الأول من « في الأدب الحديث » ص ١٢٤ - ١٣٦ ) .

● في ص ١٧٦ يذكر اسم « شهاب الدين » في معرض الحديث عن الشيخ عثمان مدوخ ومقالاته في الأغاني والألحان .

ونضيف أن شهاب الدين ( محمد بن إسماعيل ) يعتبر أول من اهتم بالأغاني والألحان في هذه الفترة ، وكتابه « سفينة الملك » يضم عدداً ضخماً من الأدوار والتواشيح والأشعار المغناة ، وقد صدرها بمقدمة تعتبر من الوثائق الأساسية عن الموسيقى في مصر في منتصف القرن التاسع عشر .

● في ص ٣٢٥ اضطراب مطبعي فبعد السطر الرابع عشر ينبغي الانتقال إلى السطر العشرين من الصفحة التالية ، ونهاية ص ٣٢٧ يتمها السطر الخامس عشر وما بعده من ص ٣٢٥ .

● في ص ٣٤٤ نضيف إلى قائمة مؤلفات صالح مجدي كتاب « حلية الزمن بمناقب خادم الوطن » في سيرة رفاعة الطهطاوي ، وقد حققه د . جمال الدين الشيال ، سنة ١٩٥٨ ، ويعتبر أهم المصادر في دراسة حياة الطهطاوي وإنتاجه .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

● في ص ٣٤٦ قائمة بمؤلفات عبد الله أبي السعود من بينها كتاب يحمل عنوان « قناصة العصر في صلاحية تاريخ مصر » والاسم الصحيح هو « قناصة أهل العصر من خلاصة تاريخ مصر » . وفي القائمة أيضاً كتاب عنوانه « الدار التام في التاريخ العام » والصحيح « الدرس التام .. » ونضيف أن مكتبة بلدية الاسكندرية تضم عدداً لا بأس به من مخطوطات مؤلفات عبد الله أبي السعود .

* * *

ولا ينبغي أن يقف بنا الحديث عند هذا القدر ، بل تنبغي الإشارة في الوقت نفسه إلى بعض مناحي الجودة ، وما أكثرها هنا ، فالعمل شاق ومتشعب ، ولكن المؤلفين قبلا التحدي وراحا يجمعان المادة العلمية في أناة وحذر ، حتى استقام البناء بعد لأي ، وإذا بنا أمام دراسة تمتع القارىء العام وتفيد الدارس المختص . ولقد كنت في الآونة الأخيرة عاكفاً على ترجمة « فن الشعر » لبوالو ، وكنت أظن أن هذا الأثر لم يترجم للعربية من قبل ، إذ لم نسمع بأمرها في كل المراجع الأساسية عن أدبنا المعاصر ، حتى وصلت إليّ هذه الدراسة وإذا بها تحمل إلينا أن الأديب الشهير محمد عثمان جلال ترجم « فن الشعر » ترجمة تتميز بما هو مألوف عنده من ظرف ورشاقة ، غير أنه — كما تسجل الدراسة — لم يتقيد بالأصل الفرنسي فهو يستهل الترجمة بقوله :

لا تحسب المرء يكون ناظما ولا يعدّ في القوافي عالما
ولا يكون في القريض عدّه يعرف جزر بحره ومدّه
إلا إذا أوحى في القوافي إليه بالمعنى الرقيق الشافي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أما مستهل نص بوالو فيقول :

« على ذرى البارناس كان شاعر جسور .
يدير الفكر - بلا طائل - في فن الشعر وإلى أي مدى يسمق
وفي ما إذا كان لا يحس قط بالإلهام الخفي يأتي إليه من السماء
وما إذا كان نجمه حين الميلاد لم يصغ منه شاعرا
أو أنه سيبقى على الدوام أسيراً لكلال موهبته
ويفكر فيما إذا كان ( فيبوس ) — أبوللو — لن يعيره إلا أذناً صماء .

وفيما إذا كان ( بيجاز ) - ملاك الشعراء الموهوبين - سيبقى حروناً معه » .

* * *

ولقد جاء عرض النتائج - في خاتمة البحث - متواضعاً بعيداً عن الإدعاء ، وبحسب الكتاب أنه قدم دراسة تحليلية نقدية عميقة لمجلة « روضة المدارس » ، وأنه أزاح النقاب عن كنوز كانت مجهولة وأشار إلى مبادرات هامة في ميادين العلم والثقافة ، وعرض لسير عشرات من أعلام النهضة في بلادنا عرضاً رصيناً يجمع بين السهولة والدقة العلمية .

وبحسب هذه الدراسة أنها سلطت الأضواء على بعض النصوص الهامة لحسن العطار ورفاعة وعلي الليثي وعثمان جلال ، وهي نصوص ما كان ليهتدي إليها الباحثون لولاها .

ولعل هذا العمل يكون فاتحة لدراسات على نسقه ، تتناول كبريات مجلاتنا الثقافية كالهلال والمقتطف والزهور وأبوللو والرسالة والثقافة وغيرها .

محمد زكريا عناني
هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

# تعقيب على نقد

## « روضة المدارس »

الأستاذ محمد عبد الغني حسن

نشكر للأديب الناقد الدكتور « محمد زكريا عناني » اهتمامه البالغ بكتابنا « روضة المدارس — نشأتها واتجاهاتها الأدبية والعلمية » الذي أصدره المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية في «مشروع المكتبة العربية » .

فإن الكاتب الفاضل يبدو وقد قرأ صفحات الكتاب ـ التي أربت على ٤٤٠ صفحة كبيرة — قراءة فاحص واع أو باحث مدقق ، ولم يدع شيئاً في السطور أو بين السطور إلاّ قرأه ، ووقف عنده وقفة متأنية بصيرة .

والحق أن صبر الناقد على قراءة هذا الكتاب بهذه الصفة يعدّ ظاهرة سارّة في قراءة الانتاج العربي الجديد أو في تلقيه بالبحث والمراجعة والمعاودة .

وهي ظاهرة طمأنتنا على أن دنيا العروبة لا تزال بخير ، وأن في الجيل الطالع اليوم خمائر طيبة لوعي ثقافي قرائي جديد .



هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كما نشكر للدكتور محمد زكريا عناني هـــذا الثناء الكريم الذي أضفاه على مؤلفي الكتاب ، وعلى كاتب توطئته المفيدة الثمينة : الأستاذ الدكتور محمد مهدي علاّم عضو مجمع اللغة العربية بمصر .

وقد كان للناقد الفاضل وقفات في بعض مواطن من الكتاب ساقها على هيئة ملاحظات ، منها قوله :

● ( ينقل الأستاذ مهدي علاّم في التمهيد عن فيليب دي طرازي قوله : « من دواعي الافتخار أن القطر المصري كان سباقاً في مضمار الصحافة العربية إلى نشر الجريدتين الأوليين اللتين قرأهما أبناء الضاد ، وهما جريدة « التنبيه » التي صدرت في ٦ من كانون الأول سنة ١٨٠٠ في الاسكندرية.. وجريدة « الوقائع المصرية » التي ظهرت في كانون سنة ١٨٢٨ في القاهرة. والذي نظنه أن فيليب دي طرازي لم يذكر بالمرة جريدة باسم « التنبيه » في كتابه « تاريخ الصحافة العربية » ، بل ذكر صحيفة أسماها « الحوادث اليومية » ... ) .

هكذا قال الناقد ، وهكذا أسرف في قوله أن فيليب دي طرازي لم يذكر بالمرة جريدة باسم « التنبيه » في كتابه « تاريخ الصحافة العربية » . فإن النص الذي ساقه الدكتور مهدي علاّم موجود بأكمله في الجزء الرابع من كتاب « تاريخ الصحافة العربية » ص ٤٨٢ في كلمة أخيرة بالكتاب عنوانها : « الخاتمة » . ويبدو أن الناقد الفاضل لم تقع عينه على هذا النص الذي نقله الدكتور مهدي ، فأسّس على ذلك ما أسّس من أن طرازي ( لم يذكر بالمرة جريدة باسم التنبيه ) .

وهذا النفي القاطع من الناقد يثير في النفس قضية الترفق في الاتهام ،

هدية مجمع اللغة العربية بالقاهرة مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

قبل إبداء الأحكام ، وهي قضية تتصل بالعلم من ناحية ، كما تتصل بالخلق من ناحية أخرى . ومن هنا نوصي بالتأني والتوفق والتثبت قبل النفي أو الإثبات . .

● يقول الناقد إننا أغفلنا الترجمة لحسن محمود ص ٨٣ . وهذا اتهام آخر لأننا ترجمنا لهذا الطبيب العالم الرائد ترجمة بلغت صفحتين من قطع الكتاب ، وأتينا على عدد غير قليل من الكتب والرسائل التي ألفها أو ترجمها .

● ويقول الناقد أيضاً في ذلك المعرض إننا لم نقدم في الكتاب ترجمة للشيخ حسن العطار أستاذ رفاعة الطهطاوي . ولا أدري ـ وقد التزمنا بمبدأ الترجمة لمن كتبوا مقالاتٍ وبحوثاً في مجلة روضة المدارس ـ كيف نجيز الترجمة للشيخ حسن العطار بوصفه أستاذاً لرفاعة الطهطاوي ؟ لو أجزنا هذا الرأي لترجمنا لكل شيخ أو أستاذ لكاتب من كتاب الروضة . وذلك غير وارد ولا معقول .

● يظن الناقد أننا حين تحدثنا عن « مصطفى بكري الساعاتي » . كنا نريد التحدث عن الشاعر « محمود صفوت الساعاتي » . والحق أن الساعاتي الذي نقصده والذي دارت المحاورة بينه وبين حسن العطار هو أديب مصري سابق في الزمن على محمود صفوت الساعاتي . وقد نشر الطهطاوي المحاورة بينهما بعد أن انتقلا إلى رحاب الله بزمن طويل ، أي قبل صدور روضة المدارس بعشرات السنين .. فالشيخ حسن العطار توفي سنة ١٨٣٥ ، وكذلك توفي الأديب الشيخ مصطفى بكري الساعاتي قبل صدور الروضة بزمن . وبهذه المناسبة أقول : إن هذا الشيخ ؛ مصطفى

شبكة الألوكة www.alukah.net
www.alukah.net

بكري الساعاتي ، ليس من بيت السادة البكرية بمصر ، ولا هو من الأشراف مثلهم ، وإن هناك في البيت البكري - أو بيت الصدّيق - من اسمه ( مصطفى البكري ) المتوفّى سنة ١٧٤٩ م ، وهو بالطبع غير « مصطفى بكري الساعاتي » تلميذ حسن العطار وصفيّه ومحاوره .

● كنا نود الترجمة أو التعريف بمن أسماهم الدكتور مهدي علاّم : « أصحاب الوحدات » أي الذين لم يزد إسهامهم على مقالة واحدة مدة صدور المجلة . من أمثال : محمد الطيب ، محمد قناوى ، عبد الحميد ثابت أحمد بليغ ، ولكن المصادر الكثيرة التي تحت أيدينا لم تزدنا بهم علماً إلا مجرد أسمائهم ، على الرغم من إسهامهم في الأدب أو الترجمة ، رحمهم الله .

ومهما يكن من أمر فإن نقد الأديب الدكتور محمد زكريا عناني لكتابنا « روضة المدارس » هو مبادرة كريمة أو مبادأة طيبة من الناقد الفاضل ، نكرر له الشكر خالصاً من أجلها ، ونرجو منه أن يكون باكورة لجهود طيبة موفقة في عالم النقد والبحث والتأليف . والله شاكره وحافظه . ومن دون شكر الله شكرنا الجزيل .

محمد عبد الغني حسن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

# « كتاب التحدث بنعمة الله »

## لجلال الدين السيوطي

تحقيق وتقديم اليزابث ماري سارتين

E. m. Sartain : Jalal al - din al - Suyuti, Vol.I Biography and Background & Vol.II. «Kitab al-Tahadduth binicmat Allah, PP . 242 & 383, Cambridge University Press , 1975, price : 8.00

( طبع القسم العربي وهـو الجزء الثاني من الكتاب في المطبعة العربية الحديثة ، العباسية ، القاهرة ، مصر )

**مراجعة الدكتور صفاء خلوصي**

الأستاذ المتفرغ للبحث والتأليف

أنحفتنا مطبعة جامعة كمبرج مؤخراً بمجلدين أحدهما بالانكليزية والآخر بالعربية ، فأما الذي بالانكليزية فيبحث في علم التراجم مع مقدمة ضافية عن مصر تحت حكم المماليك الشراكسة ( ١٣٨٢ - ١٥١٧ م ) ويتطرق إلى حياة السيوطي وإلى الحياة العلمية في أيامه ، وبذلك يختم القسم الأول من الكتاب ، أما القسم الثاني من المجلد الأول فيعرّج على أدب التراجم الذاتية في الأدب العربي الكلاسيكي ، ثم يأتي على وصف المخطوطات التي استعين بها في تحقيق نص السيرة الذاتية للامام السيوطي ، وكان بودي لو أنه أدرج في المجلد الثاني بدلاً من الأول فهو إليه أقـرب وبه ألصق . ويختم المجلد بملاحظات ايضاحية عن النص العربي .



هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد ذيل الكتاب ـ حسب الأصول ـ بثبتٍ بالمصادر والمراجع ، فضلاً عن شرح بالانكليزية لطائفة من الألفاظ العربية وفهرست للموضوعات وأسماء الأعلام .

أما المجلد الثاني فتحقيق جادّ لكتاب « التحدث بنعمة الله » لجلال الدين السيوطي ، وهو ككل كتب السيوطي يجمع بين المتعة والفائدة ، ويلقي ضوءاً على حياة عالم يعد من أكابر علمائنا في تاريخ التراث العربي ، ويكاد لايمضي يوم دون أن نرجع إلى كتاب من كتبه أو مؤلف من مؤلفاته كمصدر ومرجع في بحوثنا ودراساتنا .

عاش السيوطي ستين عاماً مجيداً ( ١٤٤٥ ـ ١٥٠٥ م ) فيكون بذلك قد عاصر الرينيسانس أو عصر النهضة الأوربية ، فكان هو جزءاً من هذه النهضة في العالم الاسلامي ، إذ اشتهر بالتفسير والحديث والمناقشات العلمية والمجادلات الأكاديمية مع خصومه ومناوئيه ، وقد تضمنت ترجمته الذاتية الكثير من ذلك ، وباعتقاد المؤلفة السيدة سارتين أن أسلوب السيوطي جرى على لغة الحديث اليومي الشائع يومذاك ، غير أننا لم نجد إلا القليل مما يؤيد هذا الزعم في مضامين الكتاب .

وليس من شك في أن المؤلفة الفاضلة مصيبة فيما ذهبت إليه من أن تحقيقها إسهام في الدراسات العربية الأساسية ، وأن الكتاب مصدر رئيسي لجميع الدراسات المقبلة عن السيوطي والحياة العقلية في أواخر عهد المماليك بمصر .

وأراني في غنى عن القول إن عنوان الكتاب مستوحى من الآية الكريمة : ﴿ وأما بنعمة ربك فحدث ﴾ . وهو في الحق عنوان مبتكر

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

لكتاب في موضوع السيرة «الترجمة الذاتية».

ومن أمتع فصوله الفصل السابع عشر (ج ٢ ص ١٦٠) وعنوانه: (ذكر نعمة الله عليّ في أن أقام لي عدواً يؤذيني وابتلاني بأبي جهل يغمصي كما كان للسلف مثل ذلك). وفي هذا أورد الامام السيوطي نقلاً عن بعض المصادر ما يلي:

ما كان كبيرٌ في عصره إلا كان له عدو من السِّفلة، فكان لآدم عليه السلام إبليس، وكان لابراهيم نمرود، وكان لموسى فرعون، وكان لمحمد ﷺ أبو جهل.

ومن المعروف في صحيح البخاري وغيره ماقاساه سعد بن أبي وقاص، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، من جهال أهل الكوفة، وشكواهم إياه لعمر بن الخطاب، حتى قال له عمر: شَكَوْكَ في كل شيء، حتى قالوا إنك لاتحسن أن تصلي: فانظروا بالله إلى الذين أسلموا البارحة يزعمون في صاحب رسول الله ﷺ، الذي كان يُسمى ثلث الإسلام أو ربعه، أنه لايحسن الصلاة» (ج ٢ ص ١٦٢).

ولم يخل الكتاب من استطرادات، على طريقة الأقدمين المألوفة، من نحو استطراده في مسألة زيادة العمر ونقصه، ومن مسمّي من هذه الأمة بعبد الرحمن.

وقد أوجدت الدواعي الفنية، لطبع الكتاب في مجلدين أحدهما عربي والآخر انكليزي، صعوباتٍ للقارىء، فمن ذلك مثلاً أن مستهل الفصل السابع مخروم مع الإشارة إلى وجود هامش، فإذا بحثت عن الهامش لم تجده إلا في نهاية المجلد الثاني مشروحاً بالانكليزية، مع أن النص يتطلب الشرح

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

بالعربية في الصفحة ذاتها ، ولا أدري متى سيُقلع المستشرقون عن هذه العادة الغريبة وهي وضع هوامش بالانكليزية لنصوص عربية ، بعد أن أقلعوا عن وضعها باللاتينية ، فإذا كان القارىء لايفهم الشرح إلا بالانكليزية فمن باب أولى أنه لن يفهم النص العربي أيضاً ، فلا جدوى من مراجعته الكتاب ، ثم إن المفروض في المحققة أنها تُحسن العربية وتُحسن الشرح بها ، علاوة على أنها متزوجة من عربي ، فهي عقيلة الدكتور حمدي سكّوت ، على ماتذكر في سلسلة من شكرتهم وأثنت عليهم لمساعدتهم إياها في إعداد الكتاب .

هذه ملاحظة وددتُ أن أذكرها لتتخذ المطبوعات الاستشراقية في المستقبل منحىً جديداً في تحقيقها وطباعتها بهدف تيسير مراجعة المصدر على القارىء ، لاتعسيره .

وكان بالامكان إخراج الجزأين في مجلد واحد ، فما هما من الضخامة بحيث يعسر ذلك ، وكثيرون هم القراء الذين يفضلون الطبعات ذات المجلد الواحد على ذوات المجلدات المتعددة ، إن سمح حجم الكتاب بذلك ، وأنا واحد منهم .

ولقد أوضحت المحققة الفاضلة طريقة تحقيقها لمخطوطة تيوبنجن Tübingen التي اعتمدتها أصلاً ، بالإضافة إلى خمس مخطوطات أخرى راجعتها ، غير أنها لم تصف لنا أياً من هذه المخطوطات ، حتى ولا المخطوطة الأم ، ولم تورد صورة ضوئية لورقة من ورقاتها لنرى مدى الصعوبة والدقة في التحقيق ، بالرغم من أن الكتاب الذي بين أيدينا هو في الأصل رسالة دكتوراه من جامعة كمبرج المفروض فيها — كما يبدو من كلمة الشكر الاستهلالية —

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

أنها دُرست أو على الأقل روجعت من لدن البروفيسور سارجنت Serjeant والدكتور هوبكنز Hopkins .

ومع أن المحققة تزعم أنها تحاشت الرسم الاملائي القديم للمخطوط ، فإنها لم تراع هذه القاعدة دائماً ، كما في لفظة ( مسألة ) مثلاً ، حيث وضعت الهمزة على كرسي الياء ، وحقها في الإملاء الحديث أن تكون على كرسي الألف ، وقد برعت - والحق يقال - في علامات التنقيط ، إلا في مواضع قليلة حيث كان الأفضل وضع الفارزة أو القاطعة بدل النقطة ، ولا سيما حينما يكون ما يليها مستهلاً بالفاء أو الواو .

وقد وقع سهو غريب في العنوان العربي للجزء الأول إذ جاء فيه ( لجلال الدين السيوطي ) والصواب بإسقاط حرف الجر ، وأكبر الظن أن الرقعة المخطوطة أو « الكليشيه » التي أعدّت في الأصل للجزء الثاني استعملت في الجزأين معاً ، فجاء هذا الخطأ الفاضح ، بيد أنه أياً كانت النواقص فإن الجهد جليل ولن يعدم بين جلة العلماء والباحثين من عرب ومستشرقين الكثير من ألسنة الشكر والثناء والتقدير .

اكسفورد د. صفاء خلوصي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

# آراء وأنبـاء

## مخطوطات يتيمة في مكتبة شيستر بيتي بدبلن

## Unique mss. at chester Beatty Library Dublin ( Irish Republic )

- ١ -

الدكتور صفاء خلوصي

عثرت أثناء بحثي عن المخطوطات النادرة على المجموعة التالية في مكتبة « چيستر بيتي » بدبلن ، أعتقد أنها يتيمة لأنني لم أعثر على نسخ لها فيما دوّن من سجلات المخطوطات وفيما ذكره كارل بروكلمان في كتابه الضخم « تاريخ الأدب العربي » وإليكها :

١ ) رقم المخطوطة ٣٠١٢ « العقيدة » لمحمد بن الحسن بن أصبغ ، ويبحث في العقيدة السنية ، عدد الأوراق ٢٥ ، مقاسها ٢٢٫١ × ١٦٫٢ سم بخط مغربي ، بلا تأريخ ، حوالي القرن السابع للهجرة / الثالث عشر للميلاد .

٢ ) ٣٠١٦ : « سير شهيرات النساء » لعلي بن محمد بن عليّ بن جميل المعافريّ المالقيّ ( ت ٦٠٥ هـ / ١٢٠٩ م ) وهو مُستوّدة بخط المؤلف ومن دون عنوان ؛ أوراقه ١٠٧ مقاسها ١٦٫٣ × ١٢٫٢ سم ( بالنسخ ) مؤرخ بدمشق ٥٨١ هـ / ١١٨٥ م[1] .

---

(١) وقد قامت السيدة الدكتورة عائدة الطيبي بتحقيقه للظفر بدرجة الدكتوراه من جامعة اكسفورد .



هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٣ ) ٣٠٢٩ : « مختارات من كتاب الحاوي » لداود بن أبي البيان اليهودي المتطبّب ( عاش حوالي القرن ٧ هـ / ١٣ م ) وهو يضم مختارات من كتاب أبي بكر محمد بن زكريا الرازي ( ت ٣١٣ هـ / ٩٢٥ م ) أوراقه ١٤٧ ، قياسها ٢٦٫٦ × ١٩٫٦ ( بالنسخ ) بخط عمر بن قاسم بن منصور بن المؤدّب . تأريخه ١٣ محرم ٦٥١ هـ ( ١٥ آذار « مارس » ١٢٥٣ م ) .

٤ ) ٣٠٣٣ : « كتاب الأربعين التّساعيّات » لأبي الروح عيسى ابن عمر بن خالد بن عبد المحسن بن الخشّاب الشافعي المخزومي ( ت ٧١١هـ ١٣١١ م ) [ القسم الثاني من أربعين حديثاً مختاراً ] أوراقه ١٦ ، قياسها ٢١٫٤ × ١٣٫٧ سم ( بالنسخ ) حوالي القرن ٧ هـ / ١٣ م .

٥ ) ٣٠٤٥ : « رسالة في ضرورات التضادّ » لعمر الخيّام ، ورقة ٣٧ / ب - ٤٢ / ا

« رسالة في إثبات الصانع » لزين الدين صدقة بن علي ورقة : ٥٠ / ب - ٥٢ / ا

« رسالة في عـــلم البارىء » لزين الدين صدقة ، ورقة : ٥٢ / ب - ٥٤ / ا

« تعليقات هندسية » لأبي سعيد أحمد بن محمد بن عبد الجليل السّجزيّ ( عاش حوالي ٣٨٩ هـ / ٩٩٩ م ) ، ورقة : ٧٤ / ا - ٨٩ / ب

٦ ) ٣٠٥١ : « البديع » لأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه ( ت ٣٧٠ هـ / ٩٨٠ م ) [ رسالة عن مختلف القراءات القرآنية ] أوراقه : ١٠٥ ، مقياسها ٣٢٫٥ × ٢٥٫٤ سم بخط فارسي - كوفيّ ، غير مؤرّخ ، حوالي القرن ٤ هـ / ١٠ م



هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

٧ ) ٣٠٥٢ : « الحقائق والرّقائق » [ مجموعة مواعظ صوفية ] منسوبة خطأً إلى أبي القاسم القشيري ( ت ٤٦٥ هـ / ١٠٧٢ م ) وقد ذكر العنوان بشكل مقلوب أيضاً : « الرقائق والحقائق » .

٨ ) ٣٠٥٧ : « الثمر الرائق المُجْتَنى من الحقائق » تلخيص مؤلف مجهول لكتاب « الحدائق لأهل الحقائق » مجموعة الأحاديث الشريفة المختارة لابن الجوزي ( ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م ) أوراقه ١٩٦ بقياس ٢٧ × ١٧٫٨ سم ( بالنسخ ) بخط علي بن الحسن بن علي العراقي الحنفي ، تأريخه ١٥ شعبان ٧٨٣ هـ ( ٤ تشرين الثاني « نوفمبر » ١٣٨٢ م ) .

٩ ) ٣٠٥٩ « منهاج البراءة » لقطب الدين أبي الحسين سعيد بن هبة الله بن الحسن الراوندي ( ت ٥٧٣ هـ / ١١٧٧ م ) وهو الجزء الثاني من شرح لنهج البلاغة تصنيف ذي المجدين الشريف المرتضى ( ت ٤٣٦ هـ ١٠٤٤ م ) أوراقه ٢٨٥ ، قياسها ٣٠ × ١٩٫٨ سم ( بالنسخ ) بخط محمد بن أبي الفتح بن أبي الحسن بن أبي العباس ، تاريخه محرم ٦٠٣ هـ / آب « أغسطس » ١٢٠٦ م .

« للبحث صلة » صفاء خلوصي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

# تعقيب

## على مقال للدكتور حسني سبح

قال الدكتور حسني سبح في مقاله : ( نظرة في معجم المصطلحات الطبية ) المنشور في مجلة المجمع ـ عدد ربيع الأول ١٣٩٥ / إبريل ١٩٧٥ـ معلقاً على الكلمات ( لانط ولوطي وأورانى ) ما يلي :

( والصحيح في اللفظة الأولى : لوطي ولوّاط وسته وستهان ) ثم قال في الهامش : ( في لسان العرب : ورجل سَتِيه : ملازم للأستاه . وفي تاج العروس : وستهان كعثمان : طالبها ( أي الاست ) أو الملازم لها كالسَّتِيه ككتف ) اهـ .

لقد وهم الدكتور حسني في اعتباره لفظة ستهان مرادفة لسته . والصواب أن لفظة ستهان جمع أسته ، والأسته بمعنى السته . وعبارة القاموس : السَّتَه ـ محركة ـ عظمها . والأسته والستاهي ـ كغرابي ـ العظيمها ج ككتب وستهان ، وطالبها كالسته ـ ككتف ـ والستهم ـ كزرقم .

وتقدير قوله : الأسته والستاهي ـ والجمع سته وستهان ـ والسته والستهم : عظيم الأست وطالبها ، فلفظة ستهان هنا معطوفة على سته لا على الأسته ـ ومما يدل على ذلك كونها نكرة بينما الكلمات المترجم لها كلها محلاة بال . وفي اللسان : رجل أسته والجمع سته وستهان .

هذا ويفهم من كلام الفيروز أبادي أن الكلمات الأربع : الأسته والستاهي والسَّتْهُم والسته كلها تفيد المعنيين عظيم الاست وطالبها . غير أن



هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المعجمات الأخرى تذكر للستاهي والستهم والأسته معنى واحداً وهو عظيم الاست ففي تهذيب اللغة ( ١١٧/٦ ) قال الليث : السته : مصدر الأسته وهو الضخم الاست ـ ويقال للواسعة من الدبر ستهاء ، وستهم . قلت : يقال : رجل ستهم إذا كان ضخم الاست وستاهي[1] مثله والميم زائدة . وفي الصحاح : رجـــل أسته بيّن السته إذا كان كبير العجز ، والستهم والستاهي مثله . والمرأة ستهاء ابن السكيت : رجل أسته وستاهي عظيم الاست . والمرأة ستهاء وستهم والميم زائدة .

أما السته فجاء في اللسان : وإذا نسبت إلى الاست قلت ستهي بالتحريك وإن شئت استي تركته على حاله وستِهٌ أيضاً ـ بكسر التاء ـ كما قالوا حوح ـ قال ابن بري : رجل حَوِح أي ملازم للأحراح ، وستِه ملازم الأستاه والسته : الطالب للاست وهو على النسب كما يقال : رجل حوح قال ابن سيده : التمثيل لسيبويه .

ويتضح من هذا ان السته بمعنى اللوطي . أما الستهان فهو جمع الأسته ومعناه عنـــد كثير من اللغويين العظيم الاست ويفيد أيضاً معنى طالبها عند الفيروزأبادي .

المدينة المنورة ف . عبد الرحيم

مدرس بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة

---

(١) جاءت كلمات أخرى على هذا الوزن منها : الرؤاسي لعظيم الرأس والأنافي لعظيم الأنف والأذاني لعظيم الأذنين ....

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

# الكتب المهداة لمكتبة مجمع اللغة العربية

## خلال الربع الثالث من عام ١٩٧٦

| اسم الكتاب | اسم المؤلف أو الناشر | مكان الطبع وتاريخه |
|---|---|---|
| الأطياف | د. مصطفى حموليلا | دمشق ١٩٧٦ |
| إقليم الجولان | د. صفوح خير | 〃 〃 |
| إنتاج النفط والغاز | المهندس نزار الجيرودي | 〃 〃 |
| إنشاء البيتون المسلح | د. المهندس محمود نوفل | 〃 ١٩٧٥ |
| أمراض جهاز التنفس ١ ـ ٢ | د. درتيودور شان | 〃 ١٩٧٦ |
| أمراض جهاز الهضم ١ ـ ٢ | د. منذر الدقاق | 〃 ١٩٧٥ |
| أمراض الدم واللوحات الملونة | د. محمد بديع حمودة | 〃 〃 |
| أمراض الكلية | د. يوسف صائغ | 〃 ١٩٧٦ |
| البرمنيدس | أفلاطون. ترجمة فؤاد جرجي بربارة الدمشقي | 〃 〃 |
| تاريخ وتشريع وآداب الصيدلة | د. محمد زهير البابا | 〃 ١٩٧٥ |



هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

| اسم الكتاب | اسم المؤلف أو الناشر | مكان الطبع وتاريخه |
|---|---|---|
| تجارب في الفيزياء الحديثة | د. عدنان مصطفى و د. جان رومانوس | دمشق ١٩٧٥ |
| تشخيص العقاقير ـ القسم النظري | د. هيام شهاب | 〃 〃 |
| التكاثر النباتي في الزمر النباتية | د. أنور الخطيب | 〃 ١٩٧٣ |
| الجراحة العصبية | د. هشام بكداش | 〃 ١٩٧٥ |
| حول الانسان والتنمية « تقرير طوكيو » | اللجنة التنفيذية لندوة روما ترجمة خليل شطا | 〃 ١٩٧٦ |
| حول التقاليد المسرحية | جان فيلار . ترجمة سعد الله ونوس | 〃 〃 |
| الخيول ( رواية ) | أحمد يوسف داود | 〃 〃 |
| شعر عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب | عبد الحميد الراضي | 〃 〃 |
| الشموس الثلاث ( قصص وحكايا للأطفال ) | عدد من المؤلفين . ترجمة ميخائيل عيد | 〃 〃 |
| الصحافة | بيير ألبير . ترجمة خير الدين عبد الصمد | 〃 〃 |
| الصناعات الغذائية ـ القسم النظري | د. سليمان المصري | 〃 〃 |
| الصيدلة الصناعية ـ القسم العملي | د. محمد نزار خوام | 〃 ١٩٧٥ |
| الطب الشرعي | د. زياد درويش | 〃 ١٩٧٤ |
| الطب الشرعي ـ القسم الثاني | د. زياد درويش | 〃 ١٩٧٥ |
| علم السموم | | |

شبكة الألوكة www.alukah.net
منصة مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

| اسم الكتاب | اسم المؤلف أو الناشر | مكان الطبع وتاريخه |
|---|---|---|
| العروبة ومظاهر الانتماء الأخرى في الدساتير الراهنة للأقطار العربية | د. جورج جبور | دمشق ١٩٧٦؛ |
| علم الأراضي | د. فلاح أبو نقطة | 〃 〃 |
| علم تأثير الأدوية | د. نذير العظمة | 〃 〃 |
| علم التحريك (ميكانيك الهندسة) | س تيموشنكو ورفيقه ترجمة وجيه القدسي ورفيقيه | 〃 ١٩٧١ |
| علم السكون (ميكانيك الهندسة) | س تيموشنكو ورفيقه ترجمه وجيه القدسي ورفيقه | 〃 ١٩٧٥ |
| علم الصيدلة ـ الجزء الأول ـ القسم العملي | د. محمد نزار خوام | 〃 〃 |
| علم الصيدلة ـ الجزء الأول ـ القسم النظري | د. محمد نزار خوام | 〃 〃 |
| علم الصيدلة ـ الجزء الثاني ـ المراهم الدوائية | د. زياد منصور | 〃 〃 |
| علم الصيدلة ـ الجزء الثاني ـ المراهم الدوائية ـ القسم العملي | د. زياد منصور | 〃 〃 |
| علم الصيدلة ـ القسم النظري | د. عدنان حدة | 〃 ١٩٧٦ |
| علم المستحاثات (الباليونتولوجيا) | د. فؤاد العجل | 〃 ١٩٧٥ |
| الفيزياء الحديثة للجامعات ـ الضوء والاشعاع | جيمس أ. ريتشاردز ورفقاؤه. ترجمة عبد الرزاق قدورة ورفيقيه | 〃 ١٩٧٦ |

هدية مجمع اللغة العربية بالشبكة العنكبوتية لشبكة الألوكة
www.alukah.net

| اسم الكتاب | اسم المؤلف أو الناشر | مكان الطبع وتاريخه |
|---|---|---|
| الفيزياء الحديثة للجامعات ـ الفيزياء الحديثة | جيمس أ. ريتشاردز، ورفقاؤه. ترجمة عبد الرزاق قدورة ورفيقيه | دمشق ١٩٧٦ |
| قصة المادة السيبرنية والكون | البيردو كروك. ترجمة وجيه السمان | 〃 〃 |
| الكيمياء التحليلية العملية | د. موفق شخاشيرو ود. عبد المجيد شيخ حسين | 〃 ١٩٧٤ |
| الكيمياء التحليلية (القسم النظري) | د. دلال المنجد | 〃 ١٩٧٤ |
| الكيمياء الحيوية العامة ١ ـ ٢ | د. محمود سعيد دلول | 〃 ١٩٧٤ |
| الكيمياء الزراعية العضوية ـ الحيوية ـ الجزء العملي | د. غياث سمينة | 〃 ١٩٧٦ |
| مبادىء التوبولوجيا العامة | د. خضر حامد الأحمد | 〃 ١٩٧٦ |
| مقدمة في علم الخلية وعلم الجنين | د. هاني رزق | = ١٩٧٦ |
| منارات | سان جون بيرس ترجمة أدونيس | = ١٩٧٦ |
| موجز علم النسج | د. كنعان الجابي | = ١٩٧٦ |
| موجز الميكانيك، الجزء الأول | وجيه القدسي | = ١٩٧٤ |
| الوجيز في الجيولوجيا العامة | د. محمد نصوح الحمصي | = ١٩٧٤ |

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

| اسم الكتاب | اسم المؤلف أو الناشر | مكان الطبع وتاريخه |
|---|---|---|
| الايضاح لناسخ القرآن ومنسوخه | مكي بن أبي طالب القيسي تحقيق الدكتور أحمد حسن فرحات | الرياض ١٩٧٦ |
| تاج العروس (ج ١٥) | الزبيدي. تحقيق الترزي وحجازي والطحاوي والعزباوي | الكويت ١٩٧٥ |

## تصويبات الأخطاء المطبعية في هذا العدد

| ص | س | الصواب |
|---|---|---|
| ٧٣٧ | ٦- | لفظاً |
| ٧٩٨ | ١١ | إلي |
| ٧٩٩ | ٦- | يهنىء |
| ٨٠٣ | ٧- | ١٣٣٨ هـ |
| ٨٢٢ | ٣ | منهمرة |
| ٨٢٢ | ٧ | هالني |
| ٨٢٤ | الأخير | الأنور |
| ٨٣٢ | ٣- | بأخبار |
| ٨٣٦ | ٨- | لأبي العباس |
| ٨٣١ | رقم الصفحة | ٨٣٨ |
| ٨٤٥ | ٥- | الأندلسيون |
| ٤٣٠ | ١٥ | من العدد الثاني . يضاف إلى الجملة بعد كلمة نوية : وإفادة ثبت وجود نويّة بمعنى نية |

هدية مجمع اللغة العربية بالشارقة بشبكة الألوكة
www.alukah.net

# تصويبات مقالات : نظرة في معجم المصطلحات الطبية
## الواردة في الأعداد الأربعة لهذا المجلد

| الصفحة | السطر | الصواب |
|---|---|---|
| ٢١٨ | ١٢ | post - infarctoïd |
| ٢١٩ | ١٩ | coating |
| ٢١٩ | ٢٠ | on |
| ٢٢٠ | ٣ | جذيعات |
| ٢٢٢ | ١٨ | Syphylitic |
| ٢٢٣ | ٢٣ | plessimètre |
| ٢٢٥ | ٦ | pampiniforme |
| ٢٢٦ | ١٨ | pudendal |
| ٢٢٧ | ٢١ | crescentic |
| ٢٢٨ | ٢٠ | درلند |
| ٢٢٩ | ١٤ | pneumatose |
| ٢٢٩ | ١٩ | pleuropneumonia |
| ٢٣٠ | ١ | insatiable |
| ٤٦٥ | ١ | application |
| ٤٦٥ | ٣ | amygdalien |
| ٤٦٥ | ١٧ | exudate, crypts |
| ٤٦٥ | ١٨ | crypts |
| ٤٧٢ | ١٤ | goût |
| ٤٧٢ | ٩ | برفيرينية |
| ٤٧٣ | ١٧ | porphyrization, trituration |

| الصفحة | السطر | الصواب |
|---|---|---|
| ٤٧٥ | ١١ | جـثي |
| ٤٧٥ | ٢٠ | intermediary |
| ٤٧٦ | ١٦ | Walcher's |
| ٤٧٦ | ١٩ | lithotomy position in |
| ٤٧٨ | ٩ = ١٥ | حَساء |
| ٤٧٩ | ٢٢ | afer potential ( |
| ٤٧٩ | ٢٤ | spike ( |
| ٤٨٠ | ٢ | d'ions. |
| ٧٠٤ | ١٧ | مُرْتَجٌّ |
| ٧٠٧ | ٥ | معانٍ |
| ٧١٢ | ٨ | مؤهِّبَ |
| ٧١٥ | ١٨ | أنهـا |
| ٧٤١ | ١ | Rivière |
| ٧٤١ | ٢ | عُلْبة |
| ٧٤١ | ٦ | رشّة |
| ٧٤٢ | ١١ | قافز |
| ٧٤٣ | ٣ | à saupoudrer |
| ٧٤٣ | ٣٠ | characteristic |
| ٧٤٤ | ١١ | pouponnière |



هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

| الصفحة | السطر | الصواب |
|---|---|---|
| ٧٤٥ | ١٣ | وجيفت |
| ٧٤٥ | ١٦ | السّتين |
| ٧٤٥ | ٧ | ou d'hôpital |
| ٧٤٦ | ١١ | دَقّ |
| ٧٤٧ | ٥ | الضّماد |
| ٧٤٨ | ٤ | ( d'une lentille ) |
| ٧٤٨ | ٥ | لعدسية |
| ٧٤٨ | ٦ | المبيّنة |
| ٧٤٨ | ١٢ | مُسْبِخة |
| ٧٤٨ | ١٦ | of a lens to give sharp pictures |
| ٧٤٩ | ٢ | لعدسية |
| ٧٤٩ | ٦ | لعدسية |
| ٧٤٩ | ٨ | Practicabilité سُلوكية |
| ٧٤٩ | ١٢ | أداء |
| ٧٤٩ | ١٤ | floculation |
| ٧٤٩ | ١٧ | تَرَسُّبُ |
| ٧٥٩ | ١٨ | مُتَرَسِّب |
| ٧٤٩ | ١٧ | مُرَسِّب ومُرَسِّبة |
| ٧٤٩ | ٣٠ | إقترح |
| ٧٥٠ | ٦ | سابق ، بدء |

| الصفحة | السطر | الصواب |
|---|---|---|
| ٧٥٠ | ١٤ | قَبْض ، تناوُل |
| ٧٥٠ | ٢٠ | المختزعة قيل |
| ٧٥١ | ٣ | قيل |
| ٧٥١ | ٣ | أَخَذَ |
| ٧٥١ | ٥ | عَيِّنَة |
| ٧٥١ | ١١ | بَرُد ، أصيب |
| ٧٥١ | ١٩ | مُجَهِّز |
| ٧٥٢ | ٣ | البَضْع |
| ٧٥٢ | ٢١ | naturpräparat |
| ٧٥٢ | ٣٢ | kontakpräparat |
| ٧٥٣ | ٥ | ومُحَضَّر |
| ٧٥٤ | ٣ | فُصُوّ |
| ٧٥٤ | ١٢ | يَتْنُ |
| ٧٥٤ | ١٣ | بالمقعدة |
| ٧٥٤ | ١٦ | بالقيّمة |
| ٧٥٥ | ١ | hypertenseur |
| ٧٥٥ | ٢ | ضاغط ، مُوَتِّر |
| ٧٥٦ | ١ | هيبروفيل |
| ٧٥٦ | ٣ | confluence of the sinuses |
| ٧٥٦ | ١٨ | principe |



هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

# فهرس الجزء الرابع من المجلد الحادي والخمسين

## المقـــالات


| ص | | |
|---|---|---|
| ٦٩٩ | الحياة في كتاب الأغاني . . . . . | الأستاذ شفيق جبري |
| ٧٠٣ | نظرة في معجم المصطلحات الطبية . . | الدكتور حسني سبح |
| ٧١٩ | مزاعم بناء اللغة على التوهم . . . . | الأستاذ محمد بهجة الأثري |
| ٧٥٣ | عبر التاريخ . . . . . | الدكتور محمد كامل عياد |
| ٧٨٥ | مجمعي افتقدناه : محمد بهجة البيطار . . | الدكتور عدنان الخطيب |
| ٨٢٧ | ملامح من تطور المغرب العربي . . . | الأستاذ محمد المنوني |


## التعريف والنقد


| | | |
|---|---|---|
| ٨٨٣ | روضة المدارس : نشأتها واتجاهاتها الأدبية والعلمية | الدكتور محمد زكريا عناني |
| ٨٥٩ | تعقيب على « روضة المدارس » . . . | الأستاذ محمد عبد الغني حسن |
| ٨٩٩ | كتاب التحدث بنعمة الله للسيوطي . . | الدكتور صفاء خلوصي |


## آراء وأنبـــاء


| | | |
|---|---|---|
| ٩٠٤ | مخطوطات يتيمة في مكتبة شيستر بيتي « دبلن » | الدكتور صفاء خلوصي |
| ٩٠٧ | تعقيب على مقال للدكتور حسني سبح . | الأستاذ ف . عبد الرحيم |
| ٩٠٩ | الكتب المهداة لمكتبة مجمع اللغة العربية خلال الربع الثالث من عام ١٩٧٦ | |
| ٩١٣ | تصويبات في هذا العدد | |
| ٩١٤ | تصويبات مقالات : نظرة في معجم المصطلحات الطبية | |


هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net